الفصل الحادي عشر بعد المئة

النقود

وفي الموارد الاسلامية بعض الأخبار عن نقود كانت متداولة في الحجاز عند ظهور الاسلام . وقد سميت تلك النقود بأسمائها ، وأشير الى وزنها ومقدارها . وعثر الباحثون على نماذج من نقود جاهلية تعود الى عهود مختلفة في مواضع متعددة مختلفة من جزيرة العرب ، قدمت لنا بعض المعارف عنها وعن مصادرها ، فمن الموارد الاسلامية ومن بعض كتابات المسند التي أشير فيها الى نقود جاهلية ومن قطع النقود الجاهلية التي عثر عليها المنقبون ، جمعنا ما سنقوله عن نقود أهل الجاهلية .

وقد استعمل أهل العربية الجنوبية النقود في معاملاتهم ، استعملوا نقوداً سكّت من ذهب ، ونقوداً سكّت من فضة ، وأخرى سكّت من نحاس ومن معادن أخرى . وقد عثر على نماذج من كل نوع من هذه الأنواع . كما تعاملوا بالنقود الأجنبية كذلك ، مثل النقود اليونانية والرومانية والمصرية والحبشية والفارسية . وقد عثر على نماذج من هذه النقود في مواضع متعددة من العربية الجنوبية : في اليمن ، وفي حضرموت ، وفي مواضع أخرى . وقد زاد تعامل أهل اليمن بالنقود الحبشية والساسانية في أثناء احتلال الحبش والساسانيين لليمن ، ولا شك .

وفي بعض المتاحف ودور الآثار وعند بعض هواة جمع النقود والأشياء القديمة، قطع من نقود جاهلية ضربت في العربية الجنوبية ، بعضها من ذهب ، وبعضها من فضة ، وبعض آخر من نحاس ، ومنها الكبير ، ومنها نقود صغيرة دوّن

على بعضها اسم الملك الذي ضربت في أيامه ، أو الحرف الأول من اسمه ، وعلى بعض آخر رموز وصور ألفَ العرب الجنوبيون ضربها على النقود ، مثل صورة (أثينة) أو (البوم) وهي من الطيور التي ألف العرب الجنوبيون إظهار صورتها على النقد ، وعلى الحجارة المكتوبة وعلى جبهات البيوت .

والعملـــة تطور خطير من التطورات التي أثرت في الحيـاة الاقتصادية للبشر . أحدث اختراعها انقلاباً كبيراً في النظم الاقتصادية والاجتماعية ، ويعدّ ايجادها من المخترعات الكـــبرى التي لعبت دوراً خطيراً في حياة الإنسان ولا تزال تلعبه . قلصت أعمال المقايضة المرهقة المتعبة،وقضت على التعامل بالوزن في تقدير الأثمان . أعني التعامل بوزن الـــذهب والفضة ، في تقدير قيم الأشياء ، بأن يعطي إنسان إنساناً قيراطاً من ذهب ، أو نصف مثقـــال ، أو مثقالاً مقابل سلعة ثم التساوم على سعرها . أو وزن مثقال من فضة أو أقل من ذلك أو أكثر في مقابل سلعة يريدها المشتري . وهو نظام سبق نظام النقد ، الذي ولدت منه فكرة العملـة . وهو نظام متقدم بالنسبة الى نظم المقايضة التي سبقته، قلّص من صعوباتها كثيراً، وأراح التاجر في التعامل ، حتى ولدت فكرة سك العملـــة ، فقلصت منه ومن تعقيداته ، لسهولـــة التعامل بالعملة ، ولاكتسابها صفة رسمية وسعراً ثابتاً مقرراً ووزناً معيناً حددته الحكومات .

وفي وسعنا اطلاق مصطلح (النقد الطبيعي) على نظام المقايضة ، أي مبـــدأ مبادلة سلعة بسلعة . فهو في الواقع نظام يستند على مبدأ التسعير وتثمين السلع وبيع سلعة بثمن سلعة أخرى . ولما وجد الانسان صعوبة كبيرة في التعامل بهذه الطريقة، هداه عقله وتقدمه الفكري الى ابتداع طريقة التعامل بالذهب والفضة وزناً . فخفف الإنسان بذلك كثيراً من التعقيدات والصعوبات التي كان يجابهها في تعامله بالمقايضة، فكان إذا أراد شراء حاجة عامل صاحبها بمقدار موزون من الذهب أو الفضة ، يقدمه اليه في مقابل شرائها ، ثم انتقل بعد ذلك الى طريقة سك العملـة . فسهل بذلك معاملاته في البيع والشراء كثيراً ، ولا زال هذا النظام سائداً في كل أنحاء العالم ، مع نظام العملة الورقية ونظام التعامل بالصكوك .

وقد تعامل الجاهليون بالطرق الثلاثة المذكورة . تعاملوا بالمبادلة ، أي المقايضة، وتعاملوا بوزن الذهب والفضة ، وتعاملوا بالعملة . ولما ظهر الاسلام كانت هذه الطرق لا تزال مألوفة عندهم متبعة ، فكانوا يبيعون تمراً بتمر ، وشعيراً بشعير،

وحنطة بحنطة . وقد أشير الى هذه النوع في كتب الحديث ، وأشرت اليهـا في باب البيوع . ولم يراع أهل الجاهلية تنوع الصنف في البيع ، كأن يبيعوا حنطة من جنس معلوم بحنطة من جنس آخر ، بل كانوا يبيعون الحنطـة بالحنطة من نفس الجنس والنوع ، بوزن مختلف لوجود تباين في الجودة أو تراب أو حبوب غريبة في احدى الحنطتين . كما تعاملوا بتنوع السلع ، مثـل بيـع حنطة بشعير وبالعكس ، وبيع تمر بصوف أو بجلود ، وما شاكل ذلك لوجود حاجة ولقلة النقد .

وتعاملوا بوزن الذهب والفضة ، فاشتروا الرقيق بأواقي يحددونها من ذهب أو من فضة ، وباعوا التجارة بأواقي الذهب والفضة . تعاملوا بالأواقي وبأقـل منها وبأكثر حسب قيم الأشياء ودرجة تثمينها[1] . ونجد ذكر هذا التعامـل في كتب الحديث والفقه ، لمـا لـه من دور خطير في معاملات الناس في الجاهلية وفي والاسلام .

و (النقد) في مصطلح علماء العربية تمييز الجيد من الرديء . قال الشاعر :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدنانير تنقاد الصياريف

والنقد اعطاء النقد . ونقد الثمن أعطاه نقداً معجلاً[2] . ويظهر ان الجاهليين كانوا يطلقون لفظة (النقد) على العملة ، وعلى التعامل بها من أخذ وقبض وتمييز الجيد من الرديء منها .

و (السكة) : حديدة منقوشة كتب عليها ، يضرب عليها الدنانير والدراهم . ومنه الحديث انه نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس . أراد بها الدرهم والدنانير المضروبين . سمي كل واحد منهما سكة لأنه طبـع بالحديدة المعلمة له[3] .

ونجد في كتب الحديث رواية تذكر ان أول من ضرب الدينار تبـع ، وهو

---

١ « وكانوا يتبايعون بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم . وهو الرطل الذي هو اثنتا عشرة أوقية . والاوقية هي أربعون درهما » ، الاحكام السلطانية (١٥٩) ، (حاشية رقم ١) .

٢ تاج العروس (٢/٥١٦) ، (نقد) .

٣ تاج العروس (٧/١٤٣) ، (سكك) .

(أسعد بن كرب) ، وان أول من ضرب الفلوس وأدارها في أيدي الناس : (نمروذ بن كنعان)[1] .

وقد وردت في كتابات سبئية وقتبانية إشارات الى نقود سبئية وقتبانية كانت مستعملة في تلك الأيام . ويرجع بعض العلماء تأريخ أقدمها الى حوالى سنة (٤٠٠) قبل الميلاد[2] . وقد ورد ذكر بعضها مع أسماء ملوك سبئيين وقتبانيين ، في تدوين عقود زراعية أو ضرائب في الغالب ، وقد ذكرت حين الإشارة الى دفع مبلغ أو الى تحديد غرامات . ولكن ورود أسمائها في تلك العقود وفي الأوامر الملكية لأولئك الملوك لا يدل على أنها سكت في أيامهم ، وضربت في عهدهم ، فقد يجوز أن تكون قد ضربت قبل أيامهم بأمد طويل أو قصير ، وأنها كانت مستعملة قبل أيامهم وفي أيامهم في الأسواق ، ولذلك أشير اليها في تلك الكتابات .

ونجد في أحد وجهي بعض النقود رأس رجل ظهرت ملامح وجهه الى العنق، يحيط به غصنا شجر على هيأة دائرة ، وقد تدلى شعر الرأس الى العنق، وظهرت عليه تموّجات الشعر على هيأة خصل محفورة . وأما صورة الأوجه ، فهي جانبية اتجاهها نحو اليمين في الغالب . ولولا وجود بعض حروف المسند عليها لحسبتها من النقود المضروبة عند اليونان ، ونجد في الوجه الآخر من النقد صورة البوم في الغالب : جسمها جانبي ، أي قد امتد نحو الجانب . أما الوجه ، فقد صور وكأنه ينظر اليك ، وقد برزت عيناه بصورة واضحة ظاهرة حتى بدتا في شكل لا يتناسب أحياناً مع حجم الوجه . ومن ينظر الى هذا الوجه يخيل اليه أنه ينظر الى رأسي بومتين لا بومة واحدة[3] .

وتحمل بعض النقود إشارات ورموزاً لها صلة بديانة العرب الجنوبيين قبل الإسلام ، ومن ذلك ، الهلال ، إشارة الى الإلـه القمر[4] . والهلال وفي داخله

---

١ مسند أبي حنيفة (ص ١٦٣) .

٢ Handbuch, I, S. 96.

٣ انظر الالواح المصورة للنقود الملحقة بكتاب :
G. Fr. Hill, A Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia, London, 1922.
وسيكون رمزه : Hill

٤ Handbuch, I, S. 35.

أو في مقابله كوكب ذو رؤوس تلتقي بنقطة في الوسط ، وأحياناً على هيأة قرص دون رؤوس . يمكن اعتبارهما أساس الكوكب والهلال (النجمة والهلال) المستعملين في بعض الأعلام الإسلامية واللذين يشاهدان على قبب المساجد ويعتبران عند المسلمين وعند الغربيين شعاراً للإسلام . وهمـا في الأصل من شعائر الوثنيين الجاهليين . وقد يكون الكوكب ذو الرؤوس أو القرص رمزاً يشير الى الشمس .

وللعلماء الباحثين في النقود العربية الجنوبية آراء في الحروف المقطعة المضروبة على النقود . وفي الحروف المتصلة المربوطة بعضها ببعض في بعض الأحيان على هيأة الطغراء ، وذهب بعضهم الى ان هذه الحروف هي الأحرف الأولى لأسماء الملوك الذين ضربت تلك النقود في أيامهم . وذهب آخرون الى انها أسماء المواضع التي ضربت فيها تلك النقود . وذهب آخرون الى انها رموز للآلهة ، وقد ضربت تبركاً باسمها . ومهما يكن من شيء ، فبين الباحثين في النقود العربيـة الجنوبية اختلاف في هذا الموضوع ، لم يتوصلوا فيه الى حل متفق عليه[1] .

ومن الملوك الذين ضربت بعض النقود في أيامهم ، ملك ذكر لقبه وحده ، وهو (ينف) (ينوف) ، دوّن اسمه الأول الذي يعرف به . وإذ قد تلقب جملة ملوك بهذا اللقب ، فمن الصعب البت في تعيين الملك صاحب هذا النقد[2] . وملك ذكر اسمه الأول ، وهو : (شمر) ، والظاهر انه (شمر يهرعش) ملك سبأ وذي ريدان[3] . و (كرب ال وتر يهنعم) ، وهو ابن الملك (ذمر على بين) و (عمدن يهقبض) ، و (عمدن بين) ، وملوك آخرون[4] .

وقد وردت لفظة (بلط) في نصوص المسند، ترجمت بـ (نقد) وبـ « Coin » في الانكليزية[5] . و (أبلط) في عربيتنا بمعنى لصق بالأرض وافتقر ، وذهب ماله ، وأفلس . والبلطة المفلس[6] .

وقد ذكر (نزيه مؤيد العظم) ، ان أهل اليمن يطلقون على النقود لفظـة

---

١ Hill, XIVI.
٢ Hill, p. p. IVII.
٣ Hill, p. IX.
٤ Hill, p. IXVIII.
٥ Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 428, Rhodokanakis, Kaba. Texte, II, S. 25, anm. 3.
٦ تاج العروس (٥/١١١) ، (بلط) .

(ظلط)[1] . ولعل لهذه اللفظة صلة ببعض أسماء النقود اليمانية قبل الاسلام .

وهناك لفظة أخرى وردت في نصوص المسند ، هي (خبصتم) ، (خبصت). ويرى (رودوكناكس) أنها اسم نقد أقل سعراً وثمناً من سعر النقد الذهب ، وأنه لم يكن من الذهب ولا من الفضة بل من المعادن الأخرى[2] .

ووردت لفظة (رضيم) (رضى) بعد العدد خمسة ، في نص سبئي . ذكرت مع العدد في أمر يشير الى غرامة تفرض على المقصر والمتماهل في العمل ، فحمل ذلك بعض الباحثين على الذهاب الى أنها تسمية لنوع من النقد الذي كان مستعملاً آنئذ . ولكن هناك من يرى أن اللفظة ليست تسمية وسمة لنوع من أنواع النقود، وإنما هي صفة لها، بمعنى مرضية ومرض وبمعنى تامة وافية صحيحة ، غير مزيفة ولا منقوصة في الوزن[3] .

وإذا كنا لا نستعمل اليوم في لغتنا الألفاظ والتعابير التي تدل على صحة النقود وسلامتها من الغش والتزوير كثيراً ، فإن القدماء ولا سيما صيارفتهم وأصحاب المال كانوا يستعملونها في معاملاتهم اليومية وفي عقودهم التي كانوا يدوّنونها ، لأن سك العملة وضربها لم يكن يومئذ متقناً ولا مضبوطاً من حيث المادة أو الوزن. وكان من السهل تقليد العملة وغشها والتلاعب بوزنها . ولذلك كان ثمنها عرضة للتغير والتلاعب بالسعر في بعض الأحيان، كما كان من السهل غش الناس بإعطائهم العمل المزيفة ، حتى حفظت كتب الماضين أمثلة عديدة على ذلك ، وكتب القدماء فصولاً في كشف الغش في النقود وفي معاقبة المسؤولين عنه .

ومن الألفاظ التي استعملها أهل العربية الجنوبية للتعبير عن صحة العملة وسلامتها من الغش والتي دوّنوها في كتاباتهم ، لفظة (مصعم) (مصع) ، بمعنى نصع وخلص ، أي خالصة من كل غش ، صحيحة لا شائبة فيها . ولفظة (رضيم) المتقدمة ، ولفظة (خبصتم) (خبصت) من هذه التعابير على رأي بعض الباحثين[4] .

---

١ رحلة (٨٥) .

٢ Rhodokanakis, Katab. Texte., II, S. 26.

٣ Rhodokanakis, Katab. Texte., II, S. 26.

٤ Rhodokanakis, Katab. Texte., II, S. 26.

ويلاحظ وجود أثر للسكة اليونانية على السكة العربية الجنوبية . وقد وجد شبه أيضاً بين بعض النقود العربية الجنوبية ونقود الساسانيين . ونظراً الى وجود صلات تجارية بين اليونان والساسانيين والعرب الجنوبيين ، فلا يستبعد تأثر دور ضرب السكة في اليمن وفي حضرموت بطريقة ضرب النقود عند اليونان والساسانيين[1] . ومن أهم ملامح تأثر ضرب النقود بنقود اليونان ، هو وجود صورة (البوم) رمز (أثينة) مطبوعاً على النقود ، على نحو ما طبعت على النقود اليونانية ، حتى صار من الصعب التفريق بينهما ، فكأنما أخذ عمال ضرب النقود قالباً للنقد اليوناني ، ثم حفروا عليه حروف المسند وضربوه[2] . ثم صور الملوك ، وكراسي جلوسهم عليها ، والصولجان الذي بأيديهم ، فكل هذه نقلت نقلاً عن النقود اليونانية .

ولا بد أن تكون في اليمن دور لضرب النقود سكّت فيها عملتهم . وإني لآسف إذ لم أقف على كتابات جاهلية فيها ما يفيدنا عن كيفية ضرب النقود عند العرب الجنوبيين أو عند غيرهم وأوزانها وأنواعها ، وما شابه ذلك من أمور تتعلق بها ، وليس لنا من أمل في زيادة علمنا بها غير الترقب والانتظار ، فلعل يقظة العرب تولّي تأريخ العرب القديم ما يستحقه من عناية ورعاية وبحث ، فيجدّون في تتبع مواطن الآثار الغنية المطمورة لاستخراج دفائنها التأريخية الثمينة التي تظهر لنا أموراً كثيرة من تأريخ تلك الأيام .

وقد عثر في بصرى وفي مواضع من المنطقة التي عرفت بـ (المقاطعة العربية) (الكورة العربية) على نقود معظمها من نقود الرومان واليونان ، كما عثر على نقود نبطية . ويذهب بعض الباحثين في النمّيات ، أن الملك (الحارث الثالث) (٨٧ – ٦٢ ق. م.) ، هو أول ملك نبطي ، أمر بضرب النقود ، أخذ السكة من اليونان أثناء استيلائه على دمشق . وقد عثر على نقد من فئة (دينار) طبع عليه رمز يمثل اتفاق الحارث و (سكاورس) وصورة جمل وشجرة . وعثر على نقود أمر (الحارث) هذا بضربها ، تشبه النقود التي ضربها (ديمتريوس

---

١ Carlo Conti Rossini, Monete Sud-Arabiche, Rendiconti della R. Acad. dei Lincei, 30, (1922), p. 239, Handbuch, I, S. 96, 175.

٢ Mardtmann und Mittwoch, Saba. Inschri., S. 8.

الثاني ؟) (الثالث) « Demetrius Eukairos III » بمدينة (دمشق) شبهاً كبيراً ، ولهذا يرى الباحثون أنها تقليد ومحاكاة لها . ولم يصل الينا نقد من نقوده يحمل كتابة مدوّنة بالنبطية [1] .

وجاد (عبادة) الثالث من ملوك النبط علينا بقطع من النقود ، يرى الملك على أحد وجهيها ومعه صورة امرأة يظن انها صورة أمه ، وانها تشير الى مبدأ حكمه إذ كان قاصراً ، فكانت أمه تدير الملك باسمه نيابة عنه ، وذلك بالنسبة الى النقود التي ضربت في أوائل أيام الحكم . وأما في النقود المتأخرة ، فإنها صورة زوجته، التي كانت تساعده وتؤازره [2] . وتشاهد صورة نسر واقف قابض على جناحيه في الوجه الثاني من أحد النقود ، وعلى طرفي الصورة كتابة ، وصورة رأس رجل في القطعتين المرقمتين (٧) و (٨) يرى انها رأس الملك وعلى طرفي الصورة كتابات نبطية وتأريخ الضرب .

وتعدّ النقود التي ضربت في أيام (الحارث) الرابع من خير ما ضرب من النقود في أيام النبط ، ولم يعثر على نقد له ضرب في مدينة (دمشق) في المدة التي استولى فيها على تلك المدينة ، وقد ضرب بعضها باسم الملك وباسم زوجته (خلدو) (خلد) ، زوجته الأولى . وصورت صورة زوجته هذه على النقد، وضرب بعضها باسمه وباسم زوجته الأخرى (شقيلة) وطبعت صورتها على النقد كذلك . وضرب بعض آخر باسم الملك وحده ، وهي مختلفة : بعضها من الفضة، وبعض آخر من البرونز ، وعلى عدد منها تأريخ الضرب [3] .

وضرب اسم (شقيلة) الثانية ملكة النبط مع اسم الملك (ملكو) (مالك) الثاني في نقد وصل الينا . وقد وصفت في النقود بأنها أخته . أما القطع التي وصلت الينا ، فبعضها مصنوع من الفضة وبعض آخر من البرنز ، وعلى نقوده شيء من التبديل والتغيير عن النقد الذي ضرب في أيام (الحارث) الرابع [4] .

وتبورك في بعض النقود مثل نقود (بصرى) بضرب صور الآلهة أو نعوتها

---

١ G. Fra-Hill, Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia, London, 1922, pp. XI, Die Araber, I, S. 298.

٢ Hill, p. XIV, XV, XVI, 4, Pl., 1, 6, 7, 8, Morey, Rev. Num., 1911, p. 79.

٣ Hill. p. XVII, 5, Pl., 9, 10, 11, 12, 13, 14, 15, 16, 17, 18, 19, 20, 21, II, 1-12, Dalman, Neue Petra Forschungen, S., 106.

٤ Hill, p. XIX, II, Pl., II, 13-17.

أو رموزها على النقود ، فقد ضرب نعت الإلـه (دو شرى) (ذو الشرى) على نقد ضرب في (بصرى) . كما أشير الى هذا الإلـه في نقد ضرب بـ (بصرى) بتصوير منظر من مناظر الاحتفالات السنوية التي كانت تقام في كل عام اكراماً له ، وتعرف بـ « Actia Dusaria » [1] . أما آلهة المدينة التي ضربت صورتهـا على بعض النقود ، فتشبه صورتها صورة (عشتاروت) (عشتروت) المعروفـة بفلسطين وفينيقية . ويظهر أنها (اللات)[2] . وتشبه في بعض النقود صورة (أثينة) ، وقد دعيت بـ « Tyche » ، و (أثينة) هي (اللات) عند أهل حوران[3] .

وعثر في جزيرة (فيلكا) على نقود يونانية من بينها درهم ضرب في عهد الملك (انطيوخس) الثالث من ملوك السلوقيين ، ويعود تأريخ هذا الدرهم الى حوالى السنة (٢١٢) قبل الميلاد . وتبين أن بعض الدراهم قد ضرب في (جرها) « Gerhha » (الجرعاء) ، كما عثر على نقود ضربت من النحاس ، تبين أن قطعة منها ضربت في عهد (سلوقيوس) الأول ، ضربها باسم الملك (الاسكندر) الأكبر ، وأن قطعتين منها ضربتا في أيام (انطيوخس) الثالث . فهـي تعاصر الدراهم المذكورة[4] .

أما أهل الحجاز ، فقد تعاملوا بالنقود الرومية والساسانية : تعاملوا بالدنانير ، وتعاملوا بالدراهم ، وتعاملوا بالدانق . وتعاملوا بنقود أهن اليمن ، ولعلهم كانوا يتعاملون بنقود أهل الحبشة كذلك . فقد كان أهل مكة خاصة تجاراً يتاجرون مع اليمن ويتاجرون مع العراق وبلاد الشأم والحبشة . وتجارتهم هذه تجعلهم يستعملون مختلف النقود .

ولم يرد في الأخبـار ما يفيد قيام أهل العربية الغربية أو أي مكان آخـر في جزيرة العرب بضرب النقود الجاهلية فيها ، لكن ذلك لا يمنع من احتمال عثور النقّابين في المستقبل على نقود محلية ضربت في مكـة أو في الطائف أو في يثرب أو في مكان آخر ولو على نطاق ضيق محدود .

---

١ Hill, p. XXVII.
٢ Hill, p. XXIX.
٣ Hill, p. XXX.
٤ نقود يونانية من جزيرة فيلكا ، وزارة التربية والتعليم : قسم الآثار والمتاحف ، مطبعة حكومة الكويت .

وكان تعامل أهل مكة بالدنانير ، ترد اليهم من بلاد الشأم ، ولا سيما دنانير هرقل . وبالدراهم الفارسية البغلية ، « فكانوا لا يتبايعون إلا على أنهـا تبر . وكان المثقال عندهم ، معروف الوزن ، وزنه اثنان وعشرون قيراطاً إلا كسراً، ووزن العشرة دراهم، سبعة مثاقيل ، فكان الرطل اثنيعشرة أوقية . وكل أوقية أربعون درهماً . فأقر رسول الله » ذلك ومن جاء بعده الى أيام (عبد الملك بن مروان) ، فأمر أن تضرب الدراهم على خمسة عشر قيراطاً من قراريط الدينار[1] . وذكر أن الدنانير التي كانت ترد مكة في الجاهلية رومية ، والدراهم كسروية[2] .

وقد اشتهرت دنانير (هرقل) ، وعرفت بـ (الهرقلية) ، حتى انها كانت تسمى الدنانير عامةً (الهرقلية)[3] ، والظاهر ان ذلك بسبب كونها مجلوّةً مطبوعة طبعاً حديثاً ، لم تطمس آثارها ولم يمض زمن طويل عليها، أو لأن العرب حصلت في عهده على أكثر دنانيرها ، فنسبتها اليه .

والدينار عملة من الذهب ، عرف علماء اللغة أنها من الألفاظ المعربة ، ولكنهم لم يتأكدوا من أصلها ، فذهبـوا الى أنها من أصل فارسي[4] . وهي معربة من أصل يوناني هو (دينايوس) « Dinarius » مختصر « Dinarius Aureus » « Aureus Denarius » كما جاء ذلك في تأريخ (بلينيوس)[5] . والظاهر أن العرب استعملوا التسمية التي كانت شائعة في بلاد الشأم ، منذ عهد إصلاح (قسطنطين) الأول (٣٠٩ — ٣١٩ م) لنظام النقد . فأطلقوا على العملة الذهب لفظة دينار . وقد كان أهل الشأم قد اقتصروا على لفظة « Dinarius » منذ ذلك العهد[6] .

وقد ورد ذكر الدينار في القرآن الكريم : « ومن أهل الكتاب مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه

---

١ فتوح البلدان (٤٥٢) ، (أمر النقود) ،
Josef Von Karabacek, zur orientalischen Alterumskunde, Wien, 1908, S. 61.
المخصص (١٢/٢٧) ، جامع الاصول (١/٣٧١) .

٢ فتوح البلدان (٤٥٣) .

٣ « دنانير شيفت من هرقل بروسم » ، الجواليقي (ص ٣٤٩) ، المخصص (١٢/٢٢)، حاشية على الصفحة ٣٧١ وما بعدها من الجزء الاول من كتاب : جامع الاصول من أحاديث الرسول ، لابن الاثير الجزري .

٤ تاج العروس (٣/٢١١) ، (دينار) .

٥ Pliny, Hist. Nat., Book, XXXIII, 13.

٦ Ency., I, p. 975.

قائماً »[1] . والقنطار وزن . وتأويل الكلام أن من أهل الكتاب الذي إن تأمنه على عظيم من المال كثير يؤده اليك ولا يخنك فيه ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنك فيه ، فلا يؤده اليك إلا بالتقاضي والمطالبة[2] .

ويعرف (الدينار) بـ (العين) . والعين الذهب عامة[3] ، فكأنهم سمّوا عيناً ، لأنه من ذهب .

وقد فكر المسلمون قبل (عبد الملك بن مروان) في موضوع النقود ، وفي ضرورة تحويلها الى نقد اسلامي . وكان (عمر) في جملة من فكر في ذلك . انه أراد أن يجعل الدراهم من جلود الإبل ، فلما استشار ذوي الخبرة ، لم يقرّوه على رأيه فأمسك[4] . وذكر انه أمر بضرب الدراهم ، فضربت سنة ثماني عشرة من الهجرة[5] . وضرب (عثمان) الدراهم كذلك . ثم ان معاوية ضرب الدراهم السود ، وضرب أيضاً دنانير عليها تمثال متقلد سيفاً[6] . وضرب (زياد) النقد كذلك . ولما قام (عبدالله بن الزبير بمكة ضرب دراهم مدورة . وكان أول من ضرب الدراهم المستديرة . وضرب (مصعب بن الزبير) دراهم بالعراق ، ثم غيرها (الحجاج) ، حتى استقر الأمر لعبد الملك ، فعرب النقد على نحو ما هو معلوم[7] .

وقد بقي العرب يتعاملون بالدنانير الرومية الى أيام عبد الملك ، حيث أمر بضرب الدنانير ، فضربت بدمشق . وقد نعت الدينار الجديد بـ (أحرش) اذا كانت فيه خشونة لجدته . ومنه الحديث ان رجلاً أخذ من رجل آخر دنانير حرشاً ، وهي الجياد الخشن الحديثة العهد بالسكة التي عليها خشونة النقش[8] .

ومن أسماء الدينار (السِكّي)[9] .

---

١ آل عمران ، الآية ٧٥ ، المفردات (١٧١) .
٢ تفسير الطبري (٣/٢٢٥ وما بعدها) ، تفسير النيسابوري (٣/٢٢٥ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري) .
٣ تاج العروس (٩/٢٨٨) ، (عين) .
٤ فتوح البلدان (٤٥٦) ، (أمر النقود) .
٥ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٠ حاشية) .
٦ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٠ حاشية) .
٧ الاحكام السلطانية (١٦٠ وما بعدها) .
٨ تاج العروس (٤/٢٩٦) ، (حرش) .
٩ تاج العروس (٧/١٤٣) ، (سك) .

وقد ذكر علماء اللغة أن لفظة الدرهم فارسية الأصل ، وقد عربت ، وقالوا في جمعهـا دراهم ودراهيم[1] . وهو نقد من الفضة . وقـد عرف بـ (درم) Diram في الفارسية وبـ (درخمة) (درخما) Drachma في اليونانية . والظاهر أن العرب أخـذوا بالتسمية الفارسية . وقد استعملوا في تعـاملهم دراهم الفرس ودراهم اليونان .

وأشير الى الدراهم في الآية : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا فيه من الزاهدين »[2] . ويذكر المفسرون أنه كان من عادة الجاهليين التعامل بوزن الدراهم بالأواقي إن زاد عددها على وزن أوقية،وكان وزن الأوقية أربعين درهماً. فما نقص عن هذا المقدار،جرى التعامل عليه بالعدد ، وما زاد عليه جرى التعامل عليه بالوزن[3] .

وكانت الدراهم مختلفة كباراً وصغاراً ، فكانوا يضربونها مثقالاً ، وهو وزن عشرين قيراطاً ، ويضربون عشرة قراريط ، وهي أنصاف المثاقيل . وكان أهل الجاهلية يتعاملون بها حسب وزنها . وهي دراهم الأعاجم[4] .

وقد قسّم العلماء الدراهم التي كان يستعملها الجاهليون من أهل مكة وغيرهم الى نوعين : الدراهم السود الوافية ، والدراهم الطبرية العتق . والوافية هي البغلية. وكان لهم دراهم تسمى (جوراقية) . والدرهم الطبري : ثمانية دوانق ، والدرهم البغلي : أربعة دوانق ، وقيل العكس . والدرهم الجوراقي : أربعة دراهم ونصف[5].

وورد ان الدراهم كانت في أيام الفرس مضروبة على ثلاثة أوزان: منها درهم على وزن المثقال عشرون قيراطاً ، ودرهم وزنه عشرة قراريط ، ودرهم وزنـه اثنا عشر قيراطاً[6] .

---

١ قال الفرزدق :

تنفـي يداهـا في كل هاجـرة نفـي الدراهيم تنقـاد الصياريف

تاج العروس (٨/٢٩٨) ، (درهم) .

٢ سورة يوسف ، الآية ٢٠ ، المفردات (١٦٨) .

٣ تفسير الطبري (١٢/١٠٢ وما بعدها) .

٤ فتوح البلدان (٤٥١) ، (أمر النقود) .

٥ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى الحنبلي (ص ١٠٨ ، ١٥٨ وما بعدها) ، (تحقيق محمد حامد الفقي) ، الاموال ، لابي عبيد (رقم ١٦٢٢) .

٦ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٥٩) ، الاحكام السلطانية للماوردي (١٥٣) .

وعرفت دراهم الأكاسرة بـ (دراهم الأسجاد) . قيل انها عرفت بذلك ، لأنها كانت عليها صور يسجدون لها ، وقيل : كانت عليها صورة كسرى ، فمن أبصرها سجد لها ، أي طأطأ رأسه لها وأظهر الخضوع . وإياها عنى الأسود بن يعفر النهشلي في رواية من الروايات بقوله :

من خمر ذي نطف أغنّ منطق وافى بهـا كدراهم الأسجاد[1]

وذكر في رواية أخرى ، ان الأسجاد : اليهود والنصارى ، أو معناه الجزية[2] .

وكان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم من العين والورق غير خالصة، إلا انها كانت تقوم في المعاملات مقام الخالصة وكان غشها عفواً لعدم تأثيره بينهم الى أن ضربت الدراهم الاسلامية فتميز المغشوش من الخالص[3] .

وورد انه كانت باليمن دراهم صغاراً ، في الدرهم منها دانقين ونصف[4] . وورد ان الدرهم اليمني كان دانقاً[5] . ويظهر انه كان من أيام الحميريين ، بدليل تسمية (الماوردي) لهذه الدراهم بدراهم حميرية ، وكانت كما يقول قليلة[6] .

وعلى هذا يكون أهل مكة قد تعاملوا في الجاهلية بعملة الروم،وبعملة الفرس، وهي الدراهم على الأكثر ، وبعملة اليمن ، وأشار بعض العلماء الى عملة مغربية ، لم يذكروا عنها شيئاً[7] .

وذكر أن (عمر بن الخطّاب) ، أمر بضرب الدراهم على نقش الكسروية ، وشكلها بأعيانها ، غير أنه زاد في بعضها : (الحمد لله) ، وفي بعضها : (محمد رسول الله) ، وفي بعضها ، (لا إلـه إلا الله وحده) . وكان ذلك سنة ثماني عشرة من الهجرة . وفي آخر مدة عمر وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل . فلما بويع (عثمان) ضرب في خلافته دراهم نقشها : (الله أكبر) .

---

١ تاج العروس (٢/٣٧٢) ، (سجد) .
٢ تاج العروس (٢/٣٧٢) ، (سجد) .
٣ الاحكام السلطانية ، للماوردي (١٥٤) ، لابي يعلى (١٦٣) .
٤ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٥٩) .
٥ المصدر نفسه (ص ١٦٢) ، الاحكام السلطانية ، للماوردي (١٥٤) .
٦ الاحكام السلطانية ، للماوردي (١٥٤) .
٧ شرح النووي على صحيح مسلم (٤/٣٢٣) ، (حاشية على ارشاد الساري) .

وفي عهد (معاوية) ، ضرب الدراهم السود الناقصة من ستة دوانق ، فتكون خمسة عشر قيراطاً ، تنقص حبة أو حبتين . وضرب منها (زياد) ، وجعل وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، وكتب عليها ، فكانت تجري مجرى الدراهم. ولما قام (عبدالله بن الزبير) بمكة ضرب دراهم مدورة ، وكان أول من ضرب الدراهم المستديرة ، وكان ما ضرب منها قبل ذلك ممسوحاً غليظاً قصيراً ، فدورها عبدالله . وضرب مصعب بن الزبير دراهم بالعراق ، وجعل كل عشرة منها سبعة مثاقيل . فلما استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان ، ضرب الدنانير والدراهم في سنة ست وسبعين من الهجرة [1] .

وجاء في رواية أخرى أن أصحاب رسول الله كانوا يتعاملون بدراهم العجم، فكان إذا زافت عليهم أتوا بها السوق ، فقالوا : من يبيعنا بهذه ؟ وذاك أنه لم يضرب النبي ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا علي ، ولا معاوية[2]. وأن أول من ضرب المنقوشة عبد الملك بن مروان[3] . ونجد بين العلماء اختلافاً في أول من أمر بضرب الدنانير والدراهم في الاسلام .

وذكر بعض أهل الأخبار ، أنه كانت لقريش أوزان في الجاهلية ، فدخل الإسلام ، فأقرت على ما كانت عليه ، كانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهماً ، وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً ، فكل عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير . وكان لهم وزن الشعيرة وهو واحد من الستين من وزن الدرهم، وكانت لهم الأوقية وزن أربعين درهماً ، والنش وزن عشرين درهماً ، وكانت لهم النواة وهي وزن خمسة دراهم ، فكانوا يتبايعون بالتبر على هذه الأوزان . وقد أقرهم الرسول على ذلك [4] . وكانوا يحتفظون بالأوزان المقررة ، حتى إذا حدث اختلاف على الوزن ، رجعوا الى الوزن المقرر المعتبر . وكان (أبو وداعة ابن ضبيرة السهمي) يمتلك وزن مثقال في الجاهلية ، يوزن به[5] .

---

١ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى الحنبلي (ص ١٦٠ وما بعدها الحاشية) .
٢ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٥) .
٣ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٤) ، وللمقريزي رسالة في النقود القديمة والاسلامية مطبوعة .
٤ فتوح البلدان (٤٥٢ وما بعدها) ، (أمر النقد) .
٥ فتوح البلدان (٤٥٢) ، (أمر النقد) .

وقد كانوا يثلمون أطراف الدينار والدرهم ، أو يقطعونهما قطعاً ، فيتعاملون بالقطع حسب الوزن ، ويفعلون ذلك غشاً ، كما كانوا يكسرون النقود ، للتأكد من صحة معدنها ، أو لتحويل الدنانير الى تبر[1] . وقد نهي في الاسلام عن التلاعب بالعملة ، مثل قرضهم أطراف الدراهم والدنانير بالمقراض ، لغرض الاستفادة من تلك القراضة ، إذ يجمعونها فيسبكونها ، فيخرجون بذلك النقد المقروض عن سعره[2] .

والدرهم اذا عدل المثقال ، فهو درهم واف ، وهو الذي لا يزيد ولا ينقص بل وفى بزنته[3] .

وأطلق علماء اللغة على الدرهم لفظة (الوَرِق) ، وعلى الموسر المالك للدراهم المورق ، وسمّوا الفضة وَرِقاً[4] . وقد وردت اللفظة في نصوص المسند ، وكأنها نوع من أنواع العُملة ، أو وزن . فورد (خمسي ورقم) ، أي (خمسين ورق)[5] ، و (عشر ورقم) ، أي (عشر ورق) ، فكأن لفظة (ورق) هنا اسم علم لنوع معين من العملة ، أو وزن معين وعيار كان معروفاً عندهم . وذهب بعض العلماء إلى ان الورق : الذهب . وهذا التفسير ينطبق مع ما ذهب اليه المستشرقون من أن لفظة (ورق) في المسند ، تعني ذهباً . ولو فسرناها بهذا المعنى أيضاً ، فإن ذلك لا يمنع من أن يكون المراد من (ورقم) عملة خاصة ضربت من ذهب . وأرجح ان المراد منها عملة خاصة عرفت بهذه التسمية .

وذكر بعض العلماء أن الورق : المال ، ورجل وَرّاق كثير المال . والدراهم بعينها والفضة[6] .

---

١ (وفي الحديث : نهى عن كسر السكة الجائزة بين المسلمين الا من بأس ، يعني الدنانير والدراهم المضروبة ، أي لا تكسر الا من أمر يقتضي كسرها ، اما لرداءتها أو في صحة نقدها ... وقيل : كانت المعاملة بها في صدر الاسلام عددا لا وزنا ، وكان بعضهم يقص أطرافها فنهوا عن ذلك) ، اللسان (٦/٢٠) ، (بأس) .

٢ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٦) .

٣ تاج العروس (١٠/٣٩٤) ، (وفى) .

٤ تاج العروس (٧/٨٥ وما بعدها) ، المخصص (١٢/٢٤) ، « باب بيع الورق بالذهب نسيئة » ، عمدة القارىء (١١/٢٩٦) ، اللسان (٠/٣٧٤ وما بعدها) ، (ورق) .

٥ Rep. Epigr. 4337.

٦ الاشتقاق (١٠٢) .

وأطلق أهل الحجاز على الدرهم والدينار لفظة (الناض) ، وذلك إذا تحول عيناً بعد أن كان متاعاً . وفي حديث (عمر) كان يأخذ الزكاة من ناض المال ، وهو ما كان ذهباً أو فضة ، عيناً أو ورقاً . وقالوا إن النض هو الدرهم الصامت[1]. أما إذا كان الدرهم رديئاً ، فيعبرون عنه بلفظة (بهرج) و (قسيّ) . فيقولون درهم بهرج ، أي رديء ، وكل مردود عند العرب بهرج ونبهرج . وذكر بعض العلماء أن اللفظة فارسية من (نبهرة) ، وأنها بمعنى الباطل والرديء،والدرهم البهرج الذي لا يباع به لرداءته ، والذي فضته رديئة وكل رديء من الدراهم وكل مردود عند العرب بهرج[2] .

وتعرف الدراهم بـ (قطاع) بلغة هذيل[3] .

ودرهم زائف مغشوش ، مردود لغش فيه . يقال درهم زيف وزائف . وزاف فلان الدراهم جعلها زيوفاً[4] . ودراهم فسول ، دراهم زائفة ، وأفسل عليه دراهمه ، اذا زيفها . « ومنه حديث حذيفة انه اشترى ناقة من رجلين وشرط لهما من النقد رضاهما ، فأخرج لهما كيساً فأفسلا عليه ، ثم أخرج كيساً فأفسلا عليه ، أي أرذلا وزيفا منها . وأصلها من الفسل وهو الرديء الرذل من كل شيء »[5] . وكان (عبدالله بن مسعود) يكسر الزيوف وهو على بيت المال[6] .

ويعبر عن الدراهم الموزونة بـ (دراهم مجربة)[7] ، لأنها مجربة . وقد ظهر من التجربة انها صحيحة غير منقوصة .

وقد ورد في الأخبار ، ان الخمسمائة درهم ، كانت تعادل في أيام النبي اثني عشرة أوقية ونش[8] . وأن الدرهم سبعة دوانيق ، وكل عشرة دراهم سبعة

---

١ تاج العروس (٥/٩٠) ، (نض) .
٢ تاج العروس (٢/١٠ وما بعدها) ، (بهرج) .
٣ تاج العروس (٥/٤٧٤) ، (قطع) .
٤ المخصص (١٢/٢٧) ، تاج العروس (٦/١٣٣) ، (زاف) .
٥ تاج العروس (٨/٥٨) ، (فسل) .
٦ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٧) .
٧ تاج العروس (١/١٨١) ، (جرب) .
٨ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٢) .

مثاقيل[1] . و (النش) نصف أوقية ، وهو عشرون درهماً ، لأنهم يسمون الأربعين درهماً أوقية ، ويسمون العشرين نشاً ، ويسمون الخمسة نواة[2] .

وقد ذكر علماء اللغة نقداً دعوه (النُمّي) ، وقالوا إنه الدرهم الذي فيه رصاص أو نحاس ، وقال بعض آخر إنه الفلس من الرصاص بالروميّة ، وكانت بالحيرة على عهد النعمان بن المنذر[3] . قال النابغة أو أوس بن حجر :

وقارفت وهي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمي سفسير[4]

و (الدانق) من الأوزان ومن النقد . وهو (داناق) ، أيضاً ، من أصل فارسي هو (دانك) في الفهلوية ، ومن Dang و (دانك) Danak في الفارسية ، وهو (دنك) Dank في الارمية[5] . وهو يعادل سدس الدينار أو سدس درهم . وكان معروفاً عند أهل مكة في الجاهلية[6] .

أما (الفلس) ، فلفظة لاتينية يونانية الأصل ، عرّبت من أصل Follis اللاتيني ، ويراد بها نقود مسكوكة من النحاس . وقد استعملها العرب في تعاملهم واحتفظوا بالأصل الأجنبي . وقد كان الفلس في أيام القيصر (أنستاس الأول) (أنسطاسيوس الأول) (٤٩١ – ٥١٨ م) زهاء ثلاثين غراماً ، ووسم بالحرف M . وظهرت بعد ذلك فلوس بأوزان تقل عن هذه . ولما ضرب المسلمون النقد ، كانت الفلوس في جملة ما ضرب من نقد[7] .

---

١ شرح النووي على صحيح مسلم (٤/٣٢٤) ، (حاشية على الاصابة) .

٢ تاج العروس (٤/٣٥٦) ، (نش) .

٣ تاج العروس (٩/٨٥) ، (نم) ، (ن/م/م) ، (١٠/٣٧٨) ، (نمى) ، اللسان (١٢/٥٩٣) ، (نمم) .

٤ تاج العروس (٣/٢٧٢) ، (السفسير) ، (٩/٨٥) ، (ن/م/م) .

٥ Ency., I, p. 912.

٦ اللسان (١١/٣٩٤) ، (دنق) ، القاموس (٣/٢٣٢) ، تاج العروس (٦/٣٤٩) ، (دنق) .

٧ تاج العروس (٤/٢١٠) ، (الفلس) ، Ency., II, p. 47.

وذكر بعض أهل الأخبار ان (القيراط) جزء من الدينار أو الدرهم . وقد ذكر (القيراط) في الحديث . في حديث رعي الرسول غنم قريش وفي أحاديث أخرى[1] . وذكر بعض العلماء ان العرب لم تكن تعرف القيراط الذي هو من النقد[2] . وذكر (ابن الأثير) ان القيراط جزء من أجزاء الدينار ، وهو نصف عشرة ، ويظهر أن منهم من كان ستعمله وزناً ، ومنهم من جعله جزءاً من الدنانير والدراهم[3] .

---

١ ارشاد الساري (١٢٧/٤) .
٢ المصدر نفسه .
٣ تاج العروس (٢٠٣/٥) .

الفصل الثاني عشر بعد المئة

الصناعة والمعادن والتعدين

الصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة . ورجل صنع ، حاذق في الصنعة، وعماد الصانع على يديه ، يستعملها في صنع الأشياء ، كما يعتمد على ذكائه في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى أهم منها أو أي شيء آخر يريده ، أو يطلب منه . وهو بالطبع من أهم العناصر المنتجة اللازمة في الحياة الاقتصادية ، فهو محور الانتاج ، وعلى قدر انتاج أمة ، يقاس غناها ومقدار تقدمها في الحياة وتكون منزلتها بين الشعوب . فبالصناعة يتم تحويل المواد الخام ، الفائضة عن الحاجة ، إلى مواد أخرى أفيد منها ، تستهلك في الأسواق المحلية ، أو تباع في الأسواق الخارجية .

والحِرفة ، الطعمة والصناعة التي يرتزق منها ، وهي جهة الكسب . وكل ما اشتغل الإنسان به وضرى بـه ، أي أمر كان فإنه عند العرب يسمى (صنعة) و (حرفة) . يقولون : صنعه فلان أن يعمل كذا ، وحرفة فلان أن يفعل كذا ، يريدون دأبه وديدنه . ذكر أن (علي بن أبي طالب) ، قال : «إني لأرى الرجل ، فيعجبني ، فأقول ، هل له حرفة ؟ فإن قالوا : لا سقط من عيني »[1] .

و (المهنة) ، عند العرب الحذق بالخدمة والعمل . وامتهنه : استعمله للمهنة

---

١ تاج العروس (٦٩/٦) ، (حرف) .

وابتذله ، والماهن : العبد والخادم[1] . والمهنة العمل ، والعامل هو الذي يقوم بعمل ما ، والعملة العاملون بأيديهم ، وهم الذين يرتزقون بعمل أيديهم . والعمالة رزق العامل الذي جعل له على ما قلد من العمل . ومن العملة : العاملون في طين ، أو في حفر ، أو في بناء أو غير ذلك . وعامله معاملة سامه بعمل . والأعمال الذين يقومون بما تحتاج اليه من عمارة وزراعة وتلقيح وحراسة ونحو ذلك . وما يعطاه العامل من أجر العمل هو (العملة)[2] .

وأغلب العَمَلة فقراء لا يملكون شيئاً ، رزقهم بعملهم ، فإذا مرض أحدهم أو أصيب بعاهة انقطع رزقه . ثم ان أجورهم قليلة وأرزاقهم من عملهم شحيحة، ولذلك كانت حياتهم ضنكة . عليهم العمل قدر الإمكان لإعاشة أنفسهم وذويهم، والمشي على أرجلهم بحثاً عن عمل . ولهذا فلا عجب إذا ما عرفوا بـ (بني عمل). و (بنو عمل) المشاة على أرجلهم من المسافرين . الذين وصفهم أحدهم الأعراب فقال :

يحث بكراً كلما نص ذمل قد احتذى من الدماء وانتعل
ونقب الأشعر منه والأظل حتى أتى ظل الأراك فاعتزل
وذكر الله وصلى ونزل بمنزل ينزله بنو عمل
لا ضفف يشغله ولا ثقل[3]

والحرف ، أي العمل باليد من الأمور المستهجنة عند الأعراب ، وعند أكثر العرب أيضاً ، فلا يليق بالعربي الشريف الحرّ ، أن يكون صانعاً ، لأن الصناعة من حرف العبيد والخدم والأعاجم،والمستضعفين من الناس . وقد سبق أن تحدثت عن مكانة الصناع في المجتمع ، وعن ازدراء الناس لهم ، على الرغم من احتياجهم اليهم ، وكونهم الطبقة المنتجة المثمرة في المجتمع ؛ وأن أيديهم هي التي تصنع ما يحتاج الإنسان اليه من حاجات ، ومدحهم الرجل الصنع اليد ، بقولهم : « رجل صنع اليدين » . أي حاذق ماهر في الصنعة مجيد من قوم صنعى الأيدي،

---

١ تاج العروس (٩/٣٥٤ وما بعدها) ، (مهن) .
٢ تاج العروس (٨/٣٥) ، (عمل) .
٣ تاج العروس (٨/٣٥) ، (عمل) .

حتى أنهم كانوا إذا وصفوا انساناً بالبلاغة ، قالوا : رجل صنع اللسان ، ولسان صنع . قال الشاعر حسان بن ثابت :

أهدى لهم مدحى قلب يوازره فيما أراد لسان حـائك صنع[1]

ولا تقوم صناعة ، إلا في مكان تتوفر فيه امكانياتها من استقرار وأمن، ومن وجود حاجة اليها ، ومن توفر المواد الأولية فيها ، والمواد الخام اللازمة لهـا . ومعنى هذا وجـود مكان حضري . أما البداوة ، فحاجاتها الى الانتاج قليلة ، لسذاجة الحياة وبساطتها فيها . ولهذا تكون الصناعة فيها بسيطة ، بساطة تتناسب مع بساطة ذلك المجتمع البدوي ، ومع درجة بداوته ، ولهـذا تفاوتت مستويات الصناعة البدوية ، بتفاوت مستوى البداوة ، وبتفاوت درجة حاجاتها الى الأشياء . فالبداوة المنعزلة عن الحضارة، التي قلّ اتصال أبنائها بالحضر ، وبالعالم الخارجي، وشحت خبراتها ومواردها الأولية ، لا يمكن أن تظهر فيها صناعة متطورة ، ولا يعقل نموّ عمل مزدهر فيهـا ، لانعدام الموارد الطبيعية المغذية للعامل ، وللسادة أصحاب المال ، ولعدم وجود حاجة اليها مع تلك البداوة القانعة بالبساطة في الحياة ؛ ومن هنا نجد ، أن الصناعة ، لم تتطور ، إلا في المجتمعات المتطورة،التي توفرت فيها امكانيات التصنيع ، وشعرت بضرورة الاستفادة من الثروات الطبيعية المتوفرة لديها بتصنيعها ، أي بتحويلها الى موارد أخرى يحتاج اليها ، وتوفرت فيها الوسائل اللازمة لظهور الصناعة .

والمجتمعات البدوية مهما كانت من البداوة أو البدائية ، فإنها لا تخلو من وجود صناعات بها . صناعات بدائية ، هي من ناتج حاجات ذلك المجتمع ، وناتجهـا يتناسب بالطبع مع حالة تلك البداوة . ولا يصح نفي وجود الصناعة بها .

وقد لعب الرقيق والموالي دوراً كبيراً في أعمال الحرف والزراعـة في جزيرة العرب . إذ استخدموا في التعدين وفي الزرع . وقد ذكر (الهمداني) أنه كان بمعدن (شمام) ألوف مـن المجوس الذين يعملون المعدن ، حتى أنه كان لهم بيتا نارٍ يعبدان في ذلك المكان[2] . وذكر أنه كان بـ (جهران) قوم من وضيع

---

١ تاج العروس (٥/٤٢١) ، (صنع) .
٢ الصفة (١٤٩) .

تبع ، أي من الطبقة الوضيعة ، وكذلك بـ (قتاب) ، حيث نسبوا الى (تبع) قوله :

فسكنت العراقَ خيارَ قومي وسَكَنَت النبيط قرى قتاب[1]

وكان بمدينة العقيق ، وهي معدن، ماثلا يهودي[2] . ولم يذكر (الهمداني) متى كانوا هناك ولا سبب وجودهم بهذا الموضع ، للاتجار أو للعمل بالمعدن .

وقد نتج من هجرة الأجراء والصناع الى القرى والمدن اختلاط في السكان ، لا يحدث مثله عند أهل الوبر . وهو مما جلب ازدراء الأعراب على الحضر ، فكان سكان (ذمار) جمع من حمير ومن أنفار من الأبناء . وكان أهل (جهران) من بطون حمير ، وقوم من وضيع تبع[3] . وقد استعمل الهمداني لفظة (أخلاط) للتعبير عن اختلاط سكان موضع ما ، ووجود عناصر متباعدة فيه لا ترجع الى قبيلة واحدة[4] . واستعمل لفظة (خليط) كذلك[5] ، لأن مدن اليمن وقراها كانت خليطاً من بطون ترجع الى عشائر مختلفة . وهي سمة الحياة الحضرية ، حيث يفد الناس الى مواضع الحضارة من مختلف البطون والعشائر .

وقد استعمل (الهمداني) لفظة (لخوم العرب) في معنى بطون العرب، وكذلك لفظة (طخوم) في المعنى ذاته[6] . وذلك في أثناء حديثه عن المواضع التي اختلط فيها السكّان لوجود فرص العمل بها والرزق الوافر الجزيل .

الإجارة :

والأجر والأجرة يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد[7] . والاجارة

---

١ الصفة (١٠٤) .
٢ الصفة (١٥٣) .
٣ الصفة (١٠٤) .
٤ الصفة (٩٥) ، (وفيهم أخلاط من بني غيلان ...) .
٥ الصفة (٥٤) .
٦ الصفة (١٦٥) .
٧ المفردات (ص ٩) .

ما أعطيت من أجر في عمل[1] . وهي شرعاً عقد على منفعة مقصودة معلومة قابلة للبذل والإباحة بعوض معلوم[2] . وهي واسعة تشمل نواحي متعددة من فروع الاستئجار.

والأجير ، من يشتغل لغيره في مقابل أجر يدفع له . والأجـــرة ، الكراء . وهو ما يعطى الأجير في مقابلة العمل[3] . منهم من يشتغل في الحرف، مثل النجارة والحدادة والبناء وأمثال ذلك ، ومنهم من يشتغل في الزراعة ، ومنهم من يستأجر لأداء أعمال لأجل ، مثل خدمة القوافل ، أو حراسة زرع وما شابه ذلك، فاذا انتهى الأجل انتهى العمل .

وما يدفع الى الأجير في مقابل عمله ، يتوقف على الشروط التي اتفق صاحب الأرض مع الأجير عليها . فقد يكون الأجر نقداً ، ويقال لذلك (ورقم) (ورق) في لغة المسند . وهو في القليل ، لقلة النقد آنذاك . وقد يكون حصة، أي نصيباً يتفق عليه مع الملاك يؤخذ من الحاصل ، وقد يكون مقايضة ، بأن يدفع للأجير ما يحتاج اليه في حياته من ملبس أو غذاء،أو حيوان ، وأمثال ذلك ، في مقابل جهده وتعبه .

ومن ذلك استئجار الإنسان للقيام بتنفيذ عقد يحدد ويبين ويتفق عليـه ، كأن يقوم برعي النعم والماشية مقابل مبلغ من مال أو شيئاً آخر يتفق عليـه ، كالذي روي من أن الرسول رعى غنم قريش عـــلى قراريط[4] . أو استئجار شخص أو أشخاص للعمل في سفينة أو في أرض أو لارشاد قافلة أو نفر الى طريق للوصول الى موضع[5] . أو استئجار رجـــل ليعمل عملاً يحدد بأجل ، أي بوقت ، كأن يحدد بالساعات أو النهار أو الليل كالحراسة أو أياماً أو شهوراً أو سنة او أكـثر أو بغير أجل موقوت[6] . أو استئجار رجل للقيام بعمل محدود معـين كالغزو[7] ، أو الحمل ، أي أن يحمل حمـــلاً ينقله الى موضع يعين له . أو ينقله من مكان الى مكان[8] .

---

١ اللسان (٤/١٠) .
٢ ارشاد الساري (٤/١٢٦) .
٣ تاج العروس (٣/٧) ، (أجر) .
٤ ارشاد الساري (٤/١٢٦ وما بعدها) .
٥ ارشاد الساري (٤/١٢٧ وما بعدها) .
٦ ارشاد الساري (٤/١٣١ وما بعدها) .
٧ ارشاد الساري (٤/١٢٩ وما بعدها) .
٨ ارشاد الساري (٤/١٣٥) .

ومن ذلك استئجار النبي (عبدالله بن أريقط) من (بني الديل) ، ثم من (بني عدي) ليكون هادياً له للطريق يوصله الى يثرب ، فساحل به وبأبي بكر وبعامر بن فهيرة ، حتى بلغ يثرب . وكان قد ساحل ، لأن أهل مكة كانوا يتبعون طريق (بدر) الى المدينة ، فأراد التخلص بذلك من تعقيبهم له[1] . واستئجار المقاتلين ، للقتال عنهم . فقد كان أحدهم يعتذر عن المشاركة بنفسه في القتال لوجود أسباب مانعة ، فيرسل غيره للقتال عنه ، يدفع اليه أجراً عن ذلك[2] .

و (الكروة) و (الكراء) أجرة المستأجر . والمكاري ، هو الذي يكري دابته لغيره ، في مقابل (كروة)[3] . والمكارين ، هم الذين يكرون دوابهم ، وتدخل الإبل فيها ، فقد كان من أصحاب الإبل من يكاري إبله للتجار ولغيرهم تنقلهم الى مسافات بعيدة أو قريبة .

ويستخدم الملاكون وسادة الأرض الأجراء ممن لا أرض لهم ولا مال لديهم يحصلون به على أرض يستغلونها ، في الاشتغال بأرضهم وبمزارعهم لإصلاحها وزرعها وبنائها . ويعرف هؤلاء بـ (ملجا) في بعض نصوص المسند . واللفظة من أصل (لجا) التي هي لجأ في عربيتنا . ويقيم اللاجيء في ملجئه ويتمتع بحماية صاحبه وسيده ما دام فيه ، يزرع ويبني لسيده في مقابل هذه الحماية التي يتمتع بها والحماية التي تحميه من أي ظلم أو اعتداء[4] .

ويعبر عن الأجراء الذين يستخدمهم الملاكون في زراعة الأرض واستغلالها مقابل أجر يدفع لهم بلفظة (اجرم) في المسند[5] . أي أجير وأجراء . والأجراء جماعة كبيرة ، تنقلت من ملك الى ملك ، ومن خدمة سيد الى خدمة سيد آخر ، لتخدم ملاكاً في مقابل أجر يتفق عليه ، وعقد يبرم بين المالك والأجير ، فإذا انتهى العقد أو العمل ، أو رأى المالك انتفاء الحاجة الى خدمة الأجير ، أنهى عمله . وقد كان الأجراء طبقة بائسة لا تملك شيئاً غير عمل يدها ، ولهذا كانت مضطرة بحكم فقرها هذا الى التنقل من مكان الى مكان للحصول على عمل تقتات

---

١ ارشاد الساري (٤/١٢٨) .
٢ ارشاد الساري (٤/١٣٠) .
٣ تاج العروس (١٠/٣١٣) ، (كرى) .
٤ Kat. Texte, II, S. 36.
٥ Jamme, South Arabian Inscriptions, pp. 76, 77.

منه . فكانت من جملة المشكلات الاجتماعية التي تعرضت لهـا حكومات جزيرة العرب في ذلك العهد .

وجاء في أحد النصوص المعينية : « كل معنم حرم واجرم) ، أي : « كل معين أحرار وأجراء » . ويقصد بـ (كل معـين) كل شعب معين[1] . فقسم هذا النص شعب معين الى أحرار ، والى أجراء . وهم أكثر حرية من (الأدم) ، أي (العبيد) والرقيق ، لأنهم يشتغلون بأجر وبعقود يتفقون عليها ، فاذا انتهى العقد ، أو حصل خلاف،جاز للأجير الانتقال الى موضع آخر ، أو الى صاحب محل آخر للعمل لديه ، على حين لا يجوز للعبد فعل ذلك ، لأنه ملك يمين .

ومن أجراء الزراعة أجراء (المحاينة) ، يؤدون خدماتهم موسم الحصاد ، وينالون أجرهم في مقابل حصاد الحصاد ، حسب ما اتفق عليه . فهم يحصدون الزرع وينقلونه مع سنبلـه الى موضع تجميعه[2] . ويكون ذلك في المزارع الكبيرة التي تحتاج الى أعداد كبيرة من حصاد الزرع .

واليمن ، هي في مقدمة أجزاء جزيرة العرب في الصناعة ، ولا نكاد نجد في جزيرة العرب مكاناً يسبقها فيها . وهي الأولى في الانتاج أيضاً . وقـد عرفت منتجاتها في كل موضع من بلاد العرب . وهي المكان الوحيد فيها ، الذي زادت صادراته فيه على وارداته ، وكان مستواه المعاشي فيه أعلى من المستوى المعـاشي لبقية أجزاء جزيرة العرب . وكان مستهلكاً ومنتجاً ، لحاجتـه الى الاستهلاك . ثم هو المكان الوحيد ، الذي نجد فيه التمايز الطبقي ، والعنعنات الطبقية واضحة ظاهرة ، لتباين الظروف المعاشية التي عاشت فيها طبقات المجتمع ، فأسياد أغنياء، وطبقات وسط ، وطبقات فقيرة معدمة ، لا تجد رزقها إلا بشق الأنفس .

ولم تبرز صناعة اليمن في نوع واحد أو في صنف معين ، بل برزت في كل نوع من أنواعها المعروفة في ذلك العهد ، والتي دعت الحاجة الى ظهورها ، والتي وجدت موادها الأولية فيها . مثل صناعة الحديد واستخراج المعادن ، وتحويلهـا الى مصنوعات ، والنجارة والحياكة ، والدباغة ، والأصباغ والصموغ ، وغير ذلك من صناعات اشتهرت اليمن بها وارتبط اسمها بها .

---

١ النقش رقم ٥ ، الفقرة ٣ من كتاب خربة معين (ص ٥)

٢ تاج العروس (١٨٨/٩) ، (حين) .

و (الذهب) هو (ذهبن) في لغة المسند ، أي (الذهب) . ويقال له التبر أيضاً . وذكر أن (التبر) الذي في المعدن ، والذي لم يضرب ولم يصنع[1] . ومن أسمائه (العسجد) . وقيل العسجد اسم جامع يطلق على الجوهر كله كالدر والياقوت[2]. وذهب (ابريز) ، بمعنى خالص . و (العقيان) ، الذهب الخالص ، أو الذهب الذي لا يستذاب من الحجارة ، وإنما هو ذهب ينبت نباتاً[3] . مما يدل على أنهم يقصدون وجود حبيبات منه خالصة في معادنه ، يجمعونها ، فيحصلون عليه من غير نار ولا اذابة حجر . وكانوا يطحنون أحجار الذهب،ويذرون تراب المعدن، لاستخلاص الذهب منه . يقـــال : « ذريت تراب المعدن ، طلبت ذهبه »[4] . ويقال لتراب الذهب (السحالة) ، وهي أيضاً قشر البر والشعير والأرز[5] .

وكانوا يضعون المعدن في التنور ليميع ، ثم يجعلونه في (الكوج) ، ليتخلص المعدن وينقى من الشوائب[6] .

وقد ذكر الجغرافيون العرب أسماء مواضع عرفت بوجود خام الذهب بهـــا ، مثل موضع (بيشة) أو (بيش) ، وقد كان الناس يجمعون التبر منه، ويستخلصون منه الذهب[7] . و (ضنكان) ، وكان به معدن غزير من التبر[8] . والمنطقة التي بين القنفذة ومرسى (حلج)[9] . وورد أن بـ (بيش) عدة معادن[10] . وذكر (الهمداني) أن بقرية (بنات حرب) شيء من الذهب[11] . وأن معدن (صعاد)، وهو من ديار (عقيل) هو أغزر معدن في جزيرة العرب ، وهـــو الذي ذكره

---

١ تاج العروس (١/٢٥٨) ، (ذهب) .
٢ تاج العروس (٢/٤٢٢) ، (العسجد) .
٣ تاج العروس (١٠/٢٤٩) ، (عقى) .
٤ تاج العروس (١٠/١٣٦) ، (ذرو) .
٥ تاج العروس (٧/٣٧٢، ، (سحل) .
٦ بلاد العرب (٣٨٠ وما بعدها) .
٧ البلدان (٢/٣٣٣ فما بعدها) ، الصفة (١٢٧ ، ١٥٣ ، ٢٥٧) ، المسالك والممالك (١٨٨) ، فؤاد حمزة ، في بلاد عسير (٦١ فما بعدها) ، Moritz, S. 105.
٨ الصفة (١٢٠) ، (وضنكان : وهو معدن غزير ولا بأس بتبره) .
٩ Moritz, S. 110, Glaser, Skizze, S. 29.
١٠ تاج العروس (٤/٢٨٥) ، (بيش) .
١١ الصفة (٢٥٧) .

الرسول في قوله: مُطرت أرض عقيل ذهباً . مما يدل على أنه كان معدن ذهب[1]. وقد ذكر بعض العلماء أن العرب تسمي معدن الذهب (خُزَيْبة)[2] .

ومن معادن الذهب ، معدن (القُفاعة)[3] ، ومعدن (الأحسن) ، (الحسن) وهو معدن لبني كلاب ، من أول عمل المدينة وأدنى عمل المدينة الى اليمامة[4] . ومعدن (المؤخرة) ، وهو من مياه (بني الأضبط) من بني كلاب . وهو معدن ذهب وجزع أبيض[5] ، و (ثُخْب) ، وهو جبل بنجد لبني كلاب، عنده معدن ذهب ومعدن جزع[6] ،و (القَشْراء)[7] ، و (خُصَيْلة) ، ومعدن (خصلة) بحذائها ، وكان بـه ذهب[8] ، ومعدن (شيبان) ، وبه معادن الذهب والفضة والصفر[9] ، ومعدن (موزر) ، بضربة من ديار كلاب[10] ، و (ناضحة) بين اليمامة ومكة[11] ومعدن (الهردة)[12] ، ومعدن (المخلفة) ، وهو معدن ذهب جيد ، بأرض حجور . وقد وصفه الهمداني ، وذكر ما كان يستخرج منه من الذهب[13] . وقد ضبط معدن الهردة بـ (الهروة) في موضع آخر من (تاج العروس) ، وقال إنه عند (الحوأب) وبه معدن ذهب[14] ، ومعدن

---

١ الصفة (١٧٧) .
٢ كجهينة ، تاج العروس (١/٢٣٢) ، (خزب) .
٣ الصفة (٦٧ ، ٧٣) ، العرب ، السنة الثانية (الجزء الحادي عشر) (آب ١٩٦٨) ، (ص ٩٨٠ وما بعدها) ، (اشكر الدكتور صالح أحمد العلي على تقديمه هذا العدد وأعدادا أخرى من هذه المجلة الي للاستفادة منها ، ولتقديمه كتبا أخرى ، لم تكن متيسرة لدي) ، الصفة (٦٧) .
٤ بلاد العرب ، للحسن بن عبدالله الاصفهاني (ص ٣٧٠ ، ٣٨٧) « ١٩٦٨ » ، (تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح أحمد العلي) .
٥ بلاد العرب (١٩٨) ، العرب (آب ١٩٦٨) ، (ص ٩٨٤) .
٦ بلاد العرب (١٥٩ ، ١٩٩) ، تاج العروس (١/١٦٢) ، (ثخب) ، العرب (٩٨٤) ، (آب ١٩٦٨) .
٧ بلاد العرب (١٩٩) ، العرب (٩٧٩ وما بعدها) ، (آب ١٩٦٨) .
٨ بلاد العرب (٤٥) .
٩ بلاد العرب (٣٩٨) .
١٠ بلاد العرب (٢٠٠) ، العرب (٩٨٤ وما بعدها) ، (آب ١٩٦٨) .
١١ بلاد العرب (١٦٦) ، العرب (٩٨٥) ، (آب ١٩٦٨) .
١٢ بلاد العرب (١٥٤) ، تاج العروس (٢/٥٤٦) ، (هرد) ، العرب (٩٨٩) ، (آب ١٩٦٨) .
١٣ الصفة (١١٣) ، العرب (٩٨٣) ، (آب ١٩٦٨) .
١٤ تاج العروس (٣/٥٦) ، (بقر) .

(الهجيرة)[1] . ومعدن (الحراضة) ، ويقع بين (ينبع) والمروة معـــادن للذهب[2] ومعدن (الحُفير) بناحية (عماية) وهو معدن ذهب غزير ، ومعدن (الحسن) ، ومعدن (الثنية) ثنية (حصن بن عصام الباهلي) ، ومعدن تياس ، ذهب مخف بتياس[3] . و (العقيق) : وهو من معادن الذهب[4] . وهو مدينة كان فيها مائتا يهودي ونخل كثير وآبار[5] . ومعدن الضبيب ، عن يسار الضبيب[6] .

ويظهر أن منجم (مهد الذهب) ، هو المنجم الذي كان لبني سُليم ، فعرف باسمهم وقيل له : (معدن بني سليم) (معدن سُلَيم) ، وقـــد أقطعه الرسول (بلال بن الحارث)[7] . وقد عثرت شركة التعدين السعودية العربية على أدوات فيها استعملها الأولون قبل الاسلام في استخراج الذهب واستخلاصه من شوائبه ، مثل رحى وأدوات تنظيف ومدقات ومصابيح ، وشاهدت آثار القـــوم في حفر العروق التي تكون الذهب . وقد عرف معدن (بني سليم) بـ (فران) (قران ؟) ، وقـــد نسب الى (فران بن بلي) دخلوا في (بني سليم) ، ويأخذ عليه طريق الكوفة الى مكة[8] .

وتعرف (الفضة) ، في نصوص المسند بـ (صرفن) (الصرف) . والفضة من المعادن المشهورة المعروفة في اليمن . و (الصريف) الفضة الخالصة[9] . وقد كانت جزيرة العرب في جملة الأسواق التي موّنت العبرانيين بهذا المعدن[10] .

ومن المواضع التي عرفت بالفضة (عوسجة) في بلاد هذيل . فقـــد كان

---

١ الصفة (١٥٤) ، العرب (٩٨٩) ، (آب ١٩٦٨) ، الصفة (١٥٤) .
٢ العرب (٩٩٠) ، (آب ١٩٦٨) .
٣ الصفة (١٥٢) ، البلدان (٢/٢٧٧) .
٤ الصفة (١٦٦) .
٥ الصفة (١٥٣) ، البلدان (٢/٢٧٧) .
٦ الصفة (١٥٣) .
٧ « بلال بن الحارث بن بجير » ، الاصابة (١/١٦٨ وما بعدها) ، (رقم ٧٣٥) ، الصفة (١٣١) ، Naval, p. 517.
٨ بلاد العرب (١٤٨ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٣) ، (وفران بن بلي بن عمران بن الحافي في قضاعة) ، تاج العروس (٩/٣٠٠) ، (فرن) .
٩ تاج العروس (٦/١٦٣) ، (صرف) .
١٠ Hastings, p. 619.

معدناً للفضة [1] . ومعدن (شمام) ، معدن فضة ومعدن نحاس وصفر ، « وكان به ألوف من المجوس الذين يعملون المعدن ، وكان به بَيْتا نار يعبـــدان [2] » ، ومعدن (شيبان) [3] ، ومعدن (اليحموم) .

وقد ذكر (الهمداني) أن بـ (قرية المعدن) ، معدن فضة ، فضة لا نظير لها في الغزر ، وبقربه معدن الرضراض [4] ، وهو معدن فضة كذلك ، لا نظير له [5] . وذكر صاحب كتاب بلاد العرب أن (خزبة) معدن من معادن اليمامة ، وكانت جبالها إنما هي فضة ، ثم مسخت معادنها فصارت شيئاً آخر إذا صيرت الى (الكوج) التي كانت تخلص فيه ، وتخلصت تصدعت كتصدع الزجاج ، لا ينتفع بها [6] .

و (اللجين) الفضة [7] ، و (الوذيلة) القطعة من الفضة ، وقيل السبيكـــة منها ، وقيل القطعة من الفضة المجلوة ، ولعل ذلك هو الذي حمـل الطائيين على تسمية المرآة (الوذيلة) ، لأن المرآة في ذلك الوقت صفيحة من المعدن مجلوة ، ينظر فيها [8] .

وقد كانت السلطات الحاكمة تأخـــذ (الخمس) من معادن (الفرع) ، و (نجران) ، و (ذي المروة) ، و (وادي القرى) [9] . مما يدل على ان الناس كانوا يستغلون مناجم هذه الأرضين في الاسلام .

ويظهر ان ما كان يستخرجه أهل الجاهلية من الذهب والفضة من معادنهما لم يكن بمقياس واسع وبكميات كبيرة تصلـــح للتصدير الى الخارج ، بدليل اننا لم نعثر على خبر عنه لا في كتابات المسند ولا في روايات أهـل الأخبار ، ثم انهم لو كانوا يستخرجون المعدنين المذكورين بكميات وافرة ، لاستمروا على الاستخراج ولحسنوا كيفية استخلاص المعدنـــين المذكورين من معدنهما الى ظهور الاسلام ،

---

١ تاج العروس (٢/٧٤) ، (عسج) ، بلاد العرب (٢٤١) ، الصفة (١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٣) .
٢ بلاد العرب (٢٣٦) ، الصفة (١٤٩ ، ١٥٤) .
٣ بلاد العرب (٣٩٨) .
٤ الصفة (٨١) .
٥ الصفة (٢٠٢) .
٦ بلاد العرب (٣٧٩ وما بعدها) .
٧ تاج العروس (٩/٣٣٠) ، (لجن) .
٨ تاج العروس (٨/١٥٣) ، (وذل) .
٩ البلاذري ، فتوح (٢٧) .

ولأشير الى ذلك حتماً في الموارد الاسلامية ، ولما سكتت هذه الموارد عن الاشارة اليها .

وقد استخدم أهل اليمن الرصاص في كثير من الأعمال ، منها صبه في أسس الأعمدة،وبين مواضع اتصال الحجارة ، لترتبط بعضها ببعض . وقد عثر المنقبون على بقايا منه في مواضع متعددة من الأماكن الأثرية باليمن . والرصاص ضربان : أسود ، وهو الأسرب والأبار ، والأبيض ، وهو القلعي . وقد عرف بالآنك ، والأسرب ، والأسرف ، والصرفان . وشيء مرصص مطلي بـه . وكانوا يطلون الأواني به ، ويشربون بها[1] . وذكر أن (الآنك) ، هو الأسرب ، وهو الرصاص القلعي ، أو أبيضه ، أو أسوده ، أو خالصه ، وذكر أن الآنك بمعنى الخالص ، وأنهم كانوا يقولون:هذا رصاص آنك ، بمعنى هذا رصاص خالص[2] . وقال بعض العلماء : الانك هو القزدير (القصدير) . وورد في الحديث : من استمع الى مغنية صب الله الآنك في اذنيه يوم القيامة[3] . والأسرب ، الآنك ، وهو الرصاص ، واللفظة من المعربات ، عربت من أصل فارسي[4] . والأسرف، لفظة معربة أيضاً ، تعني الآنك ، من أصل فارسي،هو (سرب)[5] . و(الصرفان) هو الرصاص القلعي ، وقيل النحاس[6] . وأرى أن الرصاص القلعي ، هو رصاص استخرج من (القلعة) موضع باليمن ، بوادي (ظهر) به معدن حديد ، واليه نسبت السيوف القلعية . زعموا أن (الجن) تغلبت عليه[7] .

وللحديد معدن في (رُغافة) ، باليمن على مرحلة من صعدة[8] . وفي (قساس) ذكر انه جبل بديار بني نمير ، وقيل بني أسد فيه معدن حديد . وذكر أهل الأخبار اسم موضع آخر عرف بوجود معدن الحديد فيه ، قالوا انه بأرمينية منه

---

١ القاموس (٢/٣٠٤) ، تاج العروس (٤/٣٩٧) ، (رص) .
٢ تاج العروس (٧/١٠٤) ، (أنك) .
٣ تاج العروس (٧/١٠٤) ، (انك) .
٤ تاج العروس (١/٢٩٧) ، (سرب) .
٥ تاج العروس (٦/١٣٨) ، (سرف) .
٦ تاج العروس (٦/١٦٤) ، (صرف) .
٧ تاج العروس (٥/٤٨٠) ، (قلع) .
٨ العرب (١٩٩ وما بعدها) ، (آب ١٩٦٨) .

السيوف القساسية [1] . وذكر (الهمداني) أن باليمن معادن حديد غير معمولة بنقم وغمدان[2] .

ولعل كثرة الحديد باليمن ، واشتهارها به ، جعل أهل الأخبار يروون ان أول من عمل السنان من حديد هو (ذو يزن) (ديرون الحميري)[3] ، وانما كانت أسنة العرب من صياصي البقر[4] . وقد اشتهرت اليمن بسيوفها ، فالسيوف اليمانية هي من السيوف الجيدة التي اكتسبت سمعة طيبة عند الجاهليين .

و (النحاس) الصفر ، وقيل ما سقط من شرار الصفر ، أو الحديد اذا طرق[5] . والصفر ، النحاس الجيد ، وقيل هو ضرب من النحاس ، وقيل هو ما صفر منه . والصفر الذهب أيضاً[6] .

واستعملت لفظة (هاع) بمعنى سال وذاب ، في نصوص المسند ، استعملت لمناسبة صب الرصاص الذائب في أسس الأبنية وبين فواصل أحجار الأعمدة، لتشدها شداً محكماً .

والكبريت من المعادن الموجودة فى اليمن . و (ذمار) هي مركزه ومنها يجلب الى سائر أعمال اليمن[7] . وذكر انهم كانوا يكبرتون أباعرهم ، يطلونها بالكبريت مخلوطاً بالدسم والخضخاض ، وهو ضرب من النفط أسود رقيق لا خثورة فيه ، وليس بالقطران ، لأنه عصارة شجر أسود خاثر . وكانوا يستحمون في العيون التي يجري منها الماء مشوباً به ، ولها رائحة الكبريت[8] .

و (الجزع) من الأحجار التي تستعمل في الفصوص التي توضع في الأختام .

---

١ قال الراجز :
أخضر من معدن ذي قساس كأنه في الحير ذي الاضراس
ترمي به في البلد الدهاس
تاج العروس (٤/٢١٧) ، (قس) ، العرب (٩٩٢) ، (آب ١٩٦٨) .
٢ الصفة (٢٠٢) .
٣ ثمرات الاوراق (٢/١٣٣) ، (حاشية على المستطرف) .
٤ ثمرات الاوراق (٢/١٣٣) ، العقد الفريد (٣/٣٧٠) ، اللسان (٢/٤٥٢) ، الروض الانف (١/٩) ، تاج العروس (٢/١٤٥) .
٥ تاج العروس (٤/٢٥٤) ، (نحس) .
٦ تاج العروس (٣/٣٣٧) ، (صفر) .
٧ ابن المجاور (٢/١٩٠ وما بعدها) .
٨ تاج العروس (١/٥٧٥) ، (كبرت) .

وقد تحفر عليها كتابـــة أو صور[1] . وقد عثر على فصوص من هـــذا النوع في مواضع عديدة من الآثار في اليمن وفي العربية الجنوبية والغربية وفلسطين . وذكر علماء اللغة أن الجزع : الخرز اليماني الصيني ، وزاد بعضهم الصيني ، فيه سواد وبياض تشبه به الأعين . قيل إنه سُمّي جزعاً ، لأنه مجزع ، أي مقطع بألوان مختلفة . وقد أشير اليه في شعر امرىء القيس[2] . ومن الجزع : الجزع السماوي، وهو العشاري من وادي عشار[3] .

وقد اشتهرت (ظفار) بالجزع . فقيل : (جزع ظفار)[4] . قيل إنه من (ظفار الحقل) ، قرب صنعاء على مرحلتين منها ، وقيل إنه منسوب الى (ظفار أسد) مدينة باليمن[5] . وكان لعائشة عقد من جزع ظفـــار[6] . واستخرج أيضاً من جبل شبام[7] . ومن معادنه معدن ضهر ، ومعدن سعوان ، ومعـدن عذيقة ، مخلاف خولان[8] . ومن الجزع الموشى والمُسيّر ، وهو في مواضع مـن اليمن ، منها النقمى[9] .

وعرفت اليمن بالعقيق ، تتخذ منه الفصوص ، يؤتى به من اليمن من معدن له على مرحلة من (صنعاء) يقال له (مقـــرأ) (مقرى) . وهو أجود من عقيق غيرها[10] . ويوجـــد عقيق آخر يستورد من الشحـــر . وقـــد تختم

---

١ الاشارة الى محاسن التجارة (ص ١٨) .

٢ كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجـزع الـذي لم يثقب

وقال أيضا :

فأدبرن كالجـزع المفصل بينـه بجيـد معم في العشـير مخـول

القاموس (٣/١٢) ، (جزع) ، تاج العروس (٥/٣٠٠) ، (جـزع) ، ابن المجـاور (٢/١٨٤) .

٣ الاكليل (٨/٣٠) ، العرب (٩٩٨) ، (آب ١٩٦٨) .

٤ قال المرقش الاكبر :

تحلين ياقوتا وشـذرا وصنعـة وجـزعا ظفاريـــا ودارا توائمـا

تاج العروس (٥/٣٠٠) ، (جزع) .

٥ تاج العروس (٣/٣٧٠) ، (ظفر) .

٦ تاج العروس (٥/٣٠٠) ، (جزع) .

٧ ابن المجاور (٢/١٨٤) .

٨ الاكليل (٨/٣٠) ، العرب (٩٩٧ وما بعدها) ، (آب ١٩٦٨) .

٩ الصفة (٢٠٢) .

١٠ تاج العروس (١/١٠٣) ، (قرأ) .

به[1] . وذكر انه يستخرج من جبل شبام[2] . ومن (الهام) ، ومن (الهان) ، ومن (شهارة) ، ومن قساس[3] . وذكر (الهمداني) ، ان العقيق الأحمر ، والعقيق الأصفر العتيقين من ألهان[4] .

وقد عرف معدن (بقران) بالأحجار التي تستخرج منها الفصوص البقرانية . وهو في مخلاف بني نجيد من اليمن[5] . وذكر (الهمداني) ، أن (البقران) ألوان ، ويبلغ المثلث بها مالاً ، إذ يشترى بأسعار عالية ، وهو أن يكون وجهه أحمر ، فوق عرق أبيض ، فوق عرق أسود . ويوجد البقران بجبل أنس ، وهو ينسب الى أنس بن ألهان بن مالك[6] .

ومن الأحجـــار الأخرى : الفصوص السعوانية من سعوان ، واد الى جنب صنعاء ، وهو فص أسود فيه عرق أبيض ، ومعدنه بشُهارة ، وعيشان من بلد حاشد الى جنب هنوم ، وظليمة والجمش من شرف همدان . والعشاري ، وهو الحجر السماوي[7] .

ومن الفصوص الثمينة : (الدهنج) كالزمرد ، حصى أخضر تتخذ منه الفصوص ، وأجوده : (العدسي)[8] . ومن معادنه حرة بني سليم[9] ، وحرة النار[10] .

ومن الجواهر الأخرى : (الزمرد)[11] والزبرجد[12] ، و (الشذر) ، قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا إذابة الحجارة ، ومما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر ، وقيل خرز يفصل بها ، أو اللؤلؤ الصغار[13] .

و (الجمست) معدن يستخرج من (الصفراء) على ثلاثة أيام من المدينـــة ،

---

١ تاج العروس (٧/١٥) ، (عق) .
٢ ابن المجاور (٢/١٨٤) .
٣ العرب (٩٩٨) ، (آب ١٩٦٨) .
٤ الصفة (٢٠٢) .
٥ تاج العروس (٣/٥٦) ، (بقر) .
٦ الصفة (٢٠٢) .
٧ الصفة (٢٠٢) .
٨ تاج العروس (٢/٤٦) ، (دهنج) .
٩ العرب (٩٩٥) ، (آب ١٩٦٨) .
١٠ العرب (٩٩٥) ، (آب ١٩٦٨) ، تاج العروس (٣/١٣٥) . (حرر) .
١١ تاج العروس (٢/٣٦٤) ، العرب (٩٩٦) ، (آب ١٩٦٨) .
١٢ تاج العروس (٢/٣٦٣) ، (الزبرجد) .
١٣ تاج العروس (٣/٢٩٤) ، (شذر) .

وهو في جملة ما يقال له (القوارير)[1] . والبلور ، ويستخرج من البراري من بين الحصى ، ومن (ضهر) ، و (سعوان) ، ومن (عذيقة) مخلاف خولان، ومن وادي عشار ، ومن الهان ، وشهارة[2] .

و (الدرة) اللؤلؤة العظيمة ، وما أعظم من اللؤلؤ[3] . ويستخرج اللؤلؤ من الخليج ، وقد اشتهرت البحرين به منذ أيام ما قبل الإسلام . وأما (الياقوت)، فأجوده الأحمر الرماني ، وقد استورد من سرنديب (سيلان)[4] .

والزاج ، مشهور في اليمن ، ويقال له الشب اليماني ، وهو من الأدوية[5] . و (الشب) ، حجارة يتخذ منها الزاج وما أشبهه ، وأجوده ما جلب من اليمن، وهو شب أبيض له بصيص شديد ، وقد استعمل في دباغة الجلود . وقد أشير اليه في الحديث . وذكر بعض العلماء ان الزاج كثير الأصناف،وهو غير الشب ، وينبعثان من معدن واحد ، والشب من المعادن الأربعة التي لم تكمل صورتها ، وهي الزاج والملح والنوشادر والشب ، والشب يشبه الزاج وفيه بعض حموضة ، وأما الزاج فحموضته أكثر ، والشب أنواع[6] . وقد ذكروا انه ماء يقطر،فيجمد قبل أن يصل الى الأرض ، فيصير هذا الشب اليماني . ومن معدنه (إسبيل) ، جبل من ديار عنس من مذحج ، بقربه مقطر الشب[7] ، ومعدن الأشعر . ويظهر من أقوال أهل الأخبار انهم كانوا يستخرجونه من (غرض) الجبال ، وهي شقوق تكون في الجبل ، يحفرون بها ، ويستخرجون منها الشب[8] .

ويطلق العرب على الموضع الذي يستخرجون المعدن منه (المعدن) . وقد عرفوا (المعدِن)[9] بأنه منبت الجواهر من ذهب ونحوه ، ومكان كل شيء يكون فيه أصله ومبدؤه ، نحو معدن الذهب والفضة والأشياء . ومنه حديث بلال بن الحرث

---

١ تاج العروس ٣(/٤٩١) ، (قرر) ، العرب (٩٩٦) ، (آب ١٩٦٨) ،
٢ الاكليل (٨/٣٠) ، العرب (٩٩٧) ، (آب ١٩٦٨) ، الصفة (٢٠٢) .
٣ تاج العروس (٣/٢٠٤) ، (در) .
٤ تاج العروس (١/٥٩٨) ، (ياقوت) .
٥ تاج العروس (٢/٥٥) ، (زوج) .
٦ تاج العروس (١/٣٠٨) ، (شبب) .
٧ العرب (٩٩٣) ، (آب ١٩٦٨) .
٨ العرب (٩٩٤) ، (آب ١٩٦٨) .
٩ كمجلس .

أن الرسول أقطعه معادن القبيلة جلسيها وغوريها . وهي المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض[1] . وهي ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة أيام ، وقيل ناحية من نواحي الفرع ، بين نخلة والمدينة[2] . ومن المعادن : معدن الغاف[3]، ومعدن النقرة ، منزل لحاج العراق بين إضاخ وماوان ، وبها سوق ، وبها بركة وثلاثة آبار وآبار صغار للأعراب تنزح عند كثرة الناس ، وعندها تفترق الطريق. فمن أراد مكة نزل المغيثة ، ومن أراد المدينة أخذ نحو العسيلة فنزلها[4] . و(العيصان) من معادن بلاد العرب[5] .

ومن المعادن التي لم يخصص أهل الأخبار نوع معدنها : معدن (البئر)[6] ، ومعدن النميرة[7] (التميرة ؟) ، ومعدن (حليت)[8] ، ومعدن (الخربة)[9] ، ومعدن (خزبة)[10] ، ومعدن (خصلة)[11] ، ومعدن (الشبيكة)[12] ، ومعدن (الشجرتين)[13] ، ومعدن (عراقيب)[14] ، ومعدن (ذي العوسج)[15] ، ومعدن (العيصان)[16] لبني نمير ، ومعدن (عيهم)[17] ، ومعدن (قساس) ، وقد كشف فيه حديثاً معدن الحديد[18] ، ومعدن (الكوكبة) ، ويظهر انه كان

---

١ تاج العروس (٩/٢٧٥) ، (عدن) .
٢ تاج العروس (٨/٧٣) ، (قبل) .
٣ تاج العروس (٦/٢١٤) ، (غيف) .
٤ تاج العروس (٣/٥٨٢) ، (نقر) .
٥ تاج العروس (٤/٤١١) ، (العيص) .
٦ بلاد العرب (٧٤) .
٧ بلاد العرب (٣٨٢) ، العرب (٩٨٨) ، (آب ١٩٦٨) .
٨ بلاد العرب (١٠٧) .
٩ بلاد العرب (٣٧٩) .
١٠ بلاد العرب (٣٧٩ ، ٣٨٢) .
١١ بلاد العرب (٣٨ ، ٤٥) .
١٢ بلاد العرب (٢٤١) .
١٣ بلاد العرب (٩٦) .
١٤ بلاد العرب (١٠٧) .
١٥ بلاد العرب (٢١٠) .
١٦ بلاد العرب (٣٧٠ ، ٣٨٢) ، البلدان (٣/٧٥٣) .
١٧ بلاد العرب (١٨٣) .
١٨ بلاد العرب (٢٣٦) .

من معادن الفضة [1] ، ومعدن المزبدة [2] ، ومعدن (النقيب) [3] ، ومعدن (منضح) ، وهو اسم معدن جاهلي بالحجاز عند جوبة ماء عظيمة يجتمع فيها الماء [4] ، ومعدن اللقط [5] ، ومعدن (ماوان) ، وهو معدن مشهور [6] ، ومعدن (النصب) من معادن القبلية [7] ، ومعدن (النقرة) [8] ، وبـ (بيش) ، وهو مخلاف من مخاليف مكة عدة معادن [9] . ومعدن شمام ، و (بحران) ، وهو بناحية الفرع من الحجاز به معدن للحجاج بن علاط البهري ، له ذكر في سرية (عبدالله بن جحش) [10] ، و (حوراء) بناحية المدينة وبها معدن البرام [11] . ومعدن (فران) ، وينسب الى (فران بن بلي بن عمرو) [12] . ومعدن (المحجة) بين العمق وبين أفيعة [13] . ومعدن هبود لبني نمير [14] .

والملح من المواد التي تاجر بها الجاهليون . وتوجد معادنه في مواضع متعددة من جزيرة العرب . وقد كان بعضهم يستحضره من المياه المالحة ، ومنهم من كان يستخرجه من مناجم تحفر ، فيستخرج منها . وقد ذكر (الهمداني) أسماء مواضع وجدت فيها معادن الملح [15]. وقد أشير في (المسند) الى الملح والى الاتجار به ، والى وجود كيّالين كانوا يكيلونه ويرسلونه الى الأسواق لبيعه فيها .

ومن أشهر مواضع الملح في اليمن : جبل الملح في بلاد مأرب ، وهو ملح صاف كالبلور ، وكان النبي قد أقطعه (الأبيض بن جمال) [16] .

---

١ بلاد العرب (٣٨٢ وما بعدها) .
٢ بلاد العرب (٣٩٤) .
٣ بلاد العرب (١٨١) .
٤ تاج العروس (٢/٢٤٠) ، (نضح) ، العرب (٩٨٤) ، (آب ١٩٦٨) .
٥ العرب (٩٨١) ، (آب ١٩٦٨) .
٦ العرب (٩٨٢) ، (آب ١٩٦٨) .
٧ العرب (٩٨٥) ، (آب ١٩٦٨) .
٨ ابن خرداذبة (١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٧) ، تاج العروس (٣/٥٨٢) ، (نقر) ، العرب (٩٨٧ وما بعدها) ، (آب ١٩٦٨) ، الصفة (١٨٤ وما بعدها) .
٩ تاج العروس (٤/٢٨٥) ، (بيش) .
١٠ تاج العروس (٣/٣١) ، (بحر) .
١١ تاج العروس (٥/٢٢٩) ، (نبط) .
١٢ الصفة (١٧٠) .
١٣ الصفة (١٥٤) .
١٤ بلاد العرب (٣٨٢) .
١٥ الصفة (١٥٥) .
١٦ الصفة (٢٠١) .

وقد استغل التجار (مكر) في العربية الجنوبية تجارة الملح ، فأخذوا يستغلون مناجمه ، ويحملونه منها قوافل الى الأسواق . ونظراً الى سعة هـذه التجارة والى كثرة الملح المستخرج ، ظهرت جماعة عرفت بـ (زلا) (سلا) في لغة المسند، تخصصت بكيل الملح وتعبئته في الجوالق لإرساله الى الأسواق[1] .

الأحجار :

واستفيد من الأحجار في البناء ، ولاسيما في العربية الجنوبية ، إذ كان الحجر مادة البناء عندهم . ويقطع من المقالع قطعاً بعضها ضخمة استخدمت في بناء الأبنية المهمة مثل : قصور الملوك والمعابد والسدود وبيوت السادات .

ولتثبيت الأحجار ولصقها بعضها فوق بعض ، استخدم (الجص) ، ويقال له (القص) بلغة أهل الحجاز . واللفظة معربة على ما يذكره علماء اللغة[2] . و (النورة) حجر يحرق ويستخدم في البناء ، و (البورق) ، وهو حجر يحرق أيضاً ، ويستعمل لتبييض الجدران ، ومـــواد أخرى تشبه (السمنت) في قوتها وفي صلابتها وفي تثبيت الأحجار بعضها فوق بعض .

ويقال لبعض أنواع الأحجار (المُسنى) ، وتعمل منها نصب السكاكين[3] . و (الشزب) ، حجر يعمل منه ألواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ومداهن وقحفة[4] . و (الهيصمي) وهو حجر يشاكل الرخام ، إلا أنـــه أشد بياضاً يخرط منه كثير من الآنية[5] .

وقد نحت النحاتون من بعض الحجارة قدوراً للطبخ،عرفت عندهم بـ (البُرمة). وقيل البرمة قدر نحت من حجارة أو عمل من حديـــد أو نحاس . و (المبرم) صانعها أو من يقتلع حجارتها من الجبال فيسويها وينحتها . وقيل للمعـــدن الذي تقتلع منه هذه الحجارة : (معدن البرم) و (معدن البرام)[6] . ومن هذه المعادن

---

١ Glaser 1571, Arabien, S. 124.
٢ تاج العروس (٣٧٧/٤) ، (جص) .
٣ الصفة (٢٠٢) .
٤ الصفة (٢٠٣) .
٥ الصفة (٢٠٢) .
٦ تاج العروس (١٩٨/٨) ، (برم) ، الصفة (١٢١) .

(قدقد) ، جبل به معدن البرام[1] .

وكانوا يحفرون المعادن ويدخلون المنجم لاستخراج المعدن منه . وقد ينهار المعدن على حافره فيقتله . والى ذلك أشير في الحديث : « المعدن جبار والبئر جبار والعجماء جبار » . ومعناه أن تنفلت البهيمة العجماء فتصيب في انفلاتها انساناً أو شيئاً ، فجرحها هدر ، وكذلك البئر العادية يسقط فيها انسان فيهلك ، فدمه هدر . والمعدن اذا انهار على حافره فقتله فدمه هدر . ومعناه اذا انهار على من يعمل فيه فهلك ، لم يؤخذ به مستأجره[2] .

النسيج والحياكة :

وقد اشتهرت اليمن عند ظهور الإسلام بالنسيج والحياكة . وهي قد أصدرت أنواعاً عديدة من الأقمشة والثياب الى مختلف أنحاء جزيرة العرب اكتسبت شهرة بعيدة في كل مكان ، لجودة صنعها ونفاسة مادتها . ومن ثياب أهل اليمن الناعمة الثياب التي تعرف باسم (الخال) ، وهو ثوب ناعم ، وضرب من البرود ، وقيل برد أرضه حمراء فيها خطوط سود[3] . و (الوصائل) ، وهي ثياب يمانية حمر أو ثياب حمر مخططة ، أو برود حمر فيها خطوط خضر[4] . والعصب ، وهي ضرب من البرود وضرب من الثياب ، يعصب غزلها ، أي يدرج ثم يحاك ، وليس من برود الرقم . وقيل العصب : برود يمانية يعصب غزلها ، أي يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج، فيأتي موشى لبقاء ما عصب فيه أبيض ، لم يأخذه صبغ وقيل برود مخططة . وورد أن (عمر بن الخطاب) أراد أن ينهى عن عصب اليمن . وقال نبشت أنه يصبغ بالبول ، ثم قال : نهينا عن التعمق . ويدل هذا الخبر إن صح ، على أن البرود العصب، هي البرود المشدودة المصبوغة بالعصب، ولا ينبت العصب والورس إلا في اليمن . وهو يدل أيضاً . على أن العصب

---

١ تاج العروس (٢/٤٦١) ، (قد) .
٢ تاج العروس (٣/٨٥) ، (جبر) .
٣ قال الشماخ :
وبردان من خال وتسعون درهما على ذاك مقروظ من الجلد ماعز
تاج العروس (٧/٣١١) ، (خول) ، (٧/٣١٣) ، (خيل) .
٤ تاج العروس (٨/١٥٦) ، (وصل) .

صبغة تستخرج من نبات العصب ، تصبغ بها البرود ونحوها من الأشياء[1] .

والممرجل (الممرحل) ، ثياب من الوشي فيها صور المراجل[2] . ويظهر انها المراجل ، جمع (المرجل) . والمرجل (المرحل) برد يماني ، ومن أمثالهم : حديثاً كان بردك مرجلياً ، أي انما كسيت المراجل حديثاً ، وكنت تلبس العباء. ويظهر انها كانت موشاة وكانت من ألبسة المترفين ، ففي الحديث : « حتى يبني الناس بيوتاً يوشونها وشي المراحل » ، يعني تلك الثياب ، ويقال لها أيضاً المراجل بالجيم[3] . وذكر ان (المرحل) ، برد فيه تصاوير رحل وما ضاهاه[3] .

وقد صورت بعض ثياب أهل الجاهلية ونمقت ، ومنهـا ثياب صلبت ، أي نقشت بالصلبان . وقد نهى الرسول عن لبس هذه الثياب ، وذكر انه نهى عن الصلاة بالثوب المصلب[4] .

والمقطعات من الثياب كـل ما يفصل ويخاط من قمص وجبـاب وسراويلات وغيرها ، وما لا يقطع منها كالأردية والأزر والمطارف والرياط التي لم تقطع وانما يتعطف بها مرة ويتلفع بها أخرى . وقيل القصار من الثياب، وبرود عليها وشي[5].

والحبرة،وهي ضرب من ضروب البرود كذلك ، وهي البرود الموشاة المخططة. وقيل ضرب من برود اليمن منمر . وذكر أن الحبير الثوب الجديد الناعم . وفي حديث أبي ذر : الحمد لله الذي أطعمنا الخمير وألبسنا الحبير[6] . وفيه دلالـة على أن (الحبير) من ألبسة المتمكنين ، وليس في وسع الفقراء اقتناؤها .

والمعاجر ، من ضروب الثياب المصنوعة في اليمن . والمعجر ثوب تعجر بـه المرأة،أصغر من الرداء وأكبر من المقنعة . وقيل ثوب يمني يلتحف به ويرتدى[7]. و (السيراء) ، وهي ثياب مخططة ، ونوع من البرود ، فيـه خطوط صفر ،

---

١ تاج العرُوس (١/٣٨٢ وما بعدها) ، (عصب) .
٢ تاج العروس (٧/٣٣٩) ، (رجل) ، القاموس (٣/٣٨٢) .
٣ قال امرؤ القيس :
فقمت بها أمشي تجـر وراءنا على أثرنـا أذيال مـرط مرحـل
يروى بالحاء والجيم ، أي معلم . تاج العروس (٧/٣٤٧) ، (رحل) .
٤ تاج العروس (١/٣٣٧) ، (صلب) .
٥ تاج العروس (٥/٤٧٥) ، (قطع) .
٦ تاج العروس (٣/١١٨) ، (حبر) .
٧ تاج العروس (٣/٣٨٣) ، (عجر) .

أو يخالطه حرير والذهب الخالص ، وقيل ثوب مسير فيه خطوط تعمل من القزّ كالسيور ، أو خطوط من الذهب . وهي من حلل الأغنياء والكبراء . روي أن (أكيدر) أهدى الى الرسول حلة سيراء ، وفي حديث عمر : رأى حلة سيراء تباع[1] .

والثياب السحولية ، أثواب كرسف من ثياب (سحول) موضع باليمن تنسج به الثياب السحولية ، وتحمل منه الى سائر الأنحاء . وهي ثياب قطن بيض . قال طرفة :

وبالسفح آيات كأن رسومها يمان وشته ربذة وسحول[2]

وذكر ان السحل ثوب أبيض رقيق من القطن ، أو من الكرسف من ثياب اليمن . والسحيل الخيط غير مفتول ، والغزل الذي لم يبرم ، فأما الثوب ، فإنه لا يسمى سحيلاً ولكن يقال له : السحل ، وقيل : السحيل الخيط غير مفتول ، ومن الثياب ما كان غزله طاقاً واحداً . والمبرم المفتول الغزل طاقين . و (المتأم) ما كان سداه ولحمته طاقين ليس بمبرم ولا مسحل . والسحل والسحيل الحبل الذي على قوة واحدة ، والمبرم الذي على طاقين . وذكر ان السحيل من الحبل الذي يفتل فتلاً واحداً كما يفتل الخياط سلكه ، والمبرم أن يجمع بين نسيجتين فيفتلا حبلاً واحداً[3] . ولما توفي الرسول ، كفن في ثلاثة أثواب سحولية ، ويروى في ثوبين سحوليين[4] .

وقد اشتهرت عدن بصنع البرود كذلك . ورد في الحديث أن الرسول كان قد استعمل هذه البرود[5] . وقد عرفت بـ (العدني) وبـ (العدنيات) . وهي ثياب كريمة نسبت الى عدن ، واشتهرت برياطها ، فقيل : (رياط عدنيات)[6] .

---

١ تاج العروس (٣/٢٨٧) ، (سير) .
٢ تاج العروس (٧/٣٧٢) ، (سحل) .
٣ تاج العروس (٧/٣٧١) ، (سحل) .
٤ جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم ، تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور ناصرالدين الاسد ، (ص ٦) ،(دار المعارف) بمصر ، تاج العروس (٧/٣٧٢) ، (سحل) .
٥ مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١٠/٣٨ وما بعدها) .
٦ تاج العروس (٩/٢٧٦) ، (عدن) .

وقد اشتهرت قطر بنوع من الثياب يقال لها : الثياب القطرية ، كما اشتهرت بنوع من النجائب : هي (النجائب القطريات)[1] . وذكر أنها برود من غليظ القطن ، أو هي برود خمر لها أعلام فيها بعض الخشونة . وجاء في الحديث أن الرسول توشح بثوب قطري[2] .

واشتهرت (هجر) بثيابها كذلك ، واعتبرت من الملابس الفاخرة التي تستحق الإهداء . ولما أرسل الرسول (سليط بن عمرو العامري) الى (هوذة بن علي الحنفي) ، أجاز هوذة (سليطاً) بجائزة وكساه أنواباً من نسج هجر[3] .

وقد اشتهرت برود وثياب اليمن بجودة النسج وبحسن الصنعة والدقة . كما امتازت بألوانها وبوشيها ، والوشي النمنمة والنقش[4] . ومنها المرحل ، وهي برد فيه تصاوير رحل ، والمرط المرحلة ، ومنه الحديث كان يصلي وعليه من هذه المرحلات ، يعني المرط المرحلة[5] .

ومن برد اليمن المعروفة (الخمس) ، ويقال لها أيضاً الخميس . ذكر انه انما قيل للثوب خميس ، لأن أول من عمله ملك باليمن يقال له الخِمْس ، أمر بعمل هذه الثياب فنسبت اليه[6] . و (الفوف) من برود اليمن ، وهي ثياب رقاق موشاة[7] .

ولأهل المعافر ثياب جيدة ، وهم يستعملون (السكينية) في رؤوسهم ، وهم من حمير ، وملوكهم (آل الكرندي)[8] .

واشتهرت (صحار) ، قصبة عمان مما يلي الجبل ، بثياب عرفت بها ، فقيل لها (ثوب صحاري) ، وثياب صحارية . وفي الحديث ان رسول الله كفن في ثوبين صحاريين[9] .

وقد اشتهرت (الحيرة) بنوع من الأنماط ، تزين بها الرحال ، حتى عرف

---

١ القاموس (٢/١١٩) .
٢ تاج العروس (٣/٥٠٠) ، (قطر) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٢) .
٤ تاج العروس (١٠/٣٩١) ، (وشى) .
٥ تاج العروس (٧/٣٤١) ، (رحل) .
٦ تاج العروس (٤/١٤٠) ، (خمس) .
٧ تاج العروس (٦/٢١٥) ، (فوق) .
٨ الصفة (٩٩) .
٩ تاج العروس (٣/٣٢٧) ، (صحر) .

بها ، فقيل : (الحاري)[1] . والنمط ، ظهارة فراش ما ، أو ضرب من البسط ، أو ثوب صوف يطرح على الهودج ، له خمل رقيق . وقيل : ضرب من الثياب المصبغة ، ولا تكاد العرب تقـول : نمط ، إلا لما كان ذا لون من حمرة أو خضرة ، أو صفرة ، فأما البياض ، فلا يقال أنماط[2] .

وقد اشتهرت صناعة البسط في جزيرة العرب . وهناك أنواع عديدة منهـا تنسب الى مواضع متعددة . وهي تصنع من الأصواف ومن شعر المعز . ويشتغل بنسجها النساء والرجال . وقد اشتهرت بعضها باسم (العبقري) و (العباقري). وفي الحديث : أنه كان يسجد على عبقري ، وهي هذه البسط التي فيها الأصباغ والنقوش . وذكر بعض العلماء أن (عبقرة) موضع باليمن أو بالجزيرة ، يوشى فيه الثياب والبسط ، ثيابه في غاية الحسن والجودة ، فصارت مثلاً لكل منسوب الى شيء رفيع[3] .

وقد اشتهرت اليمن بكثرة المشتغلين من أهلها بالحياكة ، وعرفت بهـا بقية العربية الجنوبية . وقد قيل في انتقاص أهل اليمن وفي النيل منهم ؛ انهم بين حائك برد وسائس قرد . ونسوة حوائك ، يشتغلن بالحياكة . ورد في شعر ذي الرمة قوله يصف محلة :

كأن عليها سحق لفق تأنقت بها حضرميات الأكف الحوائك[4]

وأشير الى الحياكة في نصوص المسند، إذ كانت صناعة النسيج من أهم الصناعات في اليمن . وقد عرف (الحائك) عندهم بـ (انم)[5] . وكان أهل مكة يقصدون اليمن ، فيشترون منها الألبسة اللطيفة الجيدة ويحملونها الى الأسواق لبيعها ، ومنها أسواق بلاد الشأم .

وقد نشأت من الألياف والخوص وعيدان بعض الأشجار صناعة ، فاستفيد من خوص الدوم في صنع أحفاش النساء ، والدوم شجر المقل ، واحدتها دومة[6] .

---

١ تاج العروس (٣/١٦٦) ، (حار) .
٢ تاج العروس (٥/٢٣٤) ، (نمط) .
٣ تاج العروس (٣/٣٧٩) ، (عبقر) .
٤ تاج العروس (٧/١٢٤) ، (حاك) .
٥ Glaser 1000 A, Arabien, S. 24.
٦ تاج العروس (٨/٢٩٧) ، (دوم) . .

واستفيد من لحاء الخزم في صنع الحبال ، ويقال لصانعها (الخزام)[1] ، وسفّ الخوص على هيأة سفرة ، ويقال لذلك السمهة[2] . وصنعت الحصر من بردى وأسل ومن الخوص[3] . وقيل للحصير المنسوج من سعف النخل (الفحل) . وأما الحصير المنسوج من الدوم ، فيقال له (الطلّيل)[4] . والبارية الحصير . قال بعضهم : الحصير المنسوج من القصب[5] .

وتاجر أهل اليمن بـ (الخضاب) ، ويكون ذلك بالحناء ، واذا كان بغير الحناء قيل : صبغ شعره . وذكر أهل الأخبار أن (عبد المطلب) أول من خضب بالسواد من العرب ، وكل ما غير لونه ، فهو مخضوب[6] . وكانوا يخضبون به الأطراف كذلك[7] . واختضبوا بـ (الوسمة) كذلك[8] . وكانوا اذا أرادوا الحصول على لون أسود قاتم ، ليبدو الشعر به أسود ، خلطوا الحناء بالوسمة. والحناء ورق نبات ، وكذلك الوسمة ، يدقان حتى يصيران كالطحين الناعم جداً ، أو يطحنان ، ثم يعجن الطحين بالماء فيخضب به . ويخلطون بالحناء دقيق ورق البشام فيسود الشعر[9] .

---

١ المخصص (١١/١٣٦ وما بعدها) ، تاج العروس (٨/٢٧٤) ، (خزم) .
٢ تاج العروس (٩/٣٩٢) ، (سهم) .
٣ تاج العروس (٣/١٤٣) .
٤ تاج العروس (٧/٤٢٠) .
٥ تاج العروس (٣/٦٠ وما بعدها) .
٦ تاج العروس ١(/٢٣٦) ، (خضب) .
٧ تاج العروس (١/٢٣٦) ، (خضب) .
٨ تاج العروس (٩/٩٤) ، (وسم) .
٩ تاج العروس (٨/٢٠٣) ، (بشم) .

الفصل الثالث عشر بعد المئة

حاصلات طبيعية

الصبغ :

والصبغ ما يلوّن به . وقد استخرج أهل الجاهلية الأصباغ من بعض النبات، لاستعمالها في الصناعة أو في البناء وفي صبغ الانسجة. واشتهرت مواضع من جزيرة العرب بحذقها في الصباغة ، وباتقانها استخراج الصبغ من النبات وبعض المعادن . وقد كانت سلعة مطلوبة رائجة ، لأنها جيدة ثابتة لا تتغير بسرعة .

وقد عصفر الجاهليون ثيابهم بالعصفر . وهو نبات ينبت بأرض العرب ، سلافته الجريال ، صبغ أحمر[1] وبزره (القرطم) ، الذي يصبغ به منه[2] . وصبغوا بـ (الفرصاد) ، وهو صبغ أحمر[3] ؛ وبـ (الفوّة) ، عروق يصبغ بها . وقيل : هي عروق حمر دقاق لها نبت يسمو في رأسه حبّ أحمر شديد الحمرة كثير الماء يكتب بمائه وينقش . قال الأسود بن يعفر :

جرت بها الريح أذيالاً مظاهرة كما تجرّ ثياب الفوة العرس

واستعملت (الفوة) دواءً لمعالجة الجلد[4] .

---

١ تاج العروس (٧/٢٥٥) ، (جرل) .
٢ تاج العروس (٣/٤٠٨) ، (عصفر) .
٣ تاج العروس (٢/٤٥١) ، (الفرصد) .
٤ تاج العروس (١٠/٢٨٥) ، (الفوة) .

و (الاحريض) العصفر ، يقال حرض ثوبه إذا صبغه بالاحريض[1] .

و (النكع) اللون الأحمر ، وزهرة حمراء يصبغ بها . و (النكعة) ثمر النقاوى ، وهو نبت أحمر ، ومنه الحديث : كانت عيناه أشد حمرة من النكعة . وهي صمغة القتاد (القناد)[2] . و (الصِرف) صبغ أحمر تصبغ به شرك النعال[3] . و (اللك) نبات يصبغ به ، وهو صبغ أحمر يصبغ به جلود البقر والمعز وغيرها ، و (اللكاء) الجلود المصبوغة باللك[4] .

وأكثر أصباغهم ، هي أصباغ أخذت من النبات . وهو شيء طبيعي لسهولة استحصال الأصباغ من النبات ، ولتوفره لديهم في الحضر وفي البرّ . أما الأصباغ المستخرجة من المعادن ، فهي أقل بكثير من الأصباغ المستخرجة من النبات ، لما يحتاج استخراج الأصباغ منها الى مهارة وحذق وتقدم في الصناعة والعلم .

العصير :

والعصير ، هو ما يحلب من الشيء اذا عصرته ، وهو العصارة . ويعصر كل ماله دهن أو شراب أو عسل ، وأمثاله . و (المعصرة) موضع العصر ، والمعصر ، ما يعصر فيه العنب ، والمعصار الذي يجعل فيه الشي فيعصر حتى يتحلب ماؤه . والعواصر ، ثلاثة أحجار يعصر بها العنب ، يجعلون بعضها فوق بعض[5] .

وتعصر الأشياء للشرب ، كالخمور والأشربة ، أو للتداوي ، لاستعمال العصير دواءً يتداوى به ، أو لاستخراج الدهن من المعصور . وقد استعمل المزارعون المعاصرَ لعصر الأعناب أو لاستخراج الزيوت من البذور وتسمى (المعصرة) (موهت) في المسند ، من أصل (وهت)[6] . ومن معاني هذه اللفظة الضغط وشدة الدوس ، وهي تستعمل في الحقول كما تستعمل في البيوت وفي محلات الاتجار بالزيوت .

---

١ تاج العروس (٥/١٩) ، (حرض) .
٢ تاج العروس (٥/٥٣١) ، (نكع) .
٣ تاج العروس (٦/١٦٤) ، (صرف) .
٤ تاج العروس (٧/١٧٤) ، (لك) .
٥ تاج العروس (٣/٤٠٥) ، (عصر) .
٦ REP. EPIGR. 2876, V. p. 209.

و (القطران) ، عصارة الأبهل والارز ، وهو ثمر الصنوبر . يطبخ فيتحلب منه ، ثم يهنأ به الإبل[1] . ويتخذ القطران من الإثرار ، وهو شجر يقتدح سريعاً اذا كان يابساً[2] . كما يتخذ من العرعر[3] .

والزفت ، كالقير ، وقيل هو القار ، والزفت المطلى به ، وهو غير القير الذي يقير به السفن ، انما هو شيء أسود أيضاً يمتن به الزقاق الحمر . وقد نهي في الحديث عن المزيت والمقير . والزفت أيضاً دواء . وهو شيء يخرج من الأرض يقع في الأدوية[4] . وذكر أهل الأخبار ، انهم كانوا يستخرجون (الزفت) من أعجاز شجر (الأرز) وعروقه ، وانهم كانوا يستصبحون بخشب الأرز . وقد أشير اليه في الحديث[5] . وقد استخرجوا الزفت من شجر (التنوب) وغيره من ضروب الصنوبر ، وهو قريب من دهن القطران[6] .

الزيوت والدهون :

ويستعمل الحضر الزيت في أكلهم وفي تزييت شعرهم ، وفي أمور أخرى . وهم يحصلون عليه من النبات بعصر لب الثمر المتشبع بالزيت . واليمن هي على رأس الأمصار العربية في انتاج الزيت . زيت الزيتون وغيره ، وقد كانت تصدره الى الحجاز والى مواضع أخرى من جزيرة العرب . والزيت في اللغة دهن ، وهو عصارة الزيتون[7] . ويعد التزييت ، أي التدهن بالزيت الجيد المطيب من علائم النعيم والرفاه .

و (السليط) ، الزيت عند عامة العرب وعند أهل اليمن دهن السمسم ، وقد ذهب بعضهم الى العكس . وقيل هو كل دهن عصر من حبّ . وذكر أن دهن

---

١ تاج العروس (٣/٤٩٩ وما بعدها) ، (قطر) ، نهاية الارب (١١/٣٢٣) .
٢ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٠٨) .
٣ عرام (٤٠٣) .
٤ تاج العروس (١/٥٤٦) ، (زفت) .
٥ تاج العروس (٤/٣) ، (ارز) .
٦ نهاية الارب (١١/٣٢٤) .
٧ تاج العروس (١/٥٤٦) ، (زيت) .

السمسم هو السيرج والحل[1] . و (السيرج) ، هو (الشّيْرج)[2] ، دهن السمسم[3] ، و (الحَل) ، هو الشيرج ، أي دهن السمسم[4] .

ومن الدهون ، دهن يستخرجه أهل اليمن من (الكاذى) . والكاذى شجر شبه النخل في أقصى بلاد اليمن ، وطلعه هو الذي يصنع منه الدهن . وذكر أنهم كانوا يقلعون طلع (الكاذى) قبل أن ينشق ، فيلقى في الدهن ويترك حتى يأخذ الدهن ريحه ويطيب[5] . ودهن الغار ، دهن يستخرج من شجر الغار ، وهو شجر الغار ، وهو شجر له حمل أصغر من البندق أسود يقشر ، له لبّ يستخرج منه الدهن ، وورقه طيب الريح يقع في العطر ، ويستعمل ثمره في الأدوية . ويستصبح بدهن الغار[6] .

واستخرج أهل (الشوع) دهناً منه ، كما يستخرج أهل السمسم دهناً منه . وذكر ان (الشوع) شجر البان ، الواحدة (شوعة) . وهو يربع ويكثر على الجدب وقلة الأمطار ، وهو مطلوب مرغوب ، فكان الناس يسلفون في ثمره الأموال[7] . و (البان) ، شجر يستخرج من حبّ ثمره دهن طيب يستعمل في التدهين وفي معالجة أمراض عديدة . وقد ذكر في شعر (امرىء القيس)[8] .

وزيت مقتت ، اذا أغلي بالنار ومعه أفواه الطيب ، ودهن مقتت مطيب طبخ فيه الرياحين ، أو خلط بأدهان طيبة . والتقتيت جمع الأفاويه كلها في القدر وطبخها[9] .

واستخرج من موم العسل شمع ، وهو ما يستصبح به . ويذكر علماء اللغة أن (الموم) لفظة مولدة جاءت من الفارسية ، وأن لفظة (الشمع) لفظة مولدة كذلك[10] . ونظراً لوجود العسل بكثرة في اليمن وفي (السراة) وفي مواضع أخرى

---

١ تاج العروس (٥/١٥٨) ، (ملط) .
٢ كصيقل وزينب .
٣ تاج العروس (٢/٦٤) ، (شرج) .
٤ تاج العروس (٧/٢٨٦) ، (حلل) .
٥ تاج العروس (١٠/٣١٢) ، (كذا) .
٦ تاج العروس (٣/٤٥٧) ، (غار) .
٧ تاج العروس (٥/٤٠٤) ، (شوع) .
٨ تاج العروس (٩/١٤٧) ، (البون) .
٩ تاج العروس (١/٥٧١) ، (قت) .
١٠ تاج العروس (٥/٤٠٢) ،(شمع) .

من جزيرة العرب في الجاهلية ، فلا استبعد استخدام أهل الجاهليين شمع العسل لصنع الشموع للاستصباح ولأغراض أخرى .

والحرض ، الأشنان تغسل به الأيدي على أثر الطعام . وشجرته ضخمة وربما استظل بها ، ولها حطب وهو الذي يغسل به الناس الثياب . وقد مدح الأشنان النابت بجو الخضارم باليمامة . والحرّاض من يحرقه للقلي ، أي الذي يوقد على الحرض ليتخذ منه (القلى) للصبّاغين . يحرق الحمض رطباً ثم يرش الماء على رماده فينعقد فيصير قليّاً . قال عدي بن زيد العبادي :

مثل نار الحراض يجلو ذرى المز ن لمن شامه إذا يستطير[1]

و (القصيص) نبت ينبت في أصول الكمأة ، يجعل غسلاً للرأس . وقد ذكر في شعر عدد من الشعراء ، منهم امرؤ القيس ، والأعشى وعدي بن زيد العبادي[2].

الصمغ :

الصمغ في تعريف علماء العربية : غراء القرظ ، وهو الصمغ العربي ، ولكل شجر صمغ ، وهو نضحه فيسيل منه[3] . وكانوا يشرطون الشجر ليخرج منه غراءه ، أو كانوا يعصرون بعض النبات ، فيخرج منه عصير ، يستخرجون منه صمغاً . ومن الأشجار التي استخرجوا منها الصمغ (الصاب) ، يشرط فيخرج منه غراء ، وهو شيء مرّ ، ينعقد كالصبر[4] . واستخرجوا صمغاً من (القرظ) ، وهو شجر معروف في بلاد العرب ، استخرجوه من عصارته ، استفادوا منه في الطب ، دعاه الأطباء الاسلاميون : (أقاقيا)[5] . و (الصرب) ، صمغ أحمر يستخرج من الطلح ، وقيل هو صمغ الطلح والعرفط ، وهي حمر كأنها سبائك تكسر بالحجارة[6] .

---

١ تاج العروس (٥/١٩) ، (حرض) .
٢ تاج العروس (٤/٤٢٣) ، (قصص) .
٣ تاج العروس (٦/٢٢) ، (صمغ) .
٤ تاج العروس (١/٣٤٠) ، (صوب) ، (٦/٢٢ ، (صمغ) .
٥ تاج العروس (٥/٢٥٨) ، (قرظ) .
٦ تاج العروس (١/٣٣٤) ، (صرب) .

والعرب تسمي صمغ العرفط عسلاً لحلاوته ، وعسل اللبنى طيب ، وهو صمغ ينضح من شجرة يشبه العسل لا حلاوة لـــه ، ويتبخر به . وعسل الرمث شيء أبيض يخرج منه كالجمان[1] .

و (الأيدع) ، صمغ أحمر يؤتى به من (سقطرى) ويتداوى به . داووا به الجراح . وذكر ان الأيدع صبغ أحمـــر ، وهو خشب البقـم . وقيـل هو دم الأخوين . وقيل الأيدع شجر له حبّ أحمر يصبغ به أهل البدو ثيابهم . وان البقم يحمل في السفن من بلاد الهند . وقد اشتهرت جزيرة سقطرى بأحسن أنواع الأيدع والصبر ، حتى قيل : صبر سقطرى[2] . وذكر ان (دم الأخوين) هو (القاطر المكي) ، وهو عصارة حمراء[3] .

وقد عرفت جزيرة العرب بتصديرها بعض أنواع الصمغ واللثى ، وهو شيء يسقط من شجر السمر ، أو هو ماء يسيل من الشجر كالصمغ ، فإذا جمد ، فهو صعرور . وقيل شيء يسيل من الثمام وغيره ، وللعرفط لثى حلو يقـــال له المغافير[4] . والمغافير ، هو صمغ شبيه بالناطف ينضحه العرفط ، وقد يكون المغفور للعشر والسلم والثمام والطلح وغير ذلك . وورد ان المغافير : صمغ الرمث والعرفط ، وذكر أن المغافير عسل حلو مثل الرب إلا انه أبيض[5] .

و (العلك) ، المضغ ، وصمغ الصنوبر والارزة والفستق والسر والينبوت والبطم ، وهو أجودها . يمضغ في الفم ، للتسلية ولمنع العطش بظهور اللعـــاب في الفم ، ولأغراض طبية[6] . وقد اشتهر علك الضرو ، المستخرج من شجر الضرو ، الذي ينبت باليمن . ويعالج به في الطب[7] .

و (الكندر) اللبان ، وهو ضرب من العلك ، يستخدم في الطب[8] . واللبان شجيرة شوكة لا تسمو أكثر من ذراعين ولها ورقة مثل ورقة الآس ، وثمره مثل

---

١ تاج العروس (١٧/٨) ، (عسل) .
٢ تاج العروس (٥٦٤/٥) ، (أيدع) .
٣ تاج العروس (٥٠١/٣) ، (قطر) .
٤ تاج العروس (٣٢٣/١٠) ، (لثى) .
٥ تاج العروس (٤٥٣/٣) ، (غفر) .
٦ تاج العروس (١٦٤/٧) ، (علك) .
٧ تاج العروس (٢١٩/١٠) ، (ضرى) .
٨ تاج العروس (٥٢٩/٣) ، (الكندر) .

ثمرته ، وله حرارة في الفم . وهي من الصمغ . وذكر أن اللبان شجر الصنوبر[1]. وذكر أن لحب ثمر البان دهن طيب ، وحبّه نافع لمعالجة جملة أمراض جلديـة وأمراض داخلية[2] . وذكر أن (الشوع) ، شجر البان ، أو ثمره . قيل إنـه يربع ويكثر على الجدب وقلة الأمطار ، والناس يسلفون في ثمره الأموال . وأهل الشوع يستعملون دهنه ، كما يستعمل أهل السمسم دهن السمسم . وهو جبلي ، وقيل ينبت في السهل والجبل[3] .

وورد أن الكندر لا يكون إلاّ بالشحر من اليمن ، ومنابت شجره الجبال ، وقد استعمل دواءً لمعالجة أمراض عديدة[4] .

والصبر ، أنواع فيه العربي والأسقطري ، وأجوده (الأسقطري) . وهـو عصارة شجر ، تترك حتى تشخن ، ويشمس حتى يجف . وفي اليمن نوع منه أحمر ملمع بصفرة[5] .

و (الضجاج) مثل شجر (اللبان) يكون في أرض عمان . وهو صمغ أبيض تغسل به الثياب ، فينقيها مثل الصابون[6] . وذكر أنه ثمر نبت أو صمغ تغسل به النساء رؤوسهن[7] .

والمقل ، يستخرج من شجر يشبه الكندر ، طيب الرائحة ، وأكثر نباته فيما بين الشحر وعمان ، وذكر أن المقل المكي ، هو صمغ الدوم ، لأن الدوم هناك يدرك ويصمغ[8] .

و (الدبس) عسل التمر وعصارته ، وهو ما يسيل من الرطب . ويقـال له : (الصقر) في لغة أهل يثرب . وذكر انه ما سال من جلال التمر . وأطلق أيضاً على تحلب من الزبيب والعنب[9] . و (الصقر) عند أهل البحرين ما سال

---

١ تاج العروس (٩/٣٢٩) ، (لبن) .
٢ تاج العروس (٩/١٤٧) ، (البون) .
٣ تاج العروس (٥/٤٠٤) ، (شوع) .
٤ نهاية الارب (١١/٢٩٩ وما بعدها) .
٥ نهاية الارب (١١/٣٠٤ وما بعدها) .
٦ نهاية الارب (١١/٣٠٩) .
٧ تاج العروس (٢/٦٨) .
٨ نهاية الارب (١١/٣٢١ وما بعدها) .
٩ تاج العروس (٤/١٤٥) ، (دبس) .

من جلال التمر التي كنزت وسدك بعضها على بعض في بيت مضرج تحتها خواب خضر ، فينعصر منها دبس خام كأنه العسل[1] .

والصبيب عصارة ورق الحناء والعصفر ، وقيل هو العصفر[2] .

الدباغة :

والدباغة حرفة الدبّاغ ، دبغ الإهاب بما يدبغ به[3] . والإهاب الجلد من البقر والغنم والوحش ، أو هو ما لم يدبغ[4] . وقد استخدم الدباغون في ذلك مواد مختلفة ، بعضها بدائية ، وعالجوا الجلد قبل دبغه لترقيقه وتنظيفه وصقله . وقد اشتهرت في ذلك جملة مواضع ، منها : مدينة (جرش) ، وهي من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقد نسب اليها الأدم المعروف بـ (أدم جرش) ، و (أدم جرشي) ، وهي مدينة تسقى بالآبار ، يستخرج منها الماء بالدلاء ، على الإبل، وقد فتحت في حياة النبي في سنة عشر للهجرة صلحاً على الفيء ، وأن يتقاسموا العُشر ونصف العشر[5] . وقد اشتهرت بإبلها كذلك ، التي نسبت اليها[6] . ومنها (صعدة) ، في مخلاف خولان ، وكانت تسمى في الجاهلية (جماع) ، وكان بها قصر قديم ضخم . ذكر (الهمداني) انها كورة بلاد خولان وموضع الدباغ في الجاهلية ، وذلك انها في موسط بلاد القرظ . وقد اشتهرت أيضاً بالنصال[7] . ونعتها بأنها « بلد الدباغ في الجاهلية الجهلاء ، وهي في موسط بلد القرظ ، ربما وقع فيها القرظ من ألف رطل الى خمسمائة بدينار مطوق على وزن الدرهم القفلة»[8].

والأدم من السلع المهمة المشهورة في تجارة أهل الجاهلية . والأديم ، الجلد الذي قد تمّ دباغه . وقيل الجلد ما كان أو أحمره أو مدبوغه ، وقيل هو بعد

---

١ تاج العروس (٣/٣٣٩) ، (صقر) .
٢ تاج العروس (١/٣٣١) ، (صبب) .
٣ تاج العروس (٦/٨) ، (دبغ) .
٤ تاج العروس ١(/١٥١) ، (أهب) .
٥ البلدان (٣/٨٥) .
٦ تاج العروس (٤/٢٨٧) ، (جرش) .
٧ الصفة (٦٦ وما بعدها) .
٨ الصفة (١١٤) .

الافيق ، وذلك إذا تمّ واحمر[1] . ويدخل في الحرف التي تقوم على تحويل الجلد الى سلع ، مثل الأحذية ، وصنع القباب . التي تضرب للملوك وللسادة وللأشراف امارة على الرئاسة والسيادة . وتصبغ جلودها بلون أحمر في الغالب . وكانت غالية ، لذلك لم يستعملها إلا أصحاب الجـــاه والمال . فكان سادة مكة إذا نزلوا منزلاً ضربوا قباباً من أدم[2] ، وكان حكام عكـــاظ والسادات الذين يحضرون السوق ، يضربون لهم قباباً ، وأما سائر الناس ، فيضربون لهم بيوت الشعر . وبيوت الشعر أرخص ثمناً من قباب الأدم .

وقد اتخذ العرب بيوتاً من جلد عرفت بـ (القشاعة) و (القشوع) ، وذكر بعضهم أن (القشاعة) بيت من أدم . وربما اتخذوا من جلود الإبل صواناً للمتاع[3]. وذكر أن البيت من أدم ، هو (الطراف) . وهو بيت من بيوت الأعراب ليس له كفاء ، قال طرفة بن العبد :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد[4]

وقد اشتهرت اليمن بدباغة الجلود وبالاستفادة من هـــذه الجلود في أغراض مختلفة ، وبتصدير الجلود الى أماكن أخرى من جزيرة العرب . ولا تزال اليمن تصنع الجلود على الطريقة القديمة ، وتصدرها الى الخارج . وقد ذكر (ابن المجاور) ان الأديم يدبغ في جميع اقليم اليمن والحجاز ، وانهم يبيعونه طاقات بالعدد ، وقد اشتهرت مكة بدبغ الجلود كذلك ، جلود الجمال والبقر والغزلان[5] . واشتهرت الطائف في دباغة الجلود كذلك ، وذُكر ان مدابغها كانت كثيرة ، وأن مياهها كانت تنساب الى الوادي فتنبعث منها روائح كريهة مؤذيـــة[6] . وكانوا يدبغون

---

١ تاج العروس (٨/١٨١) ، (أدم) ، المفضليات ، للضبي (٥٦) ، (أحمد محمد شاكر)، (دار المعارف ١٩٦٤م) .

٢ ابن سعد ، طبقات (١/١ ، ص ٤١) .

٣ تاج العروس (٥/٤٦٧) وما بعدها) ، (قشع) .

٤ تاج العروس (٦/١٧٩) ، (طرف) .

٥ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجـــاز ، المسماة تاريخ المستبصر ، القسم الاول (ص ١٣) .

٦ البلدان (٦/١٠ وما بعدها) .

بصورة خاصة الأدم الثقيل المليح[1] . وذكر (الهمداني) ، انها « بلد الدبّاغ ، يدبغ بها الأهب الطائفية المعروكة »[2] .

وقد ذكر علماء اللغة أسماء مواد كثيرة استعملت في دباغة الجلود ، وذكروا أيضاً طرقاً متعددة في كيفية الدبغ وفي أسماء الجلود المدبوغة والمواد التي تصنع من مختلف الجلود[3] . والواقع ان اعتماد العرب الجاهليين على الجلود كان كبيراً ، لأنها كانت متيسرة لديهم ، وهي أسهل في العمل من الخشب أو الحديد أو الأشياء الأخرى بالنسبة الى عمال جزيرة العرب في ذلك العهد .

و (القرظ) من أهم ما استعمل في دباغة الأدم ، يجلب فيطحن بحجر الطواحين ، ثم يستعمل في الدباغة . ومن (العقيق) يجلب القرظ الى مكة لاستعماله في الدباغة[4] . وقد أشار بعض الأخباريين الى ضخامة حجر الطواحين التي يطحن بها القرظ[5] . واستعمل (الغرف) في الدباغة كذلك . وعرفت الجلود التي تدبغ به بالجلود الغرفية ، ومنها جلود يمانيـــة وجلود بحرانية . وسقاء غرفي دبغ بالغرف . وكذلك مزادة غرفية[6] .

ومن المواد التي استعين بها في دباغة الجلد : (الدهناء) . وهي عشبة حمراء لها ورق عراض يدبغ به[7] ، و (القرضم) قشر الرمان ، ويدبغ به[8] . و(الشث) نبت طيب الريح مر الطعم يدبغ به ، قيل ينبت في جبال الغور وتهامة ونجد . وذكر بعضهم (الشب) في جملة ما كان يدبغ به[9] . و (الأرطى) شجر دبغ به ، وعرف الجلد الذي يدبغ به بـ (المأروط) وبـ (الأرطى) ، وبـ (أديم مرطى)[10] .

---

١ ابن المجاور (١/٢٥) .
٢ الصفة (١٢٠) .
٣ المخصص (٤/١٠٠ وما بعدها) .
٤ تاج العروس (٥/٢٥٨) ، (قرظ) ، ابن المجاور (١/٣٢) .
٥ ابن المجاور (١٠/٢٠) .
٦ تاج العروس (٦/٢٠٩) ، (غرف) .
٧ تاج العروس (٩/٢٠٥) ، (دهن) .
٨ تاج العروس (٩/٢٤) ، (قرضم) .
٩ تاج العروس (١/٦٢٧) ، (شث) .
١٠ تاج العروس (٥/١٠١) ، (ارط) .

وعرف الجلد الذي يدبغ بغير (القرظ) بـ (الجلد الحوري)[1] . و (الأفيق) الجلد الذي لم يتم دباغه ، أو الأديم دبغ قبل أن يخرز أو قبل أن يشق . وقيل هو ما دبغ بغير القرظ والأرطى وغيرهما من أدبغة أهل نجد ، وقيل هو حين يخرج من الدباغ مفروغاً منه ، وقيل رائحته ، وقيل ما يكون من الجلد في الدباغ[2] .

الخمور :

وقد اتخذوا من التمور والكروم والشعير والذرة خموراً ، وذكر ان الخمر ما أسكر من عصير العنب خاصة . وتستعمل لفظة (الشراب) في معنى الخمر كذلك . وفي الحديث حرمت الخمر وما شرابهم يومئذ إلا الفضيخ البسر والتمر ، ونزل تحريم الخمر التي كانت موجودة من هذه الأشياء لا في خمر العنب خاصة[3]. وأما النبيذ ، فهو ما نبذ من عصير ونحوه ، كتمر وزبيب وحنطة وشعير وعسل، يقال نبذت التمر والعنب ، اذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً ، وقد ينبذ في وعاء عليه الماء ويترك حتى يفور فيصير مسكراً . وسواء أكان مسكراً أو غير مسكر ، فإنه يقال له : نبيذ ، ويقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ ، كما يقال للنبيذ خمر[4] .

ويظهر من كتب الحديث ، ان أكثر خمور أهل المدينة هي خليط من البسر والتمر[5] . وأن منهم من كان يخلط الزبيب والتمر ، أو الرطب والبسر . وكانوا ينتبذونها في الدباء ، والمزفت ، والحنتم ، والنقير ، والمقير[6] .

وذكر أن الخليفة (عمر) حدد المواد التي تعمل منها الخمور بخمسة أشياء : الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، والعسل . وجعل الخمر ما خامر العقل[7].

---

١ تاج العروس (٣/١٦١) ، (حور) .
٢ تاج العروس (٦/٢٨٠) ، (أفق) .
٣ تاج العروس (٣/١٧٦ وما بعدها) ، (خمر) .
٤ تاج العروس (٢/٥٨٠) ، (نبذ) .
٥ صحيح مسلم (٦/٨٨) .
٦ صحيح مسلم (٦/٩٢ وما بعدها) .
٧ صحيح مسلم (٨/٢٤٥) ، (باب في تحريم نزول الخمر) .

وقد ذكر هذه الأشياء لأنها كانت هي الشائعة المعروفة عند أهل مكة ويثرب في ذلك العهد على ما يظهر ، لأن هناك خموراً عملت من غير هذه الأشياء .

وكان لأهل اليمن شراب عرف عندهم بـ (البتع) ، وهو من العسل ينبذ حتى يشتد ، وذكر أنهم كانوا يطبخون العسل حتى يعقد ، فيكون البتع . وشراب عرف بـ (المزر) ، وهو من الذرة[1] . وخطب (أبو موسى الأشعري)، فقال : « خمر المدينة من البسر والتمر ، وخمر أهل فارس من العنب ، وخمر أهل اليمن البتع ، وهو من العسل ، وخمر الحبش السكركة »[2] . وقد ذكر (ابن عمر) الأنبذة ، فقال : « البتع نبيذ العسل : والجعة نبيذ الشعير ، والمزر من الذرة ، والسكر من التمر ، والخمر من العنب »[3] . وذكر أن المزر نبيذ الذرة والشعير والحنطة والحبوب ، وقيل نبيذ الذرة خاصة[4] . ويظهر أن اطلاق المزر على أنبذة الحبوب ، هو من باب التجوز والتعميم ، وأن الأصل هو نبيذ الذرة .

و (الضريّ) ، الماء من البسر الأحمر والأصفر يصبونه على النبق فيتخذون منه نبيذاً[5] .

وقد اشتهرت (دُرْنى) بخمورها المصنوعة من الكروم ، وقد ذكرها (الأعشى) في شعره . وكان الأعشى ، يزورها ، وذكر انها هي (أثافت) التي ذكرها (الأعشى) أيضاً في شعره ، فقال :

أحب أثافيتَ وقت القطاف ووقت عصارة أعنابها

وكان كثيراً ما يزورها ، وله بها معصر للخمر يعصر فيه ما أجزل له أهل أثافت من أعنابهم[6] . وورد انها من قرى اليمامة ، كما ذكرت ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

---

١ صحيح مسلم (٦/٩٩ وما بعدها) ، (باب بيان ان كل مسكر خمر ، وأن كل خمر حرام) .
٢ تاج العروس (٥/٢٦٩) ، (بتع) .
٣ تاج العروس (٣/٥٤١) ، (مرز) .
٤ المصدر نفسه .
٥ تاج العروس (١٠/٢٢٠) ، (ضرى) .
٦ الصفة (٦٦) .

وأنا لا أستبعد استخدام الجاهليين للماء في ادارة المطاحن ، وقد ذكر (الهمداني) أن أهل اليمن بأودية : سربة ، وشُراد ، وبنا ، وماوة ، والموفد ، وجمع ، ويصيد ، وأودية رعين ، ووادي ضهر ، كانوا يديرون مطاحنهم بالماء[1] . ولم يشر (الهمداني) الى تأريخ استعمال هذه المطاحن التي تدار بالماء ، ولكني لا أستبعد أخذهم هذه الصناعة من الجاهليين ، وقد أشير الى الطحن والمطاحن والطحين في نصوص المسند . ورد في بعضها ان الحكومات كانت تتقاضى الإتاوة من الناس إما نقداً ، وإما (ورقاً) ، أي ذهباً سبائك ، وإما (طحناً) أي طحيناً ، وهو الدقيق . ويقال له (طحنم) و (طحن) في المسند ، وإما (دعثم) ، أي بضاعة ، بمعنى مواد عينية . فذكر (الطحين) في هذه النصوص ، يشير الى وجود المطاحن بكثرة في اليمن ، وربما كانت تصدر الفائض منه الى الخارج .

---

١ Handbuch, I, S. 137.

الفصل الرابع عشر بعد المئة

الحرف

من الحرف المتداولة بين الجاهليين النجارة والحدادة والحياكة والنساجة والخياطة والصياغة والدباغة والبناء ونحوها من حرف يحترفها الحضر في الغالب. أما الأعراب فقد كانوا يأنفون من الاشتغال بها، وينظرون الى المشتغلين بها نظرة احتقار وازدراء لأنها في عرفهم حرف وضيعة، خلقت للعبد والرقيق والمولي، ولا تليق بالحرّ، حتى إن الشريف منهم وذا الجاه، كان لا يحضر وليمة يدعوه اليها شخص من أصحاب هذه الحرف، استنكافاً وازدراءً؛ لأنه ليس في منزلته ومكانته. وقد كان عمل الرسول كبيراً في نظر رؤساء القوم يومئذ، حينما جوّز حضور طعام الخيّاط والصائغ وأمثالها، وكان يحضر منازلهم، فعدّ القوم ذلك عملاً غير مألوف ومخالفاً للعرف والتقاليد[1].

وقد كان أكثر أهل القرى ينظرون الى الحرف والمحترفين بها نظرة ازدراء كذلك، ويأنفون لذلك من التزاوج معهم، ويعيّرون من يتزوج من امرأة أبوها قين أو نجار أو دبّاغ أو خياط، ويلحق هذا التعيير الأبناء كذلك. وينظرون هذه النظرة الى المشتغلين بزراعة الحضر مثل البقول في الغالب، ولا تزال هذه النظرة معروفة في جزيرة العرب وفي أماكن أخرى خارج حدود هذه الجزيرة

---

١ « وفيه جواز أكل الشريف طعام الخياط والصائغ واجابته دعوته »، « باب ذكر الخياط »، عمدة القارىء (١١/ ٢١٠ وما بعدها).

كالعراق . وهذه هي مشكلة من جملة المشكلات التي أثرت في الاقتصاد العربي وفي الحياة الاجتماعية ، وإن كانت قد أخذت تخف في هذه الأيام .

ولم يكن العرب وحدهم ينظرون الى الحرف والمشتغلين بها نظرة ازدراء ، بل كانت شعوب العالم كلها تقريباً تنظر الى طبقة أصحاب الحرف مثل هذه النظرة ؛ لأن الحرف هي من أعمال الطبقات الدنيا من سواد الناس الرقيق والموالي . أما الحُرّ ، فلم يخلق لها ولم تخلق له . كذلك كانت نظرة قدماء اليونان الى هذه الحرف ، لأنها عندهم من الأعمال التي يقوم بها سواد الناس ورقيقهم[1] .

وهذه الحرف لم يختص بها الجاهليون وحدهم ، بل كانت عامة معروفة ومتداولة عند جميع الشعوب لتلك العهود . وهي لبساطتها وبداءتها متشابهة ، لا تجد اختلافاً في آلاتها وأدواتها المستعملة عند الشعوب . فأدوات النجار تكاد تكون واحدة ، سواء أكانت عند النجار العربي الجاهلي ، أو النجار العبراني ، أو النجار النبطي . وكذلك قل عن أدوات الحدّاد والصائغ وغيرهما من الطبقات العاملة التي ترتزق وتعيش على هذه الحرف التي تعتمد على اليد .

ونجد في كتب اللغة والأدب وأمثالها ألفاظاً عديدة معربة ، استعملها أهل الجاهلية وذلك بتعريبها ونقلها من أصول عجمية معروفة ، فيها الفارسي والآرامي واليوناني واللاتيني والحبشي والنبطي . وهي مما يدخل في باب الآلات والأدوات والمآكل والملابس والبيت والثقافة والعلم ، دخلت العربية ، لأنها كانت مصطلحات متداولة عند أهلها معروفة ، أخذها العرب منهم باحتكاكهم وبتأثرهم بهم ، وقد صقل بعضها وهذب ووسم بسمة عربية ، وأدخل على بعض آخر بعض التعديل ليتناسب مع أسلوب النطق العربي ، وقبل بعض آخر على نحو ما كان في أصله واستعمل في العربية حتى صار في ظن من لا وقوف له على العربية انه عربي صميم .

والألفاظ المعربة التي نعنيها ، قديمة ، دخلت قبل الاسلام بمئات السنين . وقد استعملتها الألسن وتداولتها ، وصارت بهذا الاستعمال ألفاظاً عربية مستساغة . ومنها ما هو مستعمل حتى الآن . وجمع هذه الكلمات وضبط معانيها وتبويبها وتصنيفها ، عمل مهم نافع أرجو أن يتهيأ له أصحاب العلم والاختصاص ، فبها

---

١ Hastings, p. 52.

نتمكن من الوقوف على الاتصال الفكري الذي كان بين العرب وغيرهم ، وبها نتمكن أيضاً من الوقوف على مدى الاتصال ومقـدار تغلغله في جزيرة العرب . وبأمثال هذه الدراسة سنتمكن أيضاً من تكوين صورة علمية صحيحة للتأريخ الجاهلي وهي صورة ستغير ، ولا شك ، كثيراً من هذه الآراء القديمـة عند كثير من الناس عن الجاهليين ، تكونت من دراستهم لروايات أهل الأخبار عن العرب قبل الاسلام .

ولم يخفَ أمر هذه المعربات عن قدماء علـماء اللغة ، فقـد أدركوا وجودها ودخولها في العربية قبل الاسلام ، وألفوا فيها ، وأشاروا اليها في معجمات اللغة ووضع بعضهم بحوثاً في معربات القـرآن . وهي تفيدنا فائدة كبيرة بالطبـع في الوقوف على الصلات الثقافية التي كانت بين العرب والعالم الخارجي قبل الاسلام، وإن كانت تلك البحوث والمؤلفات قد كتبت بطريقـة ذلك العهد ، استناداً الى الروايات دون التثبت منهـا وتعرّف أصولها وتتبع مواردهـا بدراسة اللغات الأجنبية ومقارنتها ومطابقتها بالأصل . وهي طريقة أوقعتهم في أغلاط ، ولكنها، أفادتنا مع ذلك فائدة كبيرة في معرفة هذا الغريب الدخيل ، وفي تكوين رأي في الدراسات اللغوية عند علماء اللغة القدامى[1] .

وقد عثر الرحّالون والمنقبون على ألواح من الخشب وعلى شبابيك ومواد خشبية أخرى في اليمن وفي حضرموت منقوشة نقشاً بديعاً ومحفورة حفراً يدل على دقة الصنعة وإتقان في العمل . وهي شاهد على تمكن النجار من مهنته ، وعلى قدرته فيها ، وعلى حسن استعماله ليده وعلى سيطرته عليها في استخدامها للأدوات النجارية في صنع النفائس والطرائف من الخشب .

والحرف وراثية في الغالب ، يتعلمها الإبن عن والده ، وتنحصر في العائلـة فتنتقل من الآباء الى الأبناء . ولا يسمح لغريب أن يتعلم أسرار الحرفة وأن يقف عليها وخاصة في الحرف المربحة وفي الحرف التي تحتاج الى مهارة ودقة وذكاء خوفاً من وقوع المنافسة ، وانتقال سر العمل والنجاح الى شخص غريب فينافس أصحاب الحرفة في عملهم وينتزع منهم رزقهم . لذلك حوفظ على أسرار المهنة ، ولم يبح بأسرارها حتى لأقرب الناس اليهم ، وفي حالة اكتشاف رجل طريقة جديدة غير

---

١ المعرب ، للجواليقي ، الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (١/٢٣١) .

معروفة في حرفته، فإنه يحتفظ بسره حتى لا يتسرب الى الغرباء ومنهم من لا يعلّم حتى أولاده سرّ المهنة إلا في حـــالة شعوره بعجزه عن العمل أو بقرب وفاتـــه ودنوّ أجله، خشية انتقال السر منهم الى غيرهم، فينافسونهم على رزقهم ومصدر قوتهم من هذا السرّ.

وينضم أصحاب الحرف بعضهم الى بعض مكوّنين (صنفاً)، أي طبقة خاصة، تتعاون فيما بينها تعاون النقابات الحرفية والمهنية في الوقت الحاضر، يتولى رئاستها أبرز رجال (الصنف). وإذا مات أحدهم تعاونوا في تشييعه ودفنه وفي مساعدة أهله ومؤاساتهم. وذلك لحماية رجال الحرفة من كل سوء قد يقع عليها وللمحافظة على حياتهم، ولا يسمح (الصنف) بدخول غريب بينهم، لأنهم جماعة ورثت حرفتها، فلا يجوز لغريب مزاحمتهم فيها.

ويتجمع رجال بعض الحرف في أماكن معينة، كما هو الحال في الوقت الحاضر، كأن يتجمع الحدادون في منطقة معينة، والصاغة في حي، والصفارون في حي والنجارون في حي، وذلك للتعاون فيما بينهم، وتنسب تلك المحلات اليهم.

وقد تشتهر مدينة ما بحرفة من الحرف، فيكون لمنتوجها شهرة واسعة وتباع بأسعار عالية. وقد تشتهر منطقة بجملة صناعات. فقـــد اشتهرت اليمن بالبرود كما اشتهرت بسيوفها، التي اكتسبت شهرة بعيدة واسعة في كل جزيرة العرب: واشتهرت بعقيقها كذلك وبأنواع أخـــرى من التجارات. واشتهرت مكة ببعض أنواع العطور واشتهرت ثقيف بالدباغة وبالأدم.

وقد كانت أجور العمل معروفة عند الجاهليين. فتُدفع للعمال والصناع أجور يومية، كما تدفع لهم أجور مقطوعة عن عمل معين. وليس لهـــؤلاء العمال من أتعاب عملهم سوى ذلك الأجر المتفق عليه. أما الرقيق، فلا يدفع لهم في العادة أي شيء، سوى ما يقدم لهم من طعام وملبس وحماية. وعليهم في مقابل ذلك الاشتغال بالشغل الذي يوكل اليهم به أسيادهم، ولا حق له بالنسبة لقوانين ذلك الوقت الامتناع عن القيام بالعمل الذي كلفوا به.

والأجور، قد تكون يومية وقد تكون سنوية وقد تكون مقطوعة. ولا يشترط في الأجر أن يكون نقداً، فقد يدفع عينة، أي مالاً مثل طعام، أو كساء، لندرة النقد في ذلك الوقت. ومن أمثلة الحرف التي تدفع عنها الأجور، حرفة

البناء ، فيُدفع للعامل أجر يومي في الغالب . والنجارة والحصاد ، وتدفع عنها أجور مقطوعة على الأكثر والرعي وأمثال ذلك من حرف ، يقوم بها سواد الناس لاعاشة أنفسهم منها .

ويمكن تصنيف وجمع الحرف التي عرفت عند الجاهليين في حرف النجارة ، وهي تنجير الخشب وتحويله الى متاع وأثاث أو الى عمل البناء أو الى تماثيل وزخارف وما أشبه ذلك ، ثم حرف البناء ، وتتناول كل ما يتعلق بالبناء من أعمال ، ثم حرف الإعاشة ، ثم حرف التعدين والمعادن ، ثم حرف الجلود، وحرف الملابس وحرف التجميل وحرف أخرى .

النجارة :

والنجارة من الحرف القديمة المهمة في المدن . وقد عثر على نماذج من مصنوعات خشبية في اليمن تدل عـــلى حذق النجار وذكائه وتقدمه في مهنته . ويظهر من روايات أهل الأخبار أن أهل مكة والمدينة لم يكونوا على حظ كبير في النجارة ، ولذلك كانوا يستعينون بالرقيق وبالأجانب في أعمال نجارتهم كاليهـود أو الروم : وفي الذي رووه عن تسقيف الكعبة في أيام الرسول وقبل نزول الوحي عليه مـــا يدل على ندرة النجارين في مكة في تلك الأيام . ويعلل أهل الأخبار ذلك بسبب أنفة العربي من الاشتغال بالحرف . فاعتمد على الأجانب وأغلبهم من الرقيق في اداء هذه الحرفة .

والنجار ، هو الذي ينجر الخشب . فيقوم بنشره وحفره واصلاحه وعمله على النحو المطلوب وحرفته النجارة . وفي هذا المعنى : نجارة الخشب[1] .

ومادة النجارة ، الخشب . وهو نوعان : نوع مستورد من الخارج ، إمـــا من الهند ، وإما من إفريقية ، وهو من النوع الجيد الصلب القوي المقاوم . وهو ثمين غال . لهذا استعمل في صنع الأثاث الفاخر الثمين وفي الأدوات التي تحتاج الى خشب صلب مقاوم وفي المعابد والقصور وفي الأبنية المهمة ، ومن أهم أنواعه

---

١ اللسان (١٩٣/٥) ، Hastings, A dicti. of the Bible, I. p. 356.

الساج والآبنوس والعندل . ونوع هو من حاصل أرض جزيرة العرب ونابتها . وهو دون الخشب الأول في المقاومة والجودة ، وفي الاستفادة منه في أعمال النجارة لأن معظمه ليس من النوع الناضج الغليظ الصلد القوي ، لا يصلح إلا للأعمال النجارية الاعتيادية وللوقود، ما خلا أنواعاً قليلة منه استخرجت من بعض الأماكن مثل (النضار) ، وهو خشب غليظ بعض الشيء ينبت شجره في غور الحجاز ، وبعض أشجار اليمن والمناطق الجبلية الأخرى[1] .

وترد في كتابات المهند كلمة (عضم) (عض) ، ويراد بها (الخشب) في لهجتنا[2] ، ترد في كتابات البنـــاء بصورة خاصة ، أي الكتابات التي هي عبارة عن وثيقة بناء ، إذ كان أرباب الدور والأبنية يذكرون المواد التي استخدموها في البناء ، وفي جملة ذلك الخشب . وقد وردت لفظة (العضم) في كتب اللغة بمعنى خشبة ذات أصابع يذرى بها الطعام[3] . ويشترك العبرانيون مع العرب الجنوبيين في تسمية الخشب بـ (عض)[4] .

وقد استخدم الخشب في تقوية الجدر ، استخدموا الخشب القوي الصلد منه . ولا تزال آثاره باقية ظاهرة فيما تبقى من أبنيـة الجاهليين ، وبعضه قوي لم يعث به الزمن فساداً ، ولم يفنه ، كما استخدم في صنع السقوف والأبواب وفي تقويـة السلالم ، وفي صنع الشبابيك وأمثال ذلك من الأعمال التي تدخل في صلب البناء ، وتكون جزءاً منه . وقد استورد معظم هذا الخشب الصلد القوي الساج[5] والآبنوس والصندل[6] من الهند ومن افريقية لعدم وجوده في جزيرة العرب ، ولا تزال آثاره وقطع منه باقية على الرغم من مرور مئات من السنين عليه .

واستخدم الخشب في صنع أثاث البيت وفي كثير من الأدوات المستخدمـة في حياة الانسان . وقد عثر على بعض مصنوعات من الخشب استخدمت أثاثاً، تدل على مهارة صناعها وعلى حسن تصرفهم في صنعها وفي هندستها . ويعـبر عن الأثاث في المعينية بلفظـة (رثد) . وهي في مقابل متاع . وتؤدي أيضاً معنى التنظيم

---

١ تاج العروس (٣/ ٥٧١) ، (نضر) .
٢ Rep. Epi., Num. 2789.
٣ تاج العروس (٨/ ٤٠١) ، (عضم) .
٤ راجع المعجمات في العبرانية .
٥ تاج العروس (٢/ ٦١) .
٦ تاج العروس (٧/ ٤٠٨) .

والترتيب وتنسيق الأشيـــاء . وفي المسند لفظة أخرى تؤدي هـذا المعنى هي لفظة (ربب) ومعناها السناد والأساس أيضاً[1] . وبالمعنى المذكور ترد لفظة (رئد) في عربية القرآن الكريم[2] .

وقـــد ذكر في القرآن الكريم أسماء بعض الأثاث ، مثل الأرائك[3] والسرر[4] « متكئين على سرر مصفوفة » ، « وسرراً عليها يتكئون » ، و « عـــلى سرر موضونة » ، و « على سرر متقابلين » ، و « فيها سرر مرفوعة » ،والكرسي[5]. وقد تصنع السرر من سعف النخيل ، كما تصنع الكرسي في هذه المادة أيضاً ، وتصنع المشاجب من الأعواد المركبة توضع عليها الثياب[6] . واذا بوعد بين الأشياء المنسوج بها السرير أو غيره من سعف النخل ، قيل لذلك مرمل ، فيقال: سرير مرمل ، اذا كان قد نسج وجهه بالسعف ، وبوعد فيه بين الأشياء المنسوج بها[7]ه

وقصد بالكرسي ، الكراسي الكبيرة المرتفعة ، وقد استخـــدم خاصة لجلوس الملوك ، وفي غرف الاستقبال . وقد أشير الى الكرسي في القرآن الكريم . فورد : « وسع كرسيه السماوات والأرض » .

والعرش من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم كذلك ، وهو من البيت سقفه، ويجمع على عروش ، والعرش شبه الهودج أيضاً . وقد يصنع من الخشب ، يقوم بصنعه النجار ، وقد يكون من حجارة أو غـــير ذلك . ومن ذلك العرش الذي يتربع عليه الملوك ، والعرش : الخيمة من خشب وثمام ، والتابوت أيضاً أي سرير الموت والخشب تطوى به البئر[8] ، والعرش هو السرير الذي ينام عليه . قد يكون له حاجز يمنع النائم من السقوط ، وقد يكون له حاجـــز . وهو بهذه التسميـــة (عرش) عند العبرانيين[9] .

---

١ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 53.

٢ شرح القاموس (٢/٣٥٠) .

٣ المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني (ص ١٤) ، وسيـــكون رمزه : المفردات ، « وقال الزجاج : فراش في حجلة . وقيل هو السرير مطلقا سواء كان في حجلة أو لا . او كل ما يتكأ عليه » ، شرح القاموس (٧/١٠٠) ، شمس العلوم (١/٧٢) .

٤ المفردات (ص ٢٢٨) .

٥ المفردات (٤٤١) .

٦ جامع الاصول (٤/٣٩٩) ، شرح القاموس (١/٣٠٩) .

٧ جامع الاصول (٩/٣٤٧) ، شرح القاموس (٧/٣٥٢) .

٨ المفردات (ص ٣٣٢) ، تاج العروس (٤/٣٢١) ، (عرش) .

٩ Smith, Vol., I, p. 177.

وقام النجار بصنع أواني الطعام أيضاً ، ولا سيما الأواني الكبار التي تستعمل في إطعام عدد من الناس في المناسبات ، وتدخل بيوت الملوك وسادات القبائل والأغنياء الكرماء في الغالب وفي بعض الظروف والمناسبات ، مثل المآتم والأفراح. ومنها (الجفنة) ، وهي — كما يقول بعض علماء اللغة — أعظم ما يكون من القصاع ، يوضع فيها الطعام ، ليتناول منه عدد من الناس . وقد افتخر الشاعر (حسان بن ثابت) بـ (الجَفَنات) دلالة على الكرم والجود[1] . و (القصعة) وهي تلي الجفنة في السَّعة ، يشبع الضخم منها عشرة أشخاص[2] . ثم (الصحفة) وتجمع على (صحاف) وقد وردت في شعر معزوّ للأعشى :

والمكاكيك والصحاف من الفضة والضامرات تحت الرجال

وتصنع من الفضة كذلك ، كما رأينا في هذا البيت المتقدم ، وذكر أنها تشبع خمسة أشخاص[3] . ويليها في الحجم والسعة (المثكلة) ، تشبع الرجلين والثلاثة . ثم الصحيفة ، وتشبع الرجل[4] .

وتصنع بعض هذه الأواني من مواد أخرى ، كالأدم ، أو من المعدن كما قلت في (الصحاف) حيث تصاغ من الذهب والفضة لبيوت الملوك والأمراء والشيوخ والأغنياء .

وقام النجار ، ولا سيما من تخصص بالقداحة منهم ، بعمل القدح النضار ، وهو القدح المعمول من النضار. والنضار خشب معروف في الحجاز في أيام الرسول يكون بغور الحجاز ، يعمل منه ما رقّ واتسع وغلظ من الأقداح ،وذلك لتحمل هذا الخشب ما لا تتحمله الأنواع الأخرى من الخشب المستخرج من الحجاز . وقد كانوا يدفنون هذا الخشب حتى ينضر ، ثم يعمل فيكون أمكن لعامله في ترقيقه . وقد كان عند الرسول قدح نضار عريض . ويعبر أيضاً عن الأقداح المنحوتة من الخشب بـ (الخشيب)[5] .

---

١ تاج العروس (٩/١٦٢) .
٢ تاج العروس (٥/٤٦٩) ، المعرب (ص ٢٧٤) .
٣ تاج العروس (٦/١٦١) .
٤ تاج العروس (٦/١٦١) .
٥ تاج العروس (١/٢٣٣) ، (٣/٥٧١) .

كما جهز النجارون أصحاب الحرف الأخرى بالأدوات المساعدة التي تساعدهم في حرفهم ، فصنع لأهل الطعام (الروسم) أو (الروشم) ، وهو خشبة فيها كتاب منقوش يختم به الطعام لئلا يسرق منه ، ويستخدمه الخبّازون وأمثالهم من باعة الطعام ، وقيل : الطابع الذي يطبع به رأس الخابية . واللفظة من الألفاظ المعربة على رأي بعض العلماء[1] . وصنع للمزارعين (النورج) ، وهو المدوس ، يداس به الطعام ، وقد يصنع من الحديد أيضاً[2] . و (الهاون) ، وهو المهراس والمنحاز ، ويدق به ، وقد أدخل في المعربات . وقد يصنع من حجر[3] ، فيدق اللحم أو الحبوب فيه لسحقها .

وصنع النجار (الميتدة) ، وهي مطرقة من خشب ، يستعملها الأعرابي بصورة خاصة لدق أوتاد خيمته في الأرض . وتعرف بـ (مقبه) (مقابه) عند العبرانيين[4] .

وصنع النجار أبواب البيوت ، ويقال للخشبة التي تدور فيها رجل الباب (النجران) . ويقال لأنف الباب الرتاج ، ولمترسه القُنّاح والنجّاف . وعمل (النجيرة) : السقيفة من خشب ليس فيها قصب ولا غيره[5] .

وصنع النجار صناديق من خشب ، لخزن الأشياء فيها ، تقفل بقفل . وقد عني بزخرفتها بتلوينها أو بالحفر على أوجهها ، وذلك بالنسبة للصناديق الثمينة التي تستعملها الطبقات الراقية .

وفي جملة مصنوعات النجار (الحدوج) ، مركب من مراكب النساء يشبه المحفة ، تركبه نساء الأعراب على الإبل . وذكر ان الحدج مركب ليس برحل ولا هودج تركبه نساء الأعراب[6] . والهودج مركب للنساء مقبب وغير مقبب

---

١ المعرب (ص ١٦٠) ، تاج العروس (٣١٣/٨) .

٢ المعرب (ص ٣٣٥) ، تاج العروس (١٠٥/٢) .

٣ المعرب (ص ٣٤٦) ، « والهاون الذي يدق فيه ، فارسي معرب » ، تاج العروس (٣٦٩/٩) .

٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 291.

٥ اللسان (١٩٣/٥) .

٦ تاج العروس (١٩/٢) ، (حدج) .

يصنع من العصي ثم يجعـــل فوقه الخشب فيقبب . وذكر انه محمل له قبّة تستر بالثياب يركب فيه النساء[1] .

ويستعين النجار بجملة أدوات في صنعته ، بعضها من صنع الحداد ، لأنها من الحديد ، مثل الفأس على اختلاف أنواعها ، والمنشار والمحفرة والمحفار ، والمنقار والمسحل والمثقب والكلبتان والمسامير والأوتاد وغير ذلك من أدوات تستعمـل في قطع الخشب وفي تنظيمه وصقله وهندسته لجعله صالحاً للعمـــل[2] . ونجد في كتب اللغة ألفاظاً عديدة تتعلق بهذا الموضوع .

ومن الأدوات التي يستعين بها النجارون في قيـــاس تربيع الخشب (الكُوس) وهي خشبة مثلثة[3] .

ويستعمل النجار المنشار في قطع الأخشاب والأشجار . ويقـال لنحت الخشب النشر كذلك[4] . أما المنقار ، فهو حديدة كالفأس مستديرة لها خلف ينقر بها ، ويقطع بها الحجارة والأرض الصلبة والخشب[5] . ولا سيما في نقش الخشب وحفره. والحفرة وتعرف بالمحفار أيضاً ، حديدة يحفر بها الشيء[6] ، وتستعمـــل في حفر الخشب لأغراض متعددة ، مثل نقشه أو الكتابة عليه . وأما المِحَل ، فالمنحت، آلة ينحت بها الخشب كالمبرد[7] . والمثقب آلة يثقب بها[8] . والكلبتان آلة يستعملها النجار والحداد ، يستعملها النجّار في اخراج المسامير . ويستعملها الحداد في أخذ الحديد المحمي[9] . وأما المسامير ، فما يشد به[10] .

ونجد في (الكتاب المقدس) — في التوراة والانجيل — أسمـــاء أدوات عديدة استعملها النجار في عمله ، منها ما استعمل لقطع الخشب واعطائه الشكل المطلوب ،

---

١ تاج العروس (٢/١١٥) ، (هدج) .
٢ بلوغ الارب (٣/٣٩٦ وما بعدها) .
٣ المعرب (ص ٢٨٨) ، « الكوس : خشبة مثلثة تكون مع النجار يقيس بها تربيـــع الخشب . وهي فارسية » ، تاج العروس (٤/٢٣٦) .
٤ تاج العروس (٣/٥٦٥) .
٥ تاج العروس (٣/٥٨٠) .
٦ تاج العروس (٣/١٥١) .
٧ تاج العروس (٧/٣٧٢) .
٨ تاج العروس (١/١٩٦) .
٩ تاج العروس (١/٤٦١) .
١٠ تاج العروس (٣/٢٧٨) .

ومنها ما استعمل لنشر الخشب وقصه ، ومنهـا ما استعمل لثقبه باستعمال المثاقب الآلية أو اليدوية التي تعمل الثقوب بالطرق وبطريقة الحفـر ، كما أشير فيه الى المسامير[1] . وقد ذكر في القـرآن الكريم ألواح الخشب التي تستعمل في صنـع السفن ، و (الدسر) وهي المسامير . والسفن في ذلك العهد من صنع النجارين . وآلات النجارة المذكورة في التوراة وفي الأناجيل ،معروفة ومستعملة عند الجاهليين. وقد تصنع الدسر من الخشب .

وهناك نجارون تخصصوا بصنع القوارب والسفن ، لاستعمالها في صيد السمك وفي البحار للتجارة البحرية والنقل . ونظراً لعدم وجود الأنهر الكبيرة والبحيرات في جزيرة العرب ، انحصرت حرفة صنع القوارب والسفن في السواحل . ويستورد أهل هذه السواحل الخشب القوي الصلد من افريقية والهند لصنع السفن الكبيرة التي يكون في مقدورها الابتعاد عن الساحل والسير الى الأماكن البعيدة .

ولا يستبعد قيام النجار الجاهلي بصنع العربات والمركبات ، وذلك لاستخدامها في السلم وفي الحرب . فقد كان المصريون والعراقيون وأهل بلاد الشأم يستخدمونها، وليس من المعقول عدم وجود علم للجاهليين ولا سيما لأهل اليمن بصنعها وبالاستفادة منها . والعربة هي (عجله) (ع ج ل ه) عند العبرانيين وتستخدم في نقل الحاصلات . وقد أشير اليها في التوراة[2] . وقد عرفت بـ (م ر ك ب ه) (مركبه) كذلك ، وبـ (مركب) أيضاً ، من أصل (ركب) احدى الألفاظ التي ترد في اللهجات السامية . وهي (مركبة) في عربيتنا و (نركبتو Narkabtu) في الأشورية و (مركبثا Markabtha) في السريانية . وقد تعني الحيوان وحده الذي يركب عليه[3] .

ويراد بـ (عجاله) ، العربة التي تستخدم في نقـل الحاصلات الزراعية في الغالب ، وقد عثر عـلى صور عربات في الآثار المصرية والأشورية واليونانيـة والرومانية . وبينها عربات استخدمت في القتال . ولبعضها مظلات لتحمي ركابها من الشمس والمطر . ويسحب العربات الزراعية ثور أو ثوران في الغالب . وقد

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣) ، Hastings, p. 53.

٢ Gen, XIV, 19, 27, Num., VII, 3, 7, 8, Smith, Dict., Vol. I, p. 281.

٣ Ency. Bibl., Vol. I, P. 724, Hastings, Dict., Vol. I, P. 372.
Ency. Biblica., Vol. I, p. 724 ff.

تستخدم الحمير والبغال . أما عربات القتال فتجرها الخيل . وقد كانت دواليب العربات من الخشب ، إلا انها صنعت من الحديد أيضاً . والغالب أن يكون للعربة دولابان ، ولكن العربات ذات الأربعة دواليب كانت معروفة أيضاً ومستعملة ، ولا سيما في أمور النقل . وقد كان الأكاسرة يستعملونها لنقل عوائلهم ، ولها ستائر وسقف[1] .

وذكر علماء العربية أن العجلة : الدولاب[2] . وأن (المركب) واحد مراكب البرّ والبحر[3] . والظاهر أن العجلات والمركبات كانت نادرة الوجود في أكثر مواضع جزيرة العرب . إذ لا نجد لها ذكراً في أخبار الأخباريين عن الجاهليين ولا في كتب اللغة .

الحدادة :

وقد دفعت حاجة الانسان الى المعادن لاستخدامها في أمور حربية وزراعية وفي البيت على انصرافه الى الاشتغال بها لتحويلها الى أشياء نافعة . فظهرت الحدادة والصياغة وأمثالها ، واشتغل بعض الناس بالبحث عن الحديد وعن المعادن الأخرى واستخلاصها من المواد الغريبة المختلطة بها . كما اشتغلوا في خلط المعادن لإيجاد أنواع جديدة منها . وقد وقع ذلك بين أهل الحضر في الغالب ، أما أهل الوبر، الأعراب ، فلبساطة حياتهم لم يشعروا بحاجة لهم الى هذه الصناعات ، واذا شعروا بوجود حاجة لهم فيها اشتروها من أهل المدن ، واحتقروا الصناعات وأهل الصناعة والمحترفين بالحرف .

ويعرف الحدّاد بـ (القين) كذلك عند الجاهليين[4] . وهو الذي يعدّ للزرّاع الأدوات التي تستعمل في حرث الأرض،مثل المسحاة والمحراث والمنجل والأدوات

---

١ Smith, Dict., Vol. I, P. 295, Hastings, Dict., Vol. I, P. 357, Ency. Bibli., Vol. I, P. 724.

٢ اللسان (١١/٤٢٨) .

٣ اللسان (١/٤٣١) .

٤ « والحداد ككتان معالجه ، أي الحديد ، أي يعالج ما يصنعه من الحرف . ومن المجاز : الحداد السجان ؛ لانه يمنع من الخروج ، أو لانه يعالج الحديد من القيود »، شرح القاموس (٢/٣٣١) ، تاج العروس (٢/٣٣١) ، (حدد) .

الأخرى ، يصنعها من الحديـــد ، كما أنه يعد للحرف الأخرى ولأهل البيوت كثيراً من الآلات،يصنعها من الحديد . وكان فضلاً عن ذلك الخبير الاختصاصي بصنع السلاح على اختلاف أنواعه وتجهيز الحكومات والأفراد بالسلاح الذي يستعمل في الدفاع وفي الهجوم ، لذلك كانت حرفته مهمة خطيرة ، ولا يزال الحـــدّاد يعدّ للناس في جزيرة العرب السلاح ، كالسيوف والخناجر والدروع والسكاكين والنصال المعدنية وغير ذلك من أدوات كانت تستعمل في الحروب لذلك العهد ، وسأفرد لها بحثاً خاصاً .

وذكر بعض علماء اللغة أن القين هو العامل بالحديد . وقال بعض آخر : إن القين الذي يعمل بالحديد ويعمل بالكير ، ولا يقال للصائغ قـــين . وذكر بعض آخر أن القين الحدّاد ، ثم صار كل صائغ عند العرب قيناً . وذكر بعض آخر: أن القين هو الذي يصلح الأسنة،الى غير ذلك من آراء . وكان من بين أصحاب الرسول من كان قيناً ، مثل (خباب بن الارت)[1] ، ذكر أنه كان يشتغـــل للعاص بن وائل . وكان العاص هذا من الانادقة، ومثله : عقبة بن أبي معيط، والوليد بن المغيرة ، وأبيّ بن خلف[2] . وكان خبّاب يضرب السيوف الجيـــاد وبدقهـــا ، حتى ضرب به المثل ، ونسبت اليه السيوف[3] . كما اشتهر بها رجل آخر عرف بـ (ريش المقعد) ، أي النبـــل . والمقعد اسم رجل كان يريش السهام[4] . والنبل : السهام ، والنبّال صاحب النبال وصانعها ، وحرفته النبالة[5] . وتحبس في الجعبة ، يحملهـــا صاحبها معه ، فإذا أراد الرمي ، فتحها ليستخرج منها ما يشاء .

ومن الحدادين الأعاجم الذين ذكرهم أهل الأخبار ، الأزرق بن عقبة أبو عقبة

---

١ تاج العروس (٩/٣١٦) (قين) ، البلاذري (١/١٧٥) وما بعدها) .

٢ عمدة القارىء (١١/٢٠٨ وما بعدها) ، « وخباب بن الارت بن جنـــدلة بن سعد بن خزيمة الخزاعي ، وقيل : التيمي ، وهو أصـــح ، أبو عبدالله ، من السابقـين في الاسلام ، وشهد بدرا ، ثم نزل الكوفة ، ومات بها سنة سبع وثلاثين » ، شـــرح القاموس (١/٢٢٨) .

٣ تاج العروس (١/٢٢٨) .

٤ تاج العروس (١/٢٢٨) .

٥ تاج العروس (٨/١٢٥) .

الثقفي ، غلام الحارث بن كلدة الثقفي ، ذُكر انه كان رومياً حداداً [1] .

ويرجع في روايـــة تنسب الى (ابن الكلبي) مبدأ الحدادة عنـــد العرب الى (الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة) ، فهو في هذه الرواية أول من عمل الحديد من العرب ، وكان حداداً ، فنسب اليه الحداد ، فقيل لكل حداد : هالكي . ولذلك قيل لبني أسد القيون ، وقال لبيد :

جنوح الهالكيّ على يديه مُكبّـاً يجتلي نقب النصالِ [2]

وعرف القين الذي يقوم بطبع السيوف وصقلها بـ (الطبّاع) و (الصيقل) [3] . وقد عرفت اليمن بإجادتها صنع السيوف وطبعها وصقلهـا ، حتى اشتهرت بذلك في جميـــع أنحاء جزيرة العرب . واشتهرت السيوف المصنوعـة من حديد بيحان بالجودة ، لجودة حديدها وقوته [4] . ومن الأدوات التي يستعملها (الصيقل) في صقل السيوف (المصقلة) ، وهي خرزة يصقل بها [5] .

ويقال طبع الطبّاع السيف ، أي صاغه ، وكذلك طبع الطبّاع الدرهم. والطبع عند علماء اللغة هو الختم ، والتأثير في شيء ما ، وتصوير الشيء بصورة مثل طبع السكة وطبع الدرهم ، وهو عندهم أعم من الختم وأخص من النقش [6] .

ويعتني الحداد باختيار الحديد عند صنعه السيوف الجيدة الثمينة ، ويخرج منه خبثه ، وينفق جهده في صقل السيف وفي اتقان عمل الحديد الملتهب قبل تبريده ، وإلا صار خشناً قليل الفائدة لا يشترى بثمن جيد . ويقال لهذا النوع من السيوف الخشنة الخشيب ، وتستعمل اللفظة في الضد أيضاً ، فتطلق على السيف الصيقل ، وتطلق على السيف الحديث الصنعة كذلك [7] .

ومن أنواع الحديد الجيد الذي يستخدمه الحدّاد في صنع المصنوعات الثمينة ، (الفالوذ) أي (الفولاذ) . ويقال له (بلدو) Poldo في السريانية و (فلده)

---

١ البلاذري (١٥٧/١) ، الاصابة (٢٩/١) .
٢ اللسان (٥٠٧/١٠) ، « الهالك بن مراد بن أسد بن خزيمة » ، العمدة (٢٣٢/٢) .
٣ بلوغ الارب (٤٠١/٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٤٠٤/٧) .
٤ بلوغ الارب (٢٠٤/١) .
٥ تاج العروس (٤٠٣/٧) .
٦ تاج العروس (٤٣٨/٥) .
٧ تاج العروس (٢٣٣/١) .

(فلداه) في العبرانية . وتصنع منه الأسلحة بصورة خاصة [1] . وهـو معروف في العربية ، وعرف بقولهم : « وهو مصاص الحديد المنقى من خبثه »[2] .

ويستعين الحدّاد بأدوات في طرق الحديد وفي تغيير شكله على النحو المطلوب. ومن أهم هذه الأدوات (الكير) ، وهو المنفاخ ، وهو زق ينفخ فيه الحداد، أو جلد غليظ ذو حافات ، يستعمل لاثارة النار وإيقادها ، كي ترتفع درجات حرارتها فتؤثر في الحديد وتجعله ليناً يسهل طرقه واعطاؤه الشكل المطلوب[3] . والكور وهو مجمرة الحدّاد وهي مبنيـــة بالطين وبالحجارة ، وتوقد فيها النـار ، ويسلط عليها الكير ، ويوضع الحديد على النـــار ليحمى ويلين[4] . ومن أصل (كوّر) (كور) و (كير) ، ويراد بها الموضع الذي تحرق فيه القرابين من بخور وذبائح تهيأ للحرق تقرباً الى الآلهة [5] . ويعرف الكور بـ (كور) عند العبرانيين . وقد وردت اللفظة في التوراة [6] .

ويطرق القـــين الحديد المحمى على (السندان) ، ليحولـه الى الشكل الذي يريده . ويعرف بـ (العلاة) أيضاً [7] .

وقد استغل اليهود انفة أهل المدينة والعرب الصرحاء من الاشتغال بالحدادة ، فاحتكروها لأنفسهم ، وربحوا منها ربحاً طيباً ، وذلك بإنتاجهم الأدوات والآلات الزراعية وبصنعهم الأسلحة اللازمة لكل انسان لحماية نفسه ، مثـــل صنع السيوف والخناجر والدروع . وقد سلحوا أنفسهم بها ، كما باعوا منتوجهم من غيرهم . وتصنع الدروع من الحديد الثقيل، كي تقاوم قراع السيوف[8] . وقد تزرد الدروع، لتقاوم في الدفاع ، ويقال عندئذ (درع مزرود)[9] .

والسرد عند علماء اللغة نسج الدرع ، وهو تداخل الحلق بعضهـا في بعض .

---

١ Smith, Dict. of the Bible, Vol. III, p. 1377.
٢ اللسان (٣/٥٠٣) .
٣ عمدة القارىء (١١/٢٢٠) ، تاج العروس (٣/٥٣٢) ، مجمع الامثال (١/٦) .
٤ تاج العروس (٣/٥٣٠ ، ٥٣٢) .
٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 33, 170.
٦ Smith, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 637.
٧ شرح ديوان لبيد (ص ٩٦) .
٨ تاج العروس (٥/٣٢٥) .
٩ تاج العروس (٢/٣٦٣) .

والسرد اسم جامع للدروع وسائر الحلق . وسمي سرداً لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار ، فذلك الحلق المسرد . والمسرد هو المثقب . وهو السرّاد[1] . ويراد بالحلقة السلاح عاماً ، وقيل : الدرع خاصة ، وانما ذلك لمكان الدروع ولشدة غنائه . وقد سمي (النعمان) دروعه حلقة[2] .

وتصنع النصال من الحديد أيضاً . والنصل حديدة السهم والرمح ، ويقال نصل السيف ونصل السكين . وقد ذكر أيضاً أن نصل السيف حديدة السيف ما لم يكن له مقبض . فإذا كان لها مقبض ، فهو سيف . وقيل : إن النصل السهم العريض الطويل ، والمشقص على النصف من النصل[3] .

ومن المجاز الحداد السجّان ، لأنه يمنع من الخروج أو لأنه يعالج الحديد من القيود . وفي هذا المعنى ورد :

يقول لي الحداد وهو يقودني الى السجن لا تفزع فما بك من باس

والحداد البواب ، لأنه يمنع من الخروج[4] .

والعتلة : حديدة كأنها رأس فأس عريضة ، في أسفلها خشبة تحفر بها الأرض والحيطان ، وليست بمعقفة كالفأس ، ولكنها مستقيمة مع الخشبة ، أو هي العصا الضخمة من حديد ، لها رأس مفلطح ، يهدم بها الحائط . وقيل : هي بيرم النجار[5] .

ومن مصنوعات الحداد (الإبزيم) ، وهو حلقة لها لسان يدخل في الخرق في أسفل المحمل ، ثم تعض عليها حلقتها ، والحلقة جميعها (ابزيم) . وقد أدخلها الجواليقي في باب المعربات[6] من الفارسية . ومن مصنوعات الحدّاد (المقدحة) ، الأداة التي استعان بها الإنسان في إيجاد النار . وهي حديدة يقدح بها حجر يوضع عليه مادة قابلة للالتهاب ولأخذ النار ، مثل الصوف ، فيورى منها النار[7] .

---

١ تاج العروس (٢/٣٧٥) .
٢ تاج العروس (٦/٣١٩) .
٣ تاج العروس (٨/١٣٦) .
٤ تاج العروس (٢/٣٣١) ، (حد) .
٥ تاج العروس (٨/٣) .
٦ المعرب (ص ٢٤) ، تاج العروس (٨/٢٠٢) .
٧ تاج العروس (٢/٢٠٢) .

ويهيء الحدّاد أقفال الأبواب ، وقد يصنعهـا النجار أيضاً . ويوضع خلف الباب وتد من حديد لتسميرها ، فلا يمكن فتحه[1] ، كما يهيأ البيت بما يحتاج اليه من أدوات تستعمل في الطبخ وفي الغسيل وفي الزينة . ويجهز الرجل والمرأة بالأدوات المساعدة للتجميل كـ (المدرى) ، وهو شيء يسرح به شعر الرأس محدد الطرف من حديد ، وقد يصنع من غيره مثل الخشب . وهو كسنّ من أسنان المشط ، أو أغلظ قليلاً ، إلا أنه أطول[2] .

وقد ذكر أصحاب اللغة بعض أسماء الآلات والأدوات التي كان يستعملها الحدادون في حرفتهم ، نذكر بعضاً منها ، مثل : (القرزم) و (العلاة) . والقرزم لوح الإسكاف المدور . و (المِطرقة) ، و (الفطيس) ، وهي أكبر من المطرقة ، وهي (الميفعة) أيضاً . و (المِبرد) الذي يبرد به الحديد ، و (البرادة) ما سقط منه[3] . وأما (فسالة الحديد) فما تناثر من الحديد عند الضرب اذا طبع ، و (المشحذ) مبرد للحديد ، أعظمها وأخشنها . وقال بعض اللغويين : المشحذ المسنّ ، و (المفراص) وهو للحديد كالمقراض للثوب ، والمنفاخ (المنفاخة) وهو ما ينفخ به الكير ، والكير الذي ينفخ فيه[4] . وأما المبني من الطين ، فهو الكور . و (المشرجع) مطرق لا حروف لنواحيه ، ومطرقة مشرجعة ، مطولة ولا حروف لنواحيها . أما اذا كان الشيء مربعاً ، وقد نحتت حروفه ، قيل له (شرجعة) . و (العسقلان) ، أصغر مطرقات الصائغ . و (الغُداف) الحديدة التي يدخل في أحد طرفيها الخاتم ويركزها على الجبأة ، والخشبة التي بين يديه . أما (الحِملاج) ، فمنفاخ الصائغ ، وهو حديدة مجوفة ينفخ فيها الصائغ ، اذا أراد النفخ في كيره . وله الكلبتان والمثقب[5] .

وقد وردت في التوراة لفظة (ا ج ن) (اجن)[6] ، وهي (اجانة) و (اجان) في العربية . وهي إناء يعجن فيه العجين،أو يوضع فيه سائل أو أي مادة أخرى .

---

١ المعرب (ص ٢٦٤) .
٢ جامع الاصول (٧/ ٥٧١) .
٣ شمس العلوم (١/ ١٤٥) .
٤ المغرب (٢/ ٢٢٠) .
٥ أخذت ذلك من بلوغ الارب (٣/ ٤٠٣ وما بعدها) .
٦ Hastings, Dict. of the Bibl., Vol. I, p. 533.

ولا تزال الكلمة حيّة معروفة . وتصنع من المعدن في الغالب ، ولكنها قد تصنع من خشب في بعض الأحيان .

ويستخدم الحدّاد المطرقة في طرق الحديد المحمى لتحويله الى الشكل المطلوب. ويقال للمطرقة الكبيرة (الفطيس) ، وتقابلها لفظة (بطيش) Pattish ، عند العبرانيين[1] . وقد أشار علماء اللغة الى (الفطيس)[2] . ويستخدم الـ (قـدوم) ، وهي مطرقة كذلك ، تسمى بـ (قردم) (قردوم) عند العبرانيين[3] . وذكر علماء العربية أن (القدوم) التي ينحت بها[4] .

ومن أنواع المطارق مطرقة دعيت بـ (جرزن) عند العبرانيين ، وتستخدم في القطع : في قطع الأشجار والأخشاب التي تستعمل في البناء . ويرى بعض العلماء أنها أخف من (القردم)[5] . وبين (جرزن) و (الجرز) اللفظة العربية تقارب وارتباط . وقد ذكر علماء اللغة أن (الجرز) من السلاح ، والعمود من الحديد وأن الجواز بمعنى : قاطـع ، ولذلك قالوا سيف جراز ومدقة جراز[6] . وهي الفأس في العبرانية ، ولعلها بهذا المعنى في العربية أيضاً . وتستعمل لقطع الأحجار والاخشاب ولتكسيرها[7] .

والمطارق الحديثة المستعملة في الشرق الأوسط وفي بلاد العرب ، لا تزال محافظة على شكلها وهيئتها التي كانت عليها عند الجاهليين وعند غيرهم قبل الاسلام . كما يظهر ذلك من النماذج التي عثر عليها ومن صور المطارق المصورة على بعض الآثار . وبعض هذه المطارق ذات رأسين ، وبعضها ذات حافتين . ويختلف شكلها باختلاف المهمة التي تستخدم فيها . واستخدمت المطارق في الحروب كذلك، حملها المحاربون معهم في قتال الأعداء وفي فتح الثغرات في الجدر والأسوار وتحطيم الدبابات والآلات الأخرى المستخدمة في حروب تلك الأيام .

---

١ Hastings Dict. of the Bible, Vol. I, p. 291.

٢ شمس العلوم (١/١٤٥) ، المغرب (٢/٢٢٠) .

٣ Smith, Dict., Vol. I, p. 142.

٤ اللسان (١٢/٤٧١) .

٥ Hastings, Dict., Vol. I, P. 205, Smith, Dict., Vol. I, 141 f., Ency. Bibli., Vol. I, p. 392.

٦ اللسان (٥/٣١٧) .

٧ The Bible Dictionary, I, p. III.

الصياغة :

و (الصائغ) ، من يحترف الصياغة ، وذلك في اللهجة العربية الشمالية ، ويشتغل في صياغة الذهب والفضة . وقد كان بين أصحاب الرسول من احترف هذه الحرفة . وقد ورد عن أبي رافع الصائغ ان عمر بن الخطاب كان يمازحه بقوله : « أكذب الناس الصواغ ، يقول اليوم وغداً »[1] . وكلام عمر بن الخطاب هذا يدل على أن الصاغة لذلك العهد كانوا يخلفون أيضاً في المواعيد ، ولا يحافظون على الأوقات .

وقد تحدث بعض الكتبة اليونان عن أثاث وحلي مصنوعة من الذهب والفضة ، ذكروا أن السبئيين كانوا يستعملونها في بيوتهم ، ولكننا لم نقف على شيء مهم من ذلك ، إلا قطعاً متآكلة من المعدن وصلت الينا . لنتحدث عن عمل الصاغة والحدادين في العربية الجنوبية . وأكثرها من المصنوعات المعمولة من البرنز . فلدينا مصباح من البرنز مصاب ببعض العطب ، عثر عليه في (شبوة) ، على طرفه جسم (أيل) جميل ، صنع وكأنه متهيء للوثوب . وهناك قطع أخرى تمثل احداها جملاً ، وأخرى حصاناً ، كما عثر على عصي مصنوعة من البرنز ، وعلى ألواح من هذا المعدن أيضاً ، عليها كتابات . وهي محفوظة في المتاحف الأوروبية . وهذا الذي عثر عليه هو شيء قليل بالطبع بالنسبة الى ما سيعثر عليه ، متى سمح للآثاريين بالبحث عن الآثار والكشف عن المطمور في جزيرة العرب ، ولا سيما في العربية الجنوبية حيث تشاهد تلول من الأتربة منتشرة تضم تحتها كنوزاً ثمينة من الآثار .

ويقال للذهب الأنضر ، وقد ذكر بعض علماء اللغة أن لفظة الأنضر اسم للذهب والفضة ، وكذلك النضار . أما النضرة فإنها السبيكة من الذهب . ونُضار الجوهر الخالص من التبر[2] .

وقد عرف التبر ، بأنه الذهب كله ، وقيل : هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض من النحاس والصفر والشبه والزجاج وغير ذلك مما استخرج من المعدن قبل أن يصاغ ويستعمل . وقيل : التبر هو الذهب المكسور ، وقيل الفتات

---

١ تاج العروس (٦/٢٣) .
٢ تاج العروس (٣/٥٧١) .

من الذهب والفضة قبل أن يصاغا ، فإذا صيغـــا فهما ذهب وفضة . وورد التبر ما كان من الذهب غير مضروب فإذا ضرب دنانير فهو عين . وقد يطلق التبر على غير الذهب والفضة من المعدنيات كالنحاس والحديـــد والرصاص ، وأكثر اختصاصه بالذهب . وورد في الحديث : الذهب بالذهب تبرها وعينها ، والفضة بالفضة تبرها وعينها [1] . وأما (الجذاذ) ، فإنه حجارة فيها ذهب ، أي الحجر الذي يقلع من مناجم الذهب ، ثم يسحن بالمساحن لاستخلاص الذهب من المواد الأخرى . والمسحنة حجر يدق به حجارة الذهب [2] .

والحلي ، ويراد بها ما يزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة [3] ، هي من أهم أعمال الصائغ عند الجاهليين ، يقوم بصنعها من الذهب أو الفضة ، ويزينها ببعض الحجارة في بعض الأحيان . وقد اشتهر (بنو قينقاع) في منطقة (يثرب) بإجادتهم حرفة الصياغة واتقانهم لها . ومن هذه الحلي ما يعلق على الصدر، ومنها ما يوضع في الأيدي أو في الأصابع ، ومنه ما يوضع حول الساق . وما يعلق في مواضع أخرى من الجسد مثل الأذنين أو الأنف أو على الجبين ، كما ان بعضه مما يحلى به الحيوان أو الأشياء النفيسة في البيت .

ومن الحلي المشهورة عند الجاهليين ، القلادة . وتصنع من الذهب أو الفضـــة في الغالب ، وقد تكون من ربط حجارة أو عظام أو خرز بعضهـا الى بعض . وتربط حول العنق ، وتتدلى عـــلى الصدر . على أن القلادة في اللغة لفظة عامة تطلق على أمور كثيرة . وقد كان الجاهليون يضعون قلادة في عنق البدن ، مثل عروة مزادة ، أو خلق نعل،أو غير ذلك ، ليعلم أنها هدي . كما كانوا يقلدون الإبل بلحاء شجر الحرم ، ويعتصمون بذلك من أعدائهم [4] .

والأسورة من أدوات الزينة كذلك . وقد استعملها أهل الجاهلية ، تضعهـــا المرأة في يديها . ويذكر علماء اللغة أن (السوار) لفظة معربة،عربت من الفارسية وأصلها في الفارسية (ستوار) ، فأخذها العرب وعربوها . واشتقوا منها (سوّرت

---

١ اللسان (٤/٨٨) .
٢ المعاني الكبير (٢/٨٤٨) .
٣ تاج العروس (٦/٢٣) .
٤ **تاج العروس (٢/٤٧٥)** ، جامع الاصول (٥/٤٠٩) .

الجارية) و (جارية مسوّرة)[1]. على أن بعض المحاربين كانوا يستعملون الأسورة، ويتباهون بها في الحروب.

وأما (العصمة)، فقيل إنها القلادة، وقيل إنها شبه السوار، توضع حول اليد. وأما المعصم، فإنه موضع السوار من اليد أو الساعد[2]. وأما القرط، فمن حلي الاذن يعلق بشحمة الاذن[3]، سواء أكان درّة أم ثومة من فضة أم معلاقاً من ذهب[4].

والخلخال من أدوات الزينة التي تستعملها النساء، يوضع على الساق يصاغ من الذهب أو الفضة[5]. وقد يحشى بالقسار، كما تحشى الأسورة أيضاً في بعض الأحيان لتبدو غليظة. ويستعمل القير والقار في طلي السفن، لمنع الماء من الدخول فيها. والعرب تسمى الخضخاض قاراً، وهو قطران وأخلاط تهنأ بها الإبل. وقد ذكر انه صعد يذاب، فيستخرج منه القار[6]. ولا يزال أهل البادية والقرى يتحلون بالخلخال. وللأجراس الصغيرة التي تعلق به رنين خاص ونغمات. وهو من أدوات الزينة المستعملة بين شعوب الشرق الأوسط منذ القديم. وقد أشير اليه في التوراة[7].

وقد نهى الاسلام تبختر النساء بالخلاخل، واثارتهن نغماتها، لما في ذلك من اثارة للرجال وتأثير عليهم[8].

والخاتم من عمل وصنع الصائغ، وهو من حلي الاصبع. ويحلى بالحجارة الكريمة في الغالب، مثل الياقوت والماس والشذر وغير ذلك. ويستعمل الخاتم للختم كذلك أي للطبع بدلاً من التوقيع، وذلك بحفر رمز أو كلمة أو عبارة أو اسم صاحب الخاتم على الخاتم، فإذا أريد كتابة كتاب أو تصديق قرار أو وثيقة ختم به على

---

١ تاج العروس (٣/٢٨٣)، المفردات (ص ٢٤٧)، جامع الاصول (٥/٤٠٨).
٢ تاج العروس (٨/٤٠٠).
٣ **جامع الاصول (٧/٥٢٦)**، المغرب (٢/١١٧).
٤ تاج العروس (٥/٢٠٢).
٥ قال امرؤ القيس:
كأني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
تاج العروس (٧/٣٠٩).
٦ المغرب (ص ٢٦٦).
٧ Hastings, Dictl. of the Bible, I, p. 99.
٨ السورة ٢٤ الآية ٣١.

الشيء المراد ختمه ، فيقوم اذ ذاك مقام التوقيع والاعتراف بصحة المذكور ويقال لما يوضع على الطينة وما يختم على اللبنة الخاتم كذلك[1] . ولذلك عدّ الخاتم عند الشعوب القديمة رمزاً للتفويض والتصديق والملك . وختم الملك ، يدل على ارادة الملك ورضائه وأمره . ولذلك قيل : خاتم الملك[2] .

وقد يصنع الخاتم من الشبه أو الصفر أو الحديد ، ويعمل على صور وأشكال متعددة متنوعة . وقد كان خاتم رسول الله من حديد ملوي ، عليه فضة[3] .

وفي المتاحف وعند الناس عدد كبير من الأختام، عثر عليها في مواضع متعددة من جزيرة العرب . وهي تكون عند علماء الآثار دراسة خاصة ، لما كان لها من أهمية عند الشعوب القديمة ولما في بعضها من دقة في الصنعة ومن تفنن وابداع وبعض هذه الأختام مستورد من الخارج وبعضه متأثر بالاختام الأجنبية ، مثل الأختام العراقية أو الأختام اليونانية أو الفارسية .

ويقوم الصائغ بعمل الزينة للرأس ، ومنها التيجان . وقد كان ملوك الحيرة يضعون التيجان على رؤوسهم . وقد ورد في شعر لمالك بن نويرة أن تاج النعمان بن المنذر كان من الزبرجد والياقوت والذهب[4] .

ومن حلي النساء الفتخ والخُرص والسخاب والحلق . وقد حلي بها الأولاد كذلك[5] . وكذلك المسكة من ذهب والسلسلة والأطواق والأجراس والجلاجل ويراد بالفتخ الخواتيم الضخام . يكون في اليد والرجل ، بفص وبغير فص وقيل الخاتم أياً كان ، أو حلقة من فضة[6] . وأما المسكة ، فسوار من ذبل أو عاج ، فإذا كانت من غيرهما أضيفت الى ما هي منه[7] . وتوضع السلسلة في العنق ، وأما الأجراس فتوضع في الأرجل[8] .

---

١ تاج العروس (٨/٢٦٦) ، اللسان (١٢/١٦٣) ، « صادر » .
٢ Smith, Vol. III, p. 1044.
٣ جامع الاصول (٥/٤٠٢) .
٤ لن يذهب اللؤم تاج قد حييت به من الزبرجد واليـاقوت والذهب
المعرب (ص ٣٥٦) ، تاج العروس (٢/١٢) .
٥ جامع الاصول (٥/٤٠٤ وما بعدها) .
٦ جامع الاصول (٥/٤٠٨) ، تاج العروس (٢/٢٧٠) .
٧ جامع الاصول (٥/٤٩٣) .
٨ جامع الاصول (٥/٤١٠) .

ومن الحلي : (الحُبلة) ، ضرب من الحلي يصاغ على شكل ثمرة (الحبلة) يوضع في القلائد في الجاهلية[1] .

ويقال للنقوش والزينة المزوقة والتصاوير المموهة بالذهب (الزخرف) . وذكر علماء اللغة أن (الزخرف) الذهب ، وهو الأصل ، ثم قيل لكل زينة زخرف، وكذلك كل شيء مُوّه به . وقد ورد في كتب الحديث والأخبار أن الكعبة كانت قد زينت بالزخرف ، أي بنقوش وتصاوير ، وكانت بالذهب . فلما كان يوم الفتح ، لم يدخل الرسول الكعبة ، حتى أمر بالزخرف فنحي ، وبالأصنام فكسرت ، فدخل بعد ذلك الكعبة[2] .

وقد ألف أهل مكة وغيرهم استعمال الآنية المصنوعة من الذهب والفضة ، فاستعملوا الأكواب والأباريق والكؤوس والقوارير والأواني ، وبعضها عليه صور مرسومة أو محفورة . وقد أشير في القرآن الكريم الى هذه الأواني ، وذكرت في كتب الفقه ، وقد ورد النهي عن الشرب بأواني الذهب في الحديث[3] ، وفي ذلك دليل على وجودها واستعمالها عند العرب قبل الاسلام .

وقد ذكر علماء اللغة أن من الأواني المستعملة من الفضة الجام[4] ، وعرفوا الكوب بأنه كوز لا عروة له ، أو هو المستدير الرأس الذي لا خرطوم له . وقد ذكر في شعر عدي بن زيد العبادي[5] ، وفي شعر نفر آخر من الشعراء الجاهليين ممن ألفوا الحضارة . وورد (أكواب) جمع (كوب) في القرآن الكريم ، دليل على استعمال أهل مكة للأكواب .

واللفظة من الألفاظ المعربة عن اليونانية . وتقابل لفظة Cup في الانكليزية . وقد أخذت من هذا الأصل اليوناني .

والكوب ، هو في معنى (كوس) عند العبرانيين ، أي كأس في عربيتنا . وتصنع الكؤوس من المعدن ، كما تعمل من الطين . وعملت كؤوس الملوك وكبار

---

١ اللسان (١١/١٤٠) .
٢ تاج العروس (٦/١٢٦) .
٣ شمس العلوم (١/١٠٣) .
٤ تاج العروس (٨/٢٣٤) .
٥ متكئا تصفق أبوابه يسعى عليه العبد بالكوب
تاج العروس (١/٤٦٤) .

الأغنياء من الذهب والفضة . ولبعضها يد أو علاّقة ليحمل الكأس بها[1] . وقد ذكرت لفظة (كأس) في القرآن الكريم .

واستعمل أهل مكة الأباريق المصنوعة من الذهب والفضة كذلك . وقد ذهب علماء اللغة الى ان لفظة (ابريق) لفظة معربة ، أصلها فارسي هو : (آب رى). وقد وردت لفظة (الأباريق) في القرآن ، كما وردت لفظة (ابريق) في شعر منسوب الى عدي بن زيد العبادي[2] .

وأخذ تجار مكة من الفارسية بعض الألفاظ الحضارية التي لها علاقة بالصياغة ، بحكم اتصالهم بالعراق ، مثل لفظة (زركش) ، وهي من أصل فارسي معناه الراسم والناقش على الذهب[3] .

وصاغ الصياغ خرزاً من الفضة ، جعلوها على أمثال اللؤلؤ ، وعرفت عندهم باسم (الجمان) . وقد وردت لفظة (جمانة) في شعر منسوب للبيد . وذكر الجواليقي أن اللفظة معربة من أصل فارسي ، وانها تكلمت بها العرب قديماً[4] .

ويصنع الصائغ اطارات للمرائي ، جمع المرآة ، وهي ما تراءيت فيه،وما ترى فيه صور الأشياء[5] . وقد يصنع الصائغ المرآة على هيأة سبيكة مصقولة من الفضة اذا نظر اليها بان وجه الانسان.وقد ذكر العلماء نوعاً من المرائي دعوه (السجنجل)، وقد وردت هذه اللفظة في معلقة امرىء القيس،وذكر العلماء أن اللفظة معربة من أصل رومي[6] .

وقام الصائغ بعمل كل ما طلب منه ، فعمل قبيعة السيف من الذهب والفضة وزين السيوف بالذهب والفضة ، بل صنع بعضهم أنوفاً من ذهب لمن أصيبت

---

١ Smith, Vol. I, p. 372.

٢ ودعا بالصبوح يوما فقامت قينة في يمينها ابريق
تاج العروس (٦/٢٨٦) ، وورد « فجاءت » ، المعرب (ص ٢٣) ، شمس العلوم (١/١٤٥) .

٣ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ص ٣٨١ ، تموز ١٩٦٠) .

٤ المعرب (١١٥) ، تاج العروس (٩/١٦٣) .

٥ تاج العروس (١٠/١٣٩) .

٦ المعرب (ص ١٧٩) :
مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
تاج العروس (٧/٣٧١) .

أنوفهم . فذكر أن صائغاً صنع أنفاً من ذهب لعرفجة بن سعد، وكان قد أصيب أنفه يوم الطلاب في الجاهلية [1] .

وزينت الدروع والدرق بالذهب كذلك. ووجد الصائغ عملاً مهماً له في المعابد، اذ أمدها بزخارف مموهة بالذهب وضعت على أبوابها وعلى الأماكن المقدسة فيها . كما أمدها بالتماثيل المصنوعة من الابريز وبالقناديل والمصابيح المصنوعة من الذهب والفضة .

ومن أدوات الصاغة المهمة التي يستعملونها في صناعتهم (الحماليج) ، وهي المنافيخ ، وتستخدم في إيقاد النار وفي زيادة لهبها كي تتمكن من صهر المعدن أو جعله ليناً ليحوله الصائغ على الشكل الذي يريده [2] .

ومن الأدوات المصنوعة من الحديد ومن النحاس والبرنز أيضاً (التور) [3] و (الطست) [4] و (الطاجن) [5] ، وهي أوان يوضع فيها الماء في الغالب . وذكر بعض علماء اللغة انها كلها ألفاظ معربة من الفارسية [6] .

وقد عرف التور بأنه إناء من الأواني ، وقيل انه إناء من صفر أو حجارة كالإجانة وقد يتوضأ منه [7] .

ومن الأدوات التي يصنعها النحاسون (القمقم) . ذكر بعض علماء اللغة انه الجرة أو ما يستقى به من نحاس [8] . واللفظة ما تزال حية معروفة في العراق ،

---

١ جامع الاصول (٥/٤١٠ وما بعدها) ، اللسان (٨/٢٥٩) .
٢ المعاني الكبير (٢/٧٦٣) .
٣ المعرب (ص ٨٦) ، (تاج العروس (٣/٧٠) .
٤ المعرب (ص ٨٦) ، تاج العروس (١/٥٦٣) ، المغرب (٢/١٤) ، فرائد اللغة (ص ٢٣٨) .
٥ « الطجن : القلو ، دخيل في العربية ... والمطجن : كمعظم ، المقلو في الطاجن » ، تاج العروس (٩/٢٦٨) .
٦ المعرب (ص ٨٦)
٧ اللسان (٤/٩٦) .
٨ المعرب (ص ٢٦٠) : « والقمقم كهدهد : الجرة عن كراع . وأيضا آنية من نحاس وغيره ، يسخن فيه الماء ، ويكون ضيق الرأس . قال الاصمعي : هو رومي معرب « كمكم » بكافين عجميتين . وقال عنترة :

وكان ربا أو كحيلا معقدا حشى القيان به جوانب قمقم

ومنه استعير لإناء صغير من نحاس أو فضة أو صيني يجعل فيها ماء الورد ، تاج العروس (٩/٣٣) .

تطلق على وعاء يوضع فيه ماء الورد ، يسكب منه في المآتم خاصةً .

وقد اشتهرت بعض مواضع اليمن بالمعادن ، وتعرف الأرضين المحتويـــة على خاماتها بـ (مَعْدِن) عند أهل الأخبار . ويذكر بعد هذه اللفظـــة اسم المكان الذي يوجد فيه المعدن ثم نوعه ، فقد ورد مثـــلاً (معدن عشم) و (معدن ضنكان) ، وقد اشتهرا بالذهب . وذكر ان ذهبها من النوع الجيد الجليل . أما (معدن القفاعة) ، ففيه ذهب كذلك ، لكنه دون ذهب المعدنين المذكورين ، وهو خير من ذهب (معدن بني محيد)[1] .

وقد استغل الناس مناجم الذهب والفضة والحديد ، وعثر عند بعضها عـــلى أدوات استخدمت في إذابة المعدن ، لاستخلاصه من المواد الغريبة العالقة به . وقد ذكر (فؤاد حمزة) في كلامه على جبل (تهْلَل) بجوار السودة في عسير ، وبه معدن الحديد[2] ، أنه عثر فيها على آثار عشرات النقر لإذابة المعادن . وقد كانوا يضعون خام الحديد المستخرج من منجمه في هذه النقر ومعه الخشب والأغصان التي توقد لايجاد النار الكافية لإذابة المعدن واستخلاصه من المواد الغريبـــة المختلطة في خامه . فإذا ذاب المعدن وخلص من المواد الغريبة التي كانت ممتزجة به ، عولج معالجة خاصة لتنقيته ولاستخراج فحمه والمواد الأخرى التي تجعله هشاً قابلاً للكسر والثلم بسهولة . وقد يعالج جملة مرّات إن أريد استعماله في أمور تستدعي استعمال حديد نقي صاف في مثل السيوف الجيدة التي يجب صنعها من هذا الحديد .

واستعمل الأتون أيضاً في إذابة المعادن لتنقيتها وإذابتها ولإحالتها الى الشكـــل المطلوب . وتوقد النيران في أسفل الأتون ، لتذيب المعدن وتحيله الى سائل يسيل من فتحة تقع في جانبه ليحوله المعدن الى الشكل الذي يريده . ويخرج الدخان من فتحة تكون في نهاية موقد النار ، وتقوم هذه المدخنة في تهويـــة الموقد في الوقت نفسه . وطريقة إذابة المعادن وتنقيتها هذه ، معروفة عند الرومان واليونان والفرس والعبرانيين . ويطلق العبرانيون على الأتون ، لفظة (أتون) كذلك[3] .

وأشير الى معادن أخرى في اليمن ، منها : الفضة ، وقد وجـد في (معدن

---

١ بلوغ الارب (١/٢٠٤) .
٢ في بلاد عسير : (ص ١١٣ وما بعدها) .
٣ Smith, Dict. of the Bible, Vol., I, p. 637.

الرصاص) ، موضع بين (فهم) من همدان ، بين خولان العالية ومراد ، ومعها الرصاص ، وعليه كان اعتماد أهل اليمن . وكان في الموضع قرية تسمى (قرية الرصاص) ، وأهلها من العرنيين . وقد ارتدّوا ، فقتلهم رسول الله[1] . وعرف الرصاص الخالص بالآنك[2] . وقد ذهب بعض الباحثين الى انها من أصل إرمي هو (أنكو) Anko [3] .

ومن المعادن : الجزع ، واليفران ، والعقيق ، وهو في مواضع عديدة من اليمن ، بعضه بعدن أبيض ، وبعضه بأرض وادعة بين صعدة والحجاز ، وفي نجران وبيحان[4] .

والنحاس ، هو (نحشت) في العبرانية . ويعرف بـ (صبرو) Siparu في البابلية . ومن هذه اللفظة (الصفر) ، المستعملة في العراق بمعنى نحاس[5] . وذكر علماء اللغة أن النحاس ضرب من الصفر والآنية شديدة الحُمرة[6] . وذكروا أن الصفر : النحاس الجيد ، وقيل ضرب من النحاس . والصفار صانع الصفر[7].

وقد عرف المشتغلون بالمعادن طريقة خلط المعادن ، فاستعملوها في أغراض شتى . فخلطوا بين الفضة والرصاص أو النحاس في صنع النمي ، وهي الفلوس . وكانت في الحيرة على عهد النعمان بن المنذر[8] . وخلطوا الحديد بمعادن أخرى ، ليتناسب مع طبيعة الأشياء التي يراد صنعها منه . ويكون خلط المعادن بنسب مقدرة معلومة كي تؤدي الغاية المرجوة منه . ومن هذه المعادن : الشبه . وقد ذكر علماء اللغة أنه ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر[9] .

وفي العربية لفظة (فولاذ) ، وتعني معنى Steel في الانكليزية ، أي نوعاً خاصاً من أنواع الحديد وتقابل لفظة (فلدو) (بلدو) في السريانية و (فلداه)

---

١ بلوغ الارب (١/٢٠٤) .
٢ شمس العلوم (١/١٠٢) .
٣ غرائب اللغة (ص ١٧٢) .
٤ بلوغ الارب (١/٢٠٤) .
٥ Ency. Bibli., Vol., I, p. 893.
٦ اللسان (٦/٢٢٧) .
٧ اللسان (٤/٤٦١) .
٨ تاج العروس (٩/٨٥) .
٩ اللسان (١٣/٥٠٥) .

في العبرانية . ويظهر أن الفولاذ كان معروفاً عند الشعوب القديمة قبل الميلاد[1] .

ولم يختلف أهل اليمن القدماء عن أهل اليمن المحدثين في طرقهم البدائيـــة في استخراج المعادن واستخلاصها من خاماتها ، ولا يزال أهـل اليمن يضرمون النار في الحجارة المحتوية على المعدن ، فيسيل المعدن بتأثير الحرارة ، فإذا سال سكب عليه الماء ، فيبرد ، وتتكون قطع منه ، يستعان بها في صنع ما يحتاجون اليه من آلات وأدوات .

ولا يزال كثير من سكان جزيرة العرب يمارسون الصناعات على الطريقة القديمة ، يعتمدون فيها على الأيدي وعلى الآلات البدائية التي ورثوها من الماضي ، فيدبغون الأدم على طريقتهم الموروثة ، ويصنعون سرج الخيل وهوادج الإبل ، والأحذية ، وينسجون الأنسجة من صوف الأغنام أو الماعـز أو الوبر ، للملابس ، ولبيوتهم التي تنتقل بتنقلهم .

والعطارة من الحرف القديمة المعروفة ، وقد ذكرت في التوراة[2] . والعطّار وإن كان اسمه قد جاء من العطر بسبب تعاطيه بيع الطيب والعطور ، يبيـع أيضاً مختلف الأعشاب والعقاقير والأدوية . فهو صيدلي في الواقـــع ، واليه تأتي وصفة الطبيب تعيّن الأعشاب والعقاقير التي يحتاجها المريض . وقد كان العطارون يبيعون في مكة ويثرب وأماكن أخرى أنواع العطور والطيوب ، وفي جملتها المسك. وقد ضرب الرسول المثل (بصاحب المسك) أي العطار ، إذ جعله مثـــال الجليس الصالح[3] للرجل .

ويبيع العطارون عـــدة أشياء تستعمل في الطب وفي الطعام ، مثـــل الزعفران والكركم وهو أصفر ، وذكر أنه (الهُرد) ، وهو عروق يصبغ بها[4] . ومثل (المصطكا) ، وهو علك رومي ، ويدخل في الأدوية أيضاً[5] .

وقد يحمل العطارون آلتهم معهم ، يضعونهـــا في خريطة من أدم ، يطلقون

---

١ Smith, A dicti. of the Bible, Vol., III, p. 1377.
٢ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٢) .
٣ عمدة القارىء (١١/٢٢٠) .
٤ المعرب (ص ٢٩١) .
٥ المعرب (ص ٣٢٠) .

عليها (القفدانة) و (القفدان) . وهي لفظة فارسية معربة ، وتطلق على المكحلة كذلك كما يقول بعض علماء اللغة [1] .

حرف الإعاشة :

وأعني بها الحرف التي تهيء الأكل للإنسان من تقديم أكل وشراب وما يتعلق بهما من أعمال مساعدة في تهيئة ذلك . فيدخل فيها طحن الحبوب والطبخ والخبز والأواني التي يوضع فيها الطعام وما شابه ذلك من أمور .

ولا بد للإنسان من سحق الحبوب وطحنها ليكون في امكانه أكلها والاستفادة منها . لذلك فقد يدقها دقاً بين حجرين أو بآلات صلبة ، ثم يلهم الحبوب المدقوقة لهماً أو يحمصها على النار أو يمزجها بمادة أخرى لتكون طيبة المذاق مستساغة في الطعم . وقد يطحنها طحناً ، أي يحولها الى دقيق بواسطة : الرحى ، وهي حجران من حيث الأساس أحدهما ثابت وهو الأسفل ، والآخر متحرك وهو الحجر الأعلى وهو أصغر قليلاً من الحجر الأسفل ، به فتحة توضع الحبوب بها فتنزل منها الى سطح الحجر الثاني، فتقع بواسطة حركة الحجر الأعلى بين الحجرين وتداس فتسحق ، وبواسطة استمرار الحركة وثقل الحجر الأعلى تتحول الحبوب الى طحين يخرج من بين الحجرين الى الخارج حيث يسقط في حفرة أمامية عملت لتجميع الطحين بها ، وذلك فيما إذا كان الحجر الأسفل مبنياً على قاعدة ، أما اذا كان متحركاً فيسقط الطحين على أطراف الرحى على قماش أو أي شيء يوضع تحت الحجر الثاني ، ثم يجمع الطحين .

وهذا النوع من الرحي هو من النوع المحسن الذي يمثل تقدماً في صناعة طحن الحبوب . وقد عثر على نوع هو أبسط من الرحى المتقدمة ، فهو عبارة عن حجر مائل نوعاً ما ، أحد طرفيه مرتفع عن الطرف الآخر ، يوضع الحب عليه ثم يسحق بحجر اسطواني الشكل في الغالب يمسك بالأيدي من مقبض نحت منه على كل طرف من طرفيه ثم يحرك على الحبوب لسحقها ، وقد يقبض بطرفي الحجر ثم يحرك نحو الأسفل فالأعلى حتى تسحق تلك الحبوب وتتحول الى طحين.

---

١ المعرب (ص ٢٦٣) ، تاج العروس (٢/٤٧٤) .

ولا أستبعد استعمال العرب الجنوبيين للطواحين الكبيرة التي تدار بالماء ، وذلك بالاضافة الى الطواحين التي تديرها الحيوانات ، وذلك لبيع الطحين في الأسواق . وقد كان الناس يستعملون الرحي في الغالب للحصول على الطحين ، فلم يكد يخلو بيت منها ، ولذلك كانت صناعة الرحي من الصناعات النافقة المربحة في ذلك الزمان .

والطحن من الأعمال التي تخصص بها النساء ، وتقوم به الخادمات في البيوت الكبيرة . وقد توضع جملة رحى في البيت الكبير حيث تخبز كميات وافرة من العجين لإعاشة أفراد البيت .

ولمكانة الرحي عند القوم يومئذ ، تخصص أناس باصلاح الحجر لتحويله الى رحى صالحة لطحن الحبوب أو لعمل الزيوت. وليس يصلح كل حجر لأن يكون حجر رحى ، ولهذا فعلى الخبير بالرحى اختيار الحجر الصالح ، ثم عليه اصلاحه ليكتسب الاستدارة وعمل ثقب فيه ونقره وغير ذلك مما يتعلق بهذا العمل . وتكون حجارة الرحى مختلفة في الحجم ، باختلاف العمل الذي يوكل اليها أداؤه . فبعض الرحى كبيرة ثقيلة ذات قطر واسع ، وتستخدم في طحن بعض المواد الصلبة مثل العفص ومواد الدباغة الأخرى والمواد التي تستخدم في إنتاج الزيت والطحين . ويستخدم الحيوان لإدارة مثل هذه الرحى . وقد عثر على حجارة رحى ضخمة استخدمها العرب قبل الإسلام في تلك الأغراض .

وبائع الحنطة يقال له الحنّاط ، يعيش من الإتجار بالحنطة ، وقد يبيع معها الشعير والحبوب الأخرى . وقد ورد ذكر (الحناطين) في كتب الحديث[1] .

والخبز في العادة هو من الأعمال البيتية ، أي من الأعمال التي تتم في البيت ، حيث تقوم الزوجة بخبزه ، ويقوم الرقيق أي الخدم بخبزه في البيوت الكبيرة الغنية. وهو من اختصاص النساء .

وقد احترف بعض الناس الخبازة ، وعرف واحدهم بـ (الخبـاز) ، إذ يصنع الخبز المصنوع من الحنطة أو المصنوع من الشعير أو من الذرة ومن الرز . والخبز على أنواع ، فيه الغليظ وفيه الطري وفيه الناشف ، وفيه ما يضاف اليه

---

١ المعرب (ص ١٤١) ، تاج العروس (٥/١٢١ وما بعدها) .

السكر . وقد ذكر أن من الخبز الغليظ ما يقال له (جرذق) و (جردق) و (الجردقة) ، واللفظة فارسية معربة وأصلها (كرده)[1] .

والخبز المصنوع من الحنطة ، هو أجود أنواع الخبز وأغلاها ، ولذلك يعتبر خبزها خبز الأغنياء وخبز الطبقة المتمكنة . أما خبز الأعراب والفقراء وأهل القرى فهو الخبز المصنوع من الشعير أو من الذرة . ويقتات فلاحو بلاد الشأم واليمن بخبز الذرة ، لوجوده بكثرة عندهم ، ولرخص ثمن الذرة بالنسبة الى القمح . كما يقتات بعضهم بالخبز المصنوع من (الدخن) ، وهو من الحبوب القديمة وقد أشير اليه في التوراة[2] .

ومن أنواع الخبز (المرقق) ، أي الرقاق ، وقد ورد ذكره في كتب الحديث[3]، ويقال له (المرقوق) في بلاد الشأم ، ويعرف بـ (رقيقيم) أي (الرقيق) عند العبرانيين[4] . ولا زال معروفاً مستعملاً . ويكون ناشفاً رقيقاً يمكن حفظه وخزنه مدة طويلة . ولذلك يدخر للشتاء وللأسفار . ويرقق خبز الرقاق بآلة تسمى : المرقاق[5] .

والخبز الجيد هو الخبز المصنوع من الطحين المنقى الصافي من قشرة الحبوب ، وذلك بنخل الطحين في منخل فيسقط لبّ الطحين ويعزل عن القشرة التي تبقى في المنخل ، حيث يستعمل لأغراض أخرى كعلف للحيوان ، أو لتنظيف الأواني وما شابه ذلك من أعمال .

و (الكعك) ، هو نوع من الخبز اليابس . ويحمل في الأسفار أيضاً ، حيث يبقى مدة طويلة محافظاً على طعمه ونكهته . وقد ذكره بعض اللغويين في المعربات[6]. والسميذ ، نوع من أنواع الخبز اليابس كذلك .

وقد يحلى الخبز ، بوضع مادة حلوة فيه ، وقد يعجن بالدهن أو الزيت ،

---

١ المعرب (ص ٩٥ ، ١١٥) ، تاج العروس (٦/٣٠٥) .
٢ حزقيال ، الاصحاح الرابع ، الاية التاسعة ، Hastings, Dict., Vol., I, p. 315 f.
٣ المعرب (ص ١٩٧) ، فتح الباري (٩/٤٦٤) ، اللسان (١٠/١٢٣) .
٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 318, Hastings, a dict. of Christ and the Gosple, Vol., I, p. 231.
٥ تاج العروس (٦/٣٥٩) .
٦ تاج العروس (٧/١٧٤) ، المعرب (ص ٢٩٧) .

وقد توضع فيـــه بعض المواد لاعطائه نكهة خاصة ، أو يوضع عليه السمسم أو غيره ، كما نفعل اليوم .

ويخبز الخبز عند الحضر وأهل الريف في (التنور) . و(التنور) من الألفاظ الواردة في عدد من اللغات السامية ، فهو (تنورو) Tanuru في الآشورية [١] . و (تنور) في العبرانية [٢] . والتنور العربي هو نفس البابلي القديم نفسه [٣] .

وقد عيّر (حسان بن ثابت) رهط (النجاشي) الشاعر بأنهـــم لم يكونوا أهل حرب ولا طعان ولا فرسان ، وانما هم قوم لا يعرفون غير الأكل والجلوس حول التنانير ، يأكلون ما يخبز فيها [٤] .

وعاش بعض الناس على بيع الحليب واللبن والزبدة والجبن . أما (اللبن) ، فإنه الحليب المثخن ، أي الحليب الغليظ . غلظ بتسخينه وبإضافة خميرة اليه . وأما الزبدة ، فتستخرج من خض الحليب وتحريكه ، فتتجمع مادة دهنه وتكون الزبدة ؛ وأما الجبن ، فإنه من أكل أهل القرى والمدن في الغالب . أما الأعراب ، فلم يستعملوه بكثرة ، ولا زالوا على هذه العادة . وقد يستعمل بعضهم اللبن المجفف ، فبعد تحويلهم الحليب الى لبن ، يجففون اللبن ، ويستعملونه عند الحاجـــة . وقد ذكـر الجبن في التوراة بـ (جبينه) من أصل (جبن) احـد الألفـــاظ السامية القديمة [٥] .

ويعيش أناس من الجزارة ، فكانوا يبيعون اللحم ويتكسبون بهـذه الحرفة ، كما كانوا يقومون بالجزارة للناس في مقابل أجر يتقاضونه ، قد يكون نصيباً يدفع اليهم من الذبيحة ، وقد يكون شيئاً آخر يحصل التراضي عليه [٦] . ولكن العـــادة أن يقوم الذبّاحون بذبح الذبائح لأهل البيوت مقابل دفع شيء اليهم من الذبيحة أو بعض الأشياء التي يحتاجون اليها ، وقد يقوم بالذبح أصحاب البيوت أو الخدم أو الطبّاخون وذلك في العوائل الكبيرة ، ولهذا فحرفة الجزارة لم تكن من الحرف

---

١ Reallexikon, Bd., I, S. 5 Lieferung, S. 387.

٢ Hastings, A Dictionary of the Bible, p. 315.

٣ Reuther, Innenstadt von Babylon, S. 26, f., 53, 107, 118.

٤ الا طعـــان ، الا فرسان عاديـــة الا تجشؤكم حـــــول التنانـــير
ديوان حسان (ص ٢١٥) « البرقوقي » .

٥ Smith,Vol., I, p. 237.

٦ جامع الاصول (٣٩٦/٤) .

الشائعة ، لا سيما وأن سواد الناس لم يكن في امكانهم تناول اللحوم في كل يوم، لغلائه بالنسبة لهم ، بل كانوا يعيشون على الخبز وبعض الادام الرخيص ، ولهذا صار الخبز المادة الأساسية في معيشة الإنسان ، ومن هنا قيل له (العيش) ، وقيل للطعام : (العيش) . كما كان اللبن أساساً لمعيشتهم ، وقد يتأدمون بالتمر مع الخبز[1] .

وأحسن اللحوم عند العرب لحوم الإبل ، لا يفضلون شيئاً عليها ، ومنهم من كان يستطيب أكل الضب[2] . وهم في أكل لحم الجمل على عكس يهود ، الذين يحرمون أكل لحوم الجمل . أما لحوم الغنم والماعز ، فإنها تكون عند أهل القرى والمدن ، حيث يبيعها الجزارون . وقد يأكلون لحوم الخيل . وفي الأدب العربي قصص عن ذبح فرس لضيف قادم ، حين لا يكون لدى المضيف من حيوان سوى الفرس . وقد يأكلون الحمر الوحشية ، والحيوانات الأخرى حيث يصطادونها. أما الدجاج ، فإنه من مآكل أهل القرى والمدن حيث تربى عندهم ويبيعونها في السوق .

وكان مأكولهم في غالب الأزمان لحوم الصيد والسويق والألبان ، وكان الغالب من أهل باديتهم لا يعاف شيئاً من المأكل لقلتها عندهم . وكان الاصطياد ديدناً لهم ، وسيرة فاشية حتى كان ذلك أحد المكاسب التي عليها معاشهم،لاضطرارهم الى النقلة في الغالب وتشاغلهم بالحروب وغزو بعضهم بعضاً،ولضيق ذات يدهم، فكانوا يتغلبون على كل ذلك بالاصطياد وبمطاردة الحيوانات بكل طريقة ممكنة لأكل لحومها[3] .

والطباخة من الحرف التي كانت معروفة عند الجاهليين . وقد ورد في كتب اللغة والأخبار وكتب الحديث أسماء بعض الأطعمة التي كان يستعملها أهل الجاهلية وبينها أسماء أطعمة معربة ، اقتبسها العرب من الفارسية والارمية واليونانية . ومن هذه الاطعمة المعربة ، (الخرديق) (الخردق) ، وهو طعام شبيه بالحساء أو

---

١ اللسان (٣٢٢/٦) .

٢ بلوغ الارب (٣٨٠/١) ، وكان الرسول ممن لا يستسيغ أكل العنب ، كتاب التاريخ الكبير ، لابي عبد الله ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦هـ) ، (١٧٠/١) ، «طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٣ هـ » .

٣ بلوغ الارب (٣٨٠/١ وما بعدها) .

(الخزيرة)[1] . وقيل المرقة بالشحم . ذكر العلماء أنها من أصل فارسي ، هو (خورديك)[2] . و (الخشنكان)[3] .

وتقوم المرأة صاحبة البيت بالطبخ ، أما اذا كانت الأسرة غنية موسرة ، فتستخدم طبّاخات للطبخ . وقد يقوم (طباخ) بذلك . وفي الولائم الكبيرة حيث يدعى عدد كبير من الناس ، يصعب على الطبّاخات الطبخ بالقدور الكبيرة ، ولهذا يقوم الرجال بذلك .

وقد استخدم أصحاب المال والثراء طبّاخين أعاجم لطبخ الأطعمة لهم ، وذلك لاتقانهم عمل الطبخ ولتفننهم فيه،ولمعرفتهم بأنواع المآكل الأعجمية التي لا يعرفها العرب . وقد ذكر أن (عبدالله بن جدعان) جاء بطبّاخ فارسي من العراق ليطبخ له مأكولات لا يعرفها أهل مكة وقد أعجبته، ومنها الفالوذج ، وهو من مأكولات الفرس .

وتستعمل القدور في طبخ الأكل . والعادة أن تكون هذه القدور من معدن . مثل نحاس أو حديد . ولكنها قد تصنع من الحجارة المنحوتة أو طين مشوي بالنار، أي قدور من فخار . وتستخدم المقلاة للقلي ، فيقلى فيها أو في القدر ما يراد قليه من لحم أو غير ذلك . وقد يسلق اللحم ، أو الخضر سلقاً، ويعبر عن ذلك في العبرانية بلفظة (سلق) كذلك . أما (المرق) ، فيقال له (مرق) في العبرانية كذلك . وقد يهيأ الطعام بطريقة الشوي على النار ، بأن يشوى اللحم أو السمك علي النار ، ويعبر عن ذلك بالشواء . يعلق اللحم أو السمك بعود أو أعواد أو بعمود من حديد ، ثم يقرب من اللهيب أو الجمر حتى ينضج اللحم أو السمك فيرفع للأكل .

وقيل للقدر (البرمة) بلغة أهل مكة والجمع (بُرام) . وقد وردت لفظة (قدور) في القرآن الكريم : « وجفان كالجوابي وقدور راسيات »[4] والمفرد : قدر . و (القدير) ما يطبخ في القدر . وقيل ما طبخ من اللحم بتوابل ، فإن لم يكن ذا توابل فهو طبيخ . والقدّار : الطبّاخ ، وقيل الجزّار ، وقيل الجَزّار

---

١ المعرب (ص ١٢٨) .
٢ تاج العروس (٣٢٧/٦) .
٣ المعرب (ص ١٣٤) .
٤ اللسان (٨٠/٥) . البيان (١٩/١) .

هو الذي يلي جزر الجزور وطبخها . قال مُهلهل :

إنّا لنضرب بالصوارم هامها ضرب القدار نقيعة القدّام[1]

وعرفت البرمة بقولهم : البرمة : قدر من حجارة والجمع برم وبرام . وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن[2] .

ويطلق على الحجارة التي تنصب عليها القدر الأثافي ، واحدتها أثفية ، وعلى المسافة بين أثافي القدر التي يجتمع فيها الجحر (الرّبعة)[3] .

وطعام ابن البادية طعام محدود ، لضيق أرضه وسذاجة حياته . أما الحضر ، ولا سيما أصحاب الحضارة ومن كان منهم على اتصال بالروم والفرس ، فكانت أطعمتهم متعددة متنوعة ، فيها تفنن ومهارة في الطبخ . وقد يبقى الأعرابي مدة لا يذوق فيها طعاماً مطبوخاً باللحم ، لأن اللحم نادر في البادية ، إلا اذا جاء ضيف فنحر له ، أو وقع له صيد. ولهذا أكل بعضهم الضباء والأرانب والحيوانات الأخرى التي تقع أيديهم عليها ، لحاجتهم الى اللحوم ، وأكلوا الجراد . والأغلب شيٌ لحوم الصيد ، لسهولة ذلك .

أما الحضر وسادات القبائل وذوو اليسار ، فكانوا يطبخون وقد وردت اسماء بعض أطعمتهم في الشعر وفي الحديث النبوي ، ومنها الثريد وهو لحم مقطع يغلى في الماء ، وقد يوضع البصل معه أو مادة أخرى ، وبعد نضجه يثرد خبز ويلقى اللحم والمرق عليه ، فيسمى الأكل ثريداً . وقد كان من الأكل الطيب المحبوب . وقد ذكر في كتب الحديث . ويقدم في الولائم وللضيوف . والخبز ممدوح عند العرب ، ولذلك مدح هاشم حين هشم الخبز . والثريد عام في الأشراف ، يقدمونه للناس ، ويرون أكل الخبز ، سبباً في صفاء العقل . ولهذا ذكروا أن كسرى مدحه ، حينما سمع حديث هوذة بن علي الحنفي معه ، فلما رأى رجاحة عقل هوذة وحسن ذكائه ، قال له : « ما غذاؤك ببلدك ؟ قال : الخبز . فقال كسرى : هذا عقل الخبز ، لا عقل اللبن والتمر . ويقال : إن عبدالله بن حبيب العنبري ، كان يعاف التمر ، ولا يرغب في اللبن ، ولا يأكل

---

١ اللسان (٥/٨٠) .
٢ اللسان (١٢/٤٥) .
٣ المخصص (١١/٣٣) .

إلا الخبز ، فقيل في المثل : « أقرى من آكل الخبز » وكان من الأجواد[1] .

وفي كتـــاب الأغاني : أن كسرى قال كلامه المذكور المتقدم الى غيلان بن سلمة ، وهو من ثقيف ، وكان قد جاء مع أبـي سفيان في تجـارة الى العراق . وقد خاف أبو سفيان من الفرس ومن احتمال مصادرتهم أموال تجـارتهم ، فتقدم غيلان ، ودخل مع الداخلين الى بلاط كسرى ، وتحدث معه ، فأعجب كسرى به ، وأخذ يسائله ، حتى سرّ منه ، فاشترى منه تجارته ، وقال له ذلك القول المذكور ، وكساه ، وبعث له معه من الفرس من بنى له أطماً بالطائف ، فكان أول أطم بني بها »[2] .

وفي المآدب الكبيرة يكون (الثريد) ، هو الطعـــام الرئيسي . ويهيأ بسلق قطع اللحم الملقاة في الماء ، وقد يضاف اليه البصل والحمص ، فإذا سلق اللحم ونضج ، وتولد منه مرق ، ألقي مع مرقه على الخبز المثرود في قصع وصحاف، ليأكله المدعوون . والثريد من الأطعمة المحببة الى نفوس أهل مكة والحجـــاز . وقد قـــدم (ابرهة) الثريد الى الجنود والفعلة الذين أتموا سدّ مأرب ، وذلك يوم الاحتفال بانتهاء العمل . وقد يقابل ذلك ما يقال له (سلوق) و (سليقوت) عند العبرانيين[3] . وقد أشير الى الثريد في قصة ذهاب (هاشم بن عبـد مناف) الى بلاد الشأم ، والتقائه بهرقل ، وتثريده لمن معه ولأهل مكة .

ولازدراء العرب من يزرعون البقول والخضر ، أحجم الناس عن زراعتهـا ، فقلّ وجودها في مطابخ أهل الحضر . أما أهل البادية ، فإن مآكلهم تكاد تكون خلواً من الخضر المطبوخة ، لندرة الخضر في البادية ، ولأنهـا تحتاج إلى لحم ، وهو نادر في البادية أيضاً . ثم إن الطبخ المعقد ، لا يناسب الحياة في الصحراء ، لهذا كان المطبخ الجاهلي، مطبخاً يكاد يكون مستغنياً عن الخضرة المطبوخة باللحوم. لا يستثنى من ذلك إلا السادة المتصلون بالروم وبالفرس وأهل اليمن ، والأغنياء من أهل المدن والقرى ، فقد كان في امكانهم الحصول عليها،ومن هنا استعملوها في الطبخ ، يطبخونها مع اللحم .

---

١ مجمع الامثال (٢/٧٣) ، بلوغ الارب (١/٨٦ وما بعدها) .

٢ الاغاني (١٠٢/٤٦) .

٣ Ency. Bibli., Vol., I, p. 888.

لذا صار عماد الأكل الجاهلي والتمر واللبن والسمن والدقيق المصنوع من البر أو الشعير والشحوم والعسل ، وذلك عند أهل الحضر في الغالب ، والجراد والأقط. واذا دققنا في قائمة المأكولات الجاهلية ، رأينا موادها لا تتعدى هذه الأشياء ، وهي تختلف باختلاف خلط هذه المواد وباختلاف مزجها وطبخها . ولكنها كلها لا تخرج عن حدود الأشياء المذكورة .

ونجد في قائمة مأكولات أهل الجاهلية أكلات تقوم على استعمال الدقيق في الطبخ . من ذلك الحساء : وهو طبيخ يتخذ من دقيق وماء ودهن . وقد يحلّى ويكون رقيقاً يحسى[1] .

وقد يستعمل الدقيق مع الحليب ، بأن يطبخ ، ومن ذلك الحريرة : الحسا من الدسم والدقيق ، وقيل هو الدقيق الذي يطبخ بلبن ؛ وقيل الحريرة من الدقيق والخزيرة من النخال[2] . وقد عرفت قريش باكثارها من أكل أكلة عرفت بـ (سخينة) ، ولاكثار قريش من أكلها عيّرت بها حتى قيل لها (سخينة). والسخينة أكلة ارتفعت عن الحساء وثقلت عن أن تُحسى ، وهي طعام يتخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، وذكر انها دقيق يُلقى على ماء أو لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو يحسى ، وقيل تعمل من دقيق وسمن . وذكر أن الناس يأكلون السخينة في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال[3] .

ويذكر أهل الأخبار أن أول من لقب قريشاً بـ (سخينة) (خداش بن زهير)، حيث يقول :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرمُ

فذهب ذلك على أفواه الناس حتى كان من التمازح به ما كان بين معاوية بن أبي سفيان وبين الأحنف بن قيس التميمي ، حين قال له : ما الشيء الملفّف في البجاد ؟ فقال له : السخينة يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر :

---

١ اللسان (١٤/١٧٧) .
٢ اللسان (٤/١٨٤) .
٣ اللسان (١٣/٢٠٦) .

إذا ما مـــات ميت من تميم فسرّك أن يعيش فجيء بزاد
بخبز ، أو بلحم ، أو بتمر أو الشيء الملفف في البجـــاد

يريد وطب اللبن ، وأراد الأحنف قول خداش بن زهير ، يا شدة ما شددنا.. البيت . وحتى قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، لكعب بن مالك الأنصاري: أترى الله نسي قولك ؟ يعني :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبنّ مغـــالب الغلاب[1] »

وورد في بعض الروايات أن البيت المتقدم هو من شعر حسّان بن ثابت[2] .

ومن المآكل التي يأكلها أصحاب العيال إذا غلب عليهم الدهـر : النفيتة ، وهي الحريقة ، أن يذر الدقيق على ماء أو لبن حليب حـــتى تنفت ، ويتحسى من نفتها ، وهي أغلظ من السخينة . وقد قيل عنها : حساء بين الغليظة والرقيقة[3] . والحريقة اسم مرادف للنفيتة[4] .

ومن المآكل الحدرقة . وهي دقيق يلقى على ماء أو على لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو يحسى وهو الحساء ، فهي مثل السخينة ، والنفيتة والخزيرة والحريرة . وقيل الحريرة أرق منها[5] . و (النجيرة) العصيدة : وهي لبن وطحين يخلطان[6] . ومنها (الصحيرة) ، وهي اللبن يغلى ثم يذر عليه الدقيق. ومنها (العكيسة) ، وهي لبن يصب عليه الإهالة وهي الشحم المذاب . ومنها (الغريقة) ، وهي حلبة تضم الى اللبن والتمر وتقدم إلى المريض والنفساء ، ومنها (الرغيدة) وهي اللبن الحليب يغلى ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيلعق[7] .

ومن مآكلهم : (الأصية) ، وهي دقيق يعجن بلبن وتمر ، ومنها (الرهية)، وهي برّ يطحن بين حجرين ويصب عليه لبن . ومنها (الوليقة) وهو طعـــام

---

١ العمدة (١/٧٦ وما بعدها) ، « القاهرة ١٩٦٣ م » .
٢ العقد الفريد (٦/٢٩٢) ، كتاب التأريخ الكبير ، للبخاري (١/٧٠) ، بلوغ الارب (١/٣٨١ وما بعدها) .
٣ اللسان (٢/١٠٠) ، بلوغ الارب (١/٣٨٣) .
٤ اللسان (١٠/٤٣) .
٥ اللسان (٢/١٠٠) ، (١٠/٤٠) .
٦ اللسان (٥/١٩٤) .
٧ بلوغ الارب (١/٣٨٣) .

يتخذ من دقيق وسمن ولبن ، ومنها (الخزيفة) ، وهي شحمة تذاب ويصب عليها ماء يطرح عليه دقيق فيلبك به ، ومنها (الرغيغة) ، وهي حسو من دقيق وماء وليست في رقة السخينة . و (الربيكة) ، وهي طعام يتخذ من بر وتمر وسمن . ومنها (التلبينة) ، وهي حُثالة تتخذ من دقيق أو نخالة ويجعل فيها عسل . ومنها (الوشيقة) ، وهي أن يُغلى اللحم ثم يرفع . و (العثيمة) ، طعام يطبخ ويجعل فيه جراد وهو (الغشيمة) أيضاً . و (البغيث) و (الغليث) الطعام المخلوط بالشعير[1] .

و (العريقة) ، وهي شيء يعمل من اللبن . و (البكيلة) السمن يخلط بالأقط ، وقيل الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء أو بسمن أو بزيت[2] .

ومن مآكلهم (الخزيرة) ، وهي أن ينصب القدر بلحم يقطع صغاراً على ماء كثير ، فإذا نضج ، ذر عليه الدقيق . فإن لم يكن لحم ، فهو عصيدة . وينسب صنعها إلى سويد بن هرمي . ولذلك قال شاعرهم لبني مخزوم :

وعلمتمُ أكل الخزير وأنتم على عدواء الدهر صم صلاب[3]

وعرفت الخزيرة : انها اللحم الغابُ يؤخذ فيقطع صغاراً في القدر ثم يطبخ بالماء الكثير والملح ، فإذا أميت طبخاً ذرّ عليه الدقيق فعصد به ثم أدم بأي ادام شيء ، ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم ، فإذا لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. وقيل الخزيرة مرقة ، وهي أن تصفى بلالة النخالة ثم تطبخ ، وقيل الخزيرة والخزير الحسا من الدسم والدقيق . وقيل الحسا من الدسم[4] .

وصنع أهل مكة طعاماً ، عدّ عندهم من رقيق العيش : هو لباب البرّ بصغار المعزى[5] .

وهناك أكلات أخرى بسيطة ، مثل أكل تمر مع لبن ، أو الزبد مع الرطب ،

---

١ بلوغ الارب (١/٣٨٣ وما بعدها) .
٢ بلوغ الارب (١/٣٨٤) .
٣ بلوغ الارب (١/٣٨٤ وما بعدها) .
٤ اللسان (٤/٢٣٧) .
٥ البيان (١/١٨) ، الحيوان (٥/٤٨١) .

أو خلط لبن بلبن آخر ذكر أسماءها علماء اللغة[1] ، لا أرى حاجة إلى ذكرها ، لعدم وجود أهمية لها وعلاقة كبيرة بهذا الموضوع .

وقد استورد الحضر بعض مآكلهم من الخارج ، لاستساغتهم واستحسانهم ، فقد قيل إن عبدالله بن جدعان سيد قريش كان قد زار العراق ، ودخل قصر كسرى وأكل عنده . وكان في جملة ما أكل (الفالوذج) ، فتعجب منه ، وسأل عنه ، فوصف له . ويقال انه ابتاع غلاماً يصنعه ، وأخذه معه إلى مكة ، وصار يأكله وأمر بوضع موائده بالأبطح إلى باب البيت ، ليأكله النـــاس ، وكان ممن أكله أمية بن أبـي الصلت ، فقال فيه شعراً ومدح صاحبه لجوده وكرمه[2] :

الى ردح من الشيزى عليها لُباب البُرّ يُلبكُ بالشهاد

والردح : الجفنة العظيمة ، والشيزى : خشب أسود تتخذ منـــه القصاع ، واللباب : الخالص ، والشهاد : العسل[3] . وقد نسب (البرقوقي) ذلك البيت الى (ابن الزبعرى) ، عبدالله وهو من الشعراء الذين عرفوا بهجائهم للرسول وبدفاعهم عن المشركين[4] .

وكان عبدالله بن جُدعان من أغنى أغنياء قريش ، جمع مالاً عظيماً ، ولكنه كان على خلاف عادة التجار الأغنياء كريماً جواداً متأنقاً ينفق على طعامه وشرابه. كسا بيته بأحسن ما كان في ذلك العهد ، كانت أواني شربه من ذهب ، وفيه ورد في المثل : أقرى من حاسي الذهب[5] .

ويقال إن ابن جدعان هذا كان في ابتداء أمره صعلوكاً تَرِبَ اليدين ، شريراً فاقطاً ، لا يزال يجني الجنايات ، فيعقل عنه أبوه وقومه ، حتى أبغضته عشيرته ، ونفاه أبوه ، وحلف لا يؤويه أبداً ، فخرج في شعاب مكة تائهاً حائراً ، فرأى شقاً في جبل ، فدخل فيه ليستريح ، وإذا به يعثر على مقبرة فيها جثث عليهـا

---

١ اللسان (١/٣٨٤) .
٢ مجمع الامثال (٢/٧٣) ، الاغاني (٨/٤) « طبعة ساسي » ، بلوغ الارب (١/٣٨١) .
٣ البيان (١/١٧ وما بعدها) .
٤ البرقوقي (ص ٥٧) .
٥ مجمع الامثال (٢/٧٢) .

ثياب قد بليت ، صارت كالهباء حين لمسها ، ووجد كنزاً حمله معه الى والـده ليسترضيه ، فرضي عنه ، ومن هناك جاء غناه [1] . ويقال إنه كان نخاساً [2] .

وروي انه مذ هذا الحادث صار يطعم الناس ويفعل المعروف، وصنع له جفنة كبيرة جداً يأكل منها القائم والراكب لعظمها ، ووضع له جفاناً في ردحة بيته ليأكل منها من يقصده . وورد ان الرسول ربما كان يحضر طعامه ، وقد رأى جفنته ، واستظل بها لضخامتها [3] .

ولمكانته هذه ولمنزلته في قومه وبين الناس ، آمنت به العرب ، ووثقت به ، فكانت تدفع أسلحتها اليه ، حتى تفرغ من التسوق من سوق عكاظ ومن الحج ، فإذا أرادت الرجوع ، دفع اليها أسلحتها [4] .

وقد عرف السكر عند الجاهليين ، ويقال له : المبرت بلغة حمير [5] . ولا يستبعد صنعه في جزيرة العرب أو استيراده من الهند أو من أماكن أخرى . وقد ذكر (ديوسقوريدس) Dioscurides أن في الهند وفي اليمن مادة تشبه الملح في المنظر، تستخرج من سائل كالعسل [6] ، وفي هذا الوصف ما ينطبق عل السكر .

حرف أخرى :

ومن الحرف الحلاقة والحجامة . ويجمع الحلاّق في الغالب بين حلاقة الشعر والحجامة . ويستعمل الحلاق الموسى والمقص في الحلاقة ، ويتخذ المرآة لإراءة المحلوق شعره وكيفية قصه، وكذلك يتخذ أدوات زينة وطيب لتطييب الشخص، إذ الحلاقة نوع من أنواع الزينة كذلك . وكانت حلاقة الرأس مختلفة ، لا تجري على طريقة واحدة . فللقبائل عادات مختلفة في طريقة حلاقة الشعر وقصه ، كما أن الأعراب يختلفون عن أهل المدن في تنظيم شعر رؤوسهم وحلاقته. وهم يدهنون

---

١ بلوغ الارب (١/٨٧ وما بعدها) .
٢ المعارف (ص ٢٥٠) .
٣ بلوغ الارب (١/٨٨ وما بعدها) .
٤ الاغاني (١٩/٧٦) .
٥ شمس العلوم (١/١٤٦) ، (البرت بالضم السكر الطبرزذ ، باعجام الذال ، وهو لغة اليمن) ، تاج العروس (١/٥٢٥) ، (برت) .
٦ Ency. of Islam, Vol., IV, p. 510.

شعورهم ويتركونها تتـــدلى في الغالب ، وقد يجعلونها ضفائر وجدائل تتدلى على الاكتاف .

واعتماد الحجام على الموسى يشرط به جروحاً خفيفة يمص منها الدم بكأس من الزجاج توضع فوق الشرط ، ثم يسحب الحجام الهواء من الفتحة الضيقـة المتصلة بقناة داخل الكأس ، فيخرج الدم الى داخل الكأس . وقـــد كانت الحجامة من وسائل التداوي في ذلك الزمن . كذلك عدّ (الفصد) ، وهو اخراج الدم من عرق في اليد ، نوعاً من أنواع المداوة . ويقال للقائم به (الفصاد) . وقـــد يقوم بذلك الأطباء . واستعمل نوع من الديدان في امتصاص الدمّ كذلك ، وذلك كنوع من أنواع المعالجات الطبية . ولا تزال هذه الطريقة معروفة عنـــد الأعراب وأهل القرى والمدن . وقد حجم الرسولَ رجلٌ اسمه (أبو طيبة) ، وأعطاه أجره عليه [1] ويستعمل الفصاد المبضع في الفصد [2] .

وعاش بعض الناس على بيع الحطب ، فكانوا يجمعونه من البادية ومن الجبال ويأتون به إلى المدن والقرى مثل مكة ويثرب فيبيعونه . يقوم بذلك (الحطّابة)[3] . وقد نعتت امرأة أبـي لهب في القرآن الكريم بـ (حمّالة الحطب) ، وذلك على سبيل الازدراء والتحقير . ويشد الحطب ويربط بحبل ، ويوضع على ظهر الدابة ، وقد يحمله الأشخاص لبيعه . والأغلب أن تبيع النساء العاقول والحطب .

والرتم من الحطب الذي يعطي ناراً شديدة ذات لهب ، يبيعه الحطابون لأهل المدن ، ويقال له (روتيم) في العبرانية . ويتخذ منه فحم ، وذلك باطفاء ناره قبل احتراقه . فيتولد من ذلك الفحم[4] .

ومن أنواع الحطب الأطد ، وهو : (اطد) في العبرانية أيضاً . والعوسج ، والحدق . ويقال له (حدق) في العبرانية كذلك ، والسمر ، وهو (شمير) عند العبرانيين[5] .

وقد كان أكثر من يتعاطى الطبخ والخبازة والجزارة من العبيد . وقد تخصص

---

١ عمدة القاري (٢٢١/١١ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٣٧/٨) .
٢ المغرب (ص ٣٩) .
٣ المغرب (ص ١٢٦) .
٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol., I, p. 71.
٥ Smith, Dict., Vol., III, p. 1191.

بعضهم بعمل واحد من الحرفة الواحدة ، مثل بيع نوع واحد من الطبيخ ، فذكر ان رسول الله دعا اليه مرة عبداً ، كان يبيع الخرديق[1] . و (القدّار) هو (الجزار)[2] .

والموقد ، هو الموضع الذي توقد فيه النار ، ويعرف بـ (ميقده) عند العبرانيين[3] . وقد كان عرب بلاد الشأم والعراق يتخذون المواقد للاصطلاء بها في أيام الشتاء ، كما يستعمله الطباخ موضعاً للطبخ ، يضع القدور عليه ويشعل فيه النار .

وقد عاش أناس على كراء الحمير والإبل للمحتاجين الى ذلك ، ويقال لذلك البرطسة[4] . ولمكتريها للناس المبرطس[5] .

وقد احترف بعض الناس حرفة صنع الحصر والسلال والقلل والسرر . صنعوها من الخوص ومن سعف النخيل . لوجودها بكثرة . وصنعها بعضهم من القصب وذلك في الأماكن التي تكثر فيها المياه والرطوبة . ولا تزال هذه الحرف قائمة معروفة. وتصنع بعضها بنسج الخوص أو الألياف كما هو الحال بالنسبة الى (الحصر)، جمع حصير المنسوج الذي يبسط في البيوت . وذكر أن الحصير : سقيفة تصنع من بردي وأسل ثم تفرش[6] .

ويستخدم (السفط) في حفظ الأوراق والأشياء الثمينة . ويصنع من القصب والخيزران ومن الخوص أيضاً ، حيث يصف صفاً .

و (القفة) ، نوع من السلال أيضاً . وتكون مختلفة الحجوم . وتستخدم في أغراض متعددة ، ومنها نقل الطين ، وتعرف عند أهل العراق بـ (قفة طين)، أو لنقل الأحجار. وتصنع من المعدن أو من الأغصان. وأشير اليها بـ « Kophinoi » و « Kophinos » « Cophinus » في الأناجيل ، من اليونانية حيث تسمى بـ « Kophinoi »

---

١ تاج العروس (٦/٣٢٧) .
٢ الفاخر (ص ٩٨) .
٣ Hastings, Dict. of the Bible , Vol., I, p. 72.
٤ شمس العلوم (ح ١ ق ١ ص ١٥٥) .
٥ شمس العلوم (ح ١ ق ١ ص ١٥٥) .
٦ اللسان (٤/١٩٥ وما بعدها) .

« Kophinos » واللاتينية، حيث تسمى بـ « Cophinus »[1] . ولعل بين لفظة (قفة) والتسمية اليونانية اللاتينية صلة. ومن لفظة « Kophinos » ، أخذت لفظة « Coffen » أي تابوت . ويلاحظ أن بين هذه اللفظة ولفظة (كفن) العربية ، صلة كبيرة كذلك[2] .

وذكر علماء اللغة ان القفة : الزّبيل ، ويسمونها القفعة ويجعلون لهـا معاليق يعلقونها بها من آخرة الرحل ، يلقي الراكب فيها زاده وتمره ، وهي مدورة . وعرفت انها شبه زبيـل صغير من خوص يجتنى فيه الرطب وتضع فيهـا النساء الغزل[3] . وعرف الزبيل والزنبيل : بالجراب ، وقيل الوعاء يحمل فيه ، والقفة[4] .

وأما السلة المصنوعة من الخوص ، فيقال لها (العلاقة) في العراق في الوقت الحاضر . وتكون صغيرة ومتوسطة . أما الكبيرة، فيقال لها (الكوشر) و (الزنبيل)، ويستعملها الحمالون في حمل الأشياء للناس .

وتستعمل السلال المصنوعة من الأعواد ومن أغصان الشجر الطريـة في حفظ الأطعمة والمطبوخات ، لدخول الهواء اليها ، ولمنع الطيور والكلاب والقطط من الوصول اليها . وتكون مثل هذه السلال مرتفعة ذات قاعدة أصغر من الوجـه العريض الذي يوضع على العرض .

وقد وردت في التوراة والانجيل وفي الكتب اليونانية واللاتينية وفي الآثار المصرية أسماء سلال صنعت في ذلك العهد. تفيدنا في تكوين فكرة عن السلال عند الجاهليين. وقد صنعت بعض تلك السلال من القصب ومن التبن ومن الخوص ومن الأعواد، وهي مختلفة في الأحجام والسعة . ففي التوراة لفظة هي : (س ل) (سل) ، وهي (السلة) عندنا . والجمع (سلال) . وتصنع في بلاد العرب من الخوص أو من الأغصان الطرية. وتستعمل في نقل الخبز واللحوم والخضر والأشياء الأخرى[5].

---

١ Hastings, Dict., vol., I, p. 256, Hastings, Dict. of the Christ, vol., I, p. 174, Smith, A Dictionary of the Bible, I, p. 171.

٢ The Bible dictionary, vol., I, p. 283.

٣ اللسان (٩/٢٨٧) .

٤ اللسان (١١/٣٠٠ وما بعدها) .

٥ Hastings, Dict., vol., I, p. 255, Smith, Dict., vol., I, p. 171, Ency. Bibl., vol., p. 499.

وهي مثل الكيس أحياناً ، يمكن ضمها بعضها الى بعض وتكون لها يد تحمل بها. وهي في مقابل (الطبق) عند العراقيين . غير ان الطبق ثابت يصنع من أغصان بعض الأشجار مثل الرمان،حيث تكون لينة لا تنكسر . ويكون بأحجام متعددة، منه ما هو صغير الحجم ، ومنه ما هو وسط ومنه ما هو كبير ، يستعمل لنقل الخضر والفواكه من البساتين والحقول الى مواضع البيع . ومنه ما يستعمله القصابون المتجولون لبيع اللحم .

والسرير: المضطجع والذي يجلس عليه[1] . وكانت أكثر الأسرة مصنوعة من الجريد ، وذلك لتوفر الجريد في كل أنحاء جزيرة العرب ، وقلة الخشب فيها .

ولبست العباءة كذلك . تلبس فوق الملابس . وقد ذكر أن رسول الله كان يلبس العباء[2] .

والبيطرة من الحرف المعروفة عند الجاهليين . وقد كانوا يستعملون الأدوية والكيّ في مداواة الحيوان كما يستعملون بعض الآلات في معالجتها ، مثل (المبزغ) وهو مثل مشرط الحجام[3] .

حرف الجلد :

والدباغة حرفة مهمة اشتهرت بها أماكن متعددة من جزيرة العرب ، ولا سيما بعض القرى والمدن مثل الطائف وجرش مواضع متعددة في اليمن وفي العربية الجنوبية . وهي صناعة تقوم على أساس اصلاح الجلد وإبعاد الصوف والشعر عنه، للاستفادة منه في أغراض نافعة . وقد استخدم الدباغون موادّ مساعدة تعين على نتف الصوف والشعر من الجلد بسهولة ، وبدون أذى له أو للجلد ، مثل مادة الجير أو مواد أخرى ، كما استخدموا مواد تساعد على حفظ الجلد ومنعه من التلف لدبغه ، مثل العفص وغيره من مواد نباتية دابغة . وقد أنف كثير من الناس من هذه الصناعة وتجنبوها ، لما ينشأ عنها من روائح كريهة ولاستعمال

---

١ اللسان (٤/٣٦١) .
٢ البيان (١/٢٣٦) ، (٢/٣٠) .
٣ المغرب في ترتيب المعرب : تأليف أبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي المتوفى سنة ٦١٦ ، (ص ٣٧) طبعة حيدر آباد ، تاج العروس (٣/٥١)

الدباغين بها مواد تعدّ نجسة في نظر بعض الأديان . كما منعوا إقامة المدابـــغ في الأماكن المأهولة المعمورة ، وحرصوا على عزلها وحصرها في الأماكن البعيدة عن أحياء السكنى ولا سيما سكنى الطبقات المتنفذة الغنية .

ويقوم الدباغون ببيع ما يدبغونه من التجـــار . وقد يحمل إلى أسواق بعيـــدة لاستخدامه في أغراض عديدة ، كتحويله إلى قرب يخزن فيها الماء أو يحمـل أو أوعية تحفظ فيها الخمور والسمن والسويق والطيب ، أو أحذية وسيور وغير ذلك من الحاجات . وقد يحوّله الدباغون أنفسهم إلى هذه الأشياء المذكورة. كما تخصص أناس بحرف تحويل الجلود إلى مواد نافعة يستعملها الانسان في حياته اليومية، كالمواد المتقدمة والدلاء وأمثال ذلك من أدوات .

والقرب في ذلك الوقت مهمة جداً في حياة الانسان . فقد كانت مخازن متحركة يخزن فيها أشياء كثيرة ضرورية . فكانت أوعية لحمل الماء في الحضر وفي السفر، كما كانت الأوعيـــة الرئيسة لحفظ الخمور والأنبذة والزيوت والدهـــون والشحوم والدبس والمواد الغذائية الأخرى. يحتاج اليها الأعرابي في حله وفي ترحاله والحضري في مستقره وفي سفره. كان المصريون واليونان والرومان والعبرانيون يحفظون الخمور والأنبذة في أوعية القرب . وقد أشار الى ذلك بعض الكتبة القدماء . ويعالج اهاب القرب معالجة خاصة ليعطي الشراب نكهة طيبة ، ولئلا يتأثر الشراب من رائحة الجلد [1] .

وذكر علماء اللغة أن (القربة) الوطب من اللبن ، وقد تكون للماء ، وقيـل هي المخروزة من جانب واحد[2] .

وأما (الجِراب) فوعاء من اهاب الشاء لا يُوعى فيها إلا يابس[3] . فهـــو وعاء من الجلد إذن خصص لحفظ الأشياء الجافة كالدقيق وما أشبـه لحفظه . كما يقال لوعاء الزاد ، المزود[4] .

وتدخل المصارين ، وهي أمعاء الحيوانات المذبوحة ، في جملة الأعمـال التي

---

١ Smith, Dict. of the Bible, vol., I, p. 223.

٢ اللسان (٦٦٨/٦) .

٣ اللسان (٢٦١/١) ، تاج العروس (١١٩/١) ، (جرب) .

٤ تاج العروس (٣٦٦/٢) .

يقوم بها الدباغون ، إذ يتعهدونها بالرعاية والعناية والاصلاح ، فينظفونها مما بها من أوساخ ويصلحونها ويعالجونها ، ثم يبيعونها من التجار أو يحوّلونها إلى مواد نافعة مفيدة ، مثل اتخاذها أوتاراً لآلات موسيقية أو للأقواس لرمي السهام ، أي لأغراض حربية . وكلما كانت العناية شديدة بمعالجة هذه الأمعاء ، كانت الأوتار ذات قابلية كبيرة على الشد والتوتر ، وبذلك يكون مجـال رمي السهام بالأقواس كبيراً ، وفائدة القوس في القتـال عظيمة . وقـد كان القوّاسون : أي الرماة بالقوس ، قوة ذات أهمية في مصير حرب ما في ذلك العهد .

وتدخل الجلود في أغراض حربية كذلك . فقـد استخدمت لحماية الجسم من ضربات السيوف ومن تساقط السهام عليه ، كما استخدمت في صنع الدروع والخوذ الواقية للرأس ، وفي حماية الدبابات والمنجنيقات بتغليفها بجلود ثخينة مقاومة. وتعالج بمواد خاصة تكسبها مقاومة خاصة أمـام تساقط النار أو المـاء الحار أو الزيوت الساخنة عليها ، وقد تعمل ستائر منها يحتمي الجنود المشغلون لها تحتها من المواد المقذوفة عليهم . وهناك استعمالات أخرى للجلود أدت للجيوش خدمات كبرى في الحروب . فالقرب ، مادة ضرورية في الحرب ، لأنها أوعية ومخازن للماء ، والماء مادة ضرورية للانتصار في الحروب . والراوية وهي المزادة من ثلاثة جلود ، هي مادة ضرورية في الحرب وفي غير الحرب لما تحمله من ماء[1] . وصنعت الدرق من الجلود ، وهي الحجفة تتخذ من جلود ليس فيها خشب ولها عقب[2]. ويراد بالحجفة التروس من جلود خاصة ، وقيل من جلود الإبل مقورة بلا خشب ولا عقب . وقد كانت معروفة عند الأحباش خاصة[3] . ويراد بالتروس كـل الأسلحة التي يتوقى المحارب بها . والتراسة صنعة التروس ، وأما الصانع ، فهو الترّاس[4] .

وتفرغ أناس لاحتراف أنواع خاصة من أعمال الجلود ، فصرف بعضهم نفسه الى صناعة القرب والدلاء وأدوات السقي ، وتخصص قوم بعمل السروج ونحوها من الأدوات التي تستعمل في الحيوان مثل اللجام و (الرسن) ، كما تخصص آخرون

---

١ المغرب (ص ٢٢٥) .

٢ تاج العروس (٦/٣٤٢) .

٣ المصدر المذكور (٦/٦٥) .

٤ تاج العروس (٤/١١٤) .

بصنع الأحذية . وذكر بعض العلماء أن بعض هذه الأدوات المصنوعة مثل (الرسن)[1] هي من الألفاظ المعربة ، وان (الرسن) لفظة فارسية الأصل ، وقد عربت في الجاهلية . وتصنع (القباب) ، من الأدم خاصة[2] . وقد تكون كبيرة ، ولكنها ذات أحجام مختلفة .

ومن الأدوات المصنوعة من الجلد (الجلبان) ، وهي شبه جراب من الأدم، يوضع فيه السيف مغمـــوداً ، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ، ويعلقه بآخر الرحل وواسطته[3] . والغرز وهو ركاب الرحل الذي تركب به الابل ، ويصنع من الجلد . فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب[4] . والسقاء وهـــو ظرف الماء اذا كان من جلد[5]،ويكون في الغالب من جلد رقيق[6] . والركوة دلو صغير يشرب فيـــه ، ويصطحب في الأسفار[7] . والكنانة وهي الجعبة التي يكون فيهـــا النشاب[8] ، والقفّاز ويعمل لليدين وقد يحشى بالقطن وتكون له أزرار يزرّ بهـــا على الساعدين من البرد.وقد كان يستعمله النساء[9] . وأما (الأرندج) و (البرندج) فذكر الجواليقي أنها لفظة معربة ، وأن أصلها (رندة) ، وهي كلمة فارسية ، ويراد بها الجلد الأسود المدبوغ بالعفص حتى يسود . وقد وردت لفظة (أرندج) في شعر منسوب الى الأعشى[10] .

وتصنع الهمايين من الجلود أيضاً . وقد اشتهرت همايين عجـــر . واللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية[11] . ويراد بالهميان الكيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط .

---

١ المعرب (ص ١٦٤) .
٢ تاج العروس (١/٤١٩) .
٣ جامع الاصول (٤/٣٩٧ ، تاج العروس (١/١٨٧) .
٤ جامع الاصول (٤/٣٧١ ، ٥٠٤) ، تاج العروس (٤/٦٣) .
٥ جامع الاصول (٦/١١٩) .
٦ جامع الاصول (٦/١٢٥) .
٧ جامع الاصول (٦/١١٩) .
٨ جامع الاصول (٩/٣٢٧) .
٩ جامع الاصول (٤/٣٦٥) .
١٠ عليـه ديابـوذ تسربـــل تحته أرندج اسكافـه يخالـط عظلمـا
المعرب للجواليقي (ص ١٦) ، تحقيق أحمد شاكر ، (القاهرة ١٩٤٢) ، تـــاج العروس (٢/٥٠) .
١١ تاج العروس (١/٣٦٨) .

وتحلى الجاهليون بحلي مصنوعة من الجلد أيضاً . ومن هذه الحلي الجمانة : وهي سفينة من أدم ينسج ، وفيها خرز من كل لون ، تتوشحه المرأة [1] .

ويصنع الخوان من الجلد في بعض الأحيان ، ويراد به ما يؤكل عليه الطعام، وهو من الألفاظ المعربة [2] . وأما الصُفن ، فخريطة الراعي ، يكون فيها طعامه وزاده وما يحتاج اليه . وقيل : هو مثل الركوة [3] .

و (العياب) ، هي أوعية من الأدم ، ويقال للواحد منها (عيبة) ، يوضع فيها المتاع والثياب ، وتطلق أيضاً على الزبيل ، الذي ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين [4] . و (الشن) الوعاء المعمول من أدم ، فإذا يبس فهو شن . وفي المثل : « وافق شن طبقه » . يضرب لكل اثنين أو أمرين جمعتهما حالة واحدة اتصف بها كل منهما ، وهناك قصص عن أصل هذا المثل [5] .

واستعمل النصارى واليهود (الزنار) ، يشدونه في وسطهم على القميص أو الثوب أو المسوح الذي يلبسونه ، ويتدلى أحد طرفيه الى قريب من القدمين . ويصنع من الجلد أو الحرير أو القطن أو الوبر أو شعر الماعز . وقد يشد على الوسط عدة مرات . وقد يوضع فيه محل لحفظ منديل فيه ، أو محبرة وحبر اذا كان صاحبه من الرهبان أو الكتاب ، وقد يوضع خنجر أو سلاح حاد فيه . وهو يشبه في فائدته الحزام في الوقت الحاضر . واذا اشتغل الفلاح أو الأعرابي أو غيرهما بعمل ما رفع الطرف الأسفل من قميصه الى الزنار أو الحزام ، ليسهل عليه العمل ، وقد يضع في عُبّه أي القسم الواقع فوق الزناد من جهة الصدر أشياء عديدة يحملها معه مثل خبزه وطعامه أو نقوده أو أشياء أخرى يحتاج اليها في ترحاله [6] .

وقد كان الجاهليون يستفيدون من جلود السمك أيضاً ، يصنعون منها أشياء متعددة . فالسفن مثلاً وهو جلد الأطوم ، وهي سمكة في البحر ذات جلد خشن

---

١ تاج العروس (٩/١٦٣) .
٢ تاج العروس (٩/١٩٤) .
٣ المغرب (ص ٣٠٤) .
٤ البرقوقي (ص ٥٨) .
٥ اللسان (١٠/٢١٤) .
٦ Hastings, Dict., of the christ, vol., I, p. 498.

يستخرج منه السياط والسهام ، ويكون على قوائم السيوف[1] .

واستخدم الجاهليون كذلك فراء مختلف الحيوانات في الأيام الباردة، ومن أنواع الفراء نوع يدعى (سبنجونة) ، وهي من جلود الثعالب ، وهي من الألفاظ المعربة[2] ، ونوع آخر يدعى (الفنك) ، وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الفنك دابة يفترى جلدها ، وذكر أيضاً ان الفنك جلد يلبس[3] .

ومن أنواع الفراء (المساتق) وواحدتها (المُستُقة) . وقد ورد ذكرها في كتب الحديث ، حيث قيل إن الرسول كان يلبس (مستقة) ، كما ذكر أن عمر كان يصلي وعليه (مستقة) . وذكر الجواليقي انها لفظة معربة عن الفارسية ، وانها (مشته) بالفارسية . وقيل : انها فراء طوال الأكمام[4] ، وذكر انها جبة واسعة[5] .

ويقوم صانع الأحذية بصنع الأحذية ، مثل النعال والخف (والفشش) أو (الكفش) ويراد به الخف أو الخف القصير ، واللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية[6] . ومن أنواع النعال ، النعالُ السبتية التي لا شعر لها ، وتصنع من جلود البقر المدبوغة بالقرظ[7] . و (السبت) كل جلد مدبوغ أو المدبوغ بالقرظ، ومنه تصنع النعال السبتية[8] .

ويقال للخف (الموزج) أيضاً ، وقد ذكر الاسم في كتب الحديث وكذلك (الموق) . وذكر أن (الموق الخف الغليظ يلبس فوق الخف) . وقد ذكر الجواليقي أن أصل الموزج فارسي هو (موزه) (موزجان) وأدخل الموق أيضاً في باب المعربات[9] . والجمع (أمواق) ، ويظهر من بيت شعر لـ (النمر بن

---

١ المغرب (ص ٢٥٥) ، تاج العروس (١٨٧/٨) .
٢ المعرب (ص ١٨٨) .
٣ المعرب (ص ٢٤٨) ، تاج العروس (١٧٠/٧) .
٤ المعرب (ص ٣٠٨) .
٥ تاج العروس (٧٠/٩) .
٦ المعرب (ص ٢٦٨) .
٧ جامع الاصول (٣٩٨/٤) .
٨ قال عنترة :
بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم
تاج العروس (٥٤٨/١) .
٩ المعرب (ص ٣١١) .

ثولب) ، أن العباديين ، وهم نصارى الحيرة كانوا يمشون بالأسواق[1] . وهناك نوع آخر من أنواع الخفاف ، يقال لها (القسوبية) و (القساب)[2] ، و (النعل) هو لباس الرجل المستعمل عند الجاهليين وعند الساميين . وهو (نعلِم) أي (نعل) في العبرانية . ولا يزال النعل مستعملاً حتى اليوم . يستعمل في البيت وفي خارجه ، وهو يحمي باطن القدمين من حر الأرض في الصيف ومن الحجارة والمواد المؤذية التي تكون على وجه الأرض . وقد يستعمل نعلاً من خشب، يستعمله أهل القرى وأهل المدن في البيوت . والعرب تمدح برقة النعال وتجعلها من لباس الملوك ، وتقدم النعال على سائر أنواع الأحذية[3] .

ومن أنواع النعال : (النعال السبتية) . وهي المصنوعة من الجلد المدبوغ بالقرظ . وخص بعضهم جلود البقر ، مدبوغة كانت أم غير مدبوغة . وقيل نعال سبتية : لا شعر عليها . وذكر انها نعال أهل النعمة والسعة[4] .

وعرفت (حضرموت) بنعالها ، فقيل (نعل حضرمي) و (الحضرمي) . وعرفت بأنها النعال المخصرة التي تضيق من جانبيها ، كأنها ناقصة الخصرين[5] .

وقد تفنن في تزيين وزخرفة الجلود . فذهّبوها ورسموا عليها صوراً، وضغطوا عليها بآلات لابراز بعض الصور عليها . ومن الجلود المذهبة : (المذاهب) ، وهي جلود كانت تذهب ، تجعل فيها خطوط مذهبة ، فيرى بعضها في أثر بعض ، فكأنها متتابعة . وقيل سيور تموّه بالذهب[6] .

والجلود التي يستعملها الاسكافي هي: جلود البقر والجمال والغنم والماعز وقد تستعمل جلود الثعابين والسمك إذا كانت كبيرة سميكة ، وذلك بعد إصلاحها ودبغها .

ويستعمل الإسكافي والنحّات الإزميل . وقد ذكر علماء اللغة ان الازميل حديدة تجعل في طرف رمح الصيد لصيد البقر : بقر الوحش . والمطرقة[7] . وهي من الألفاظ المعربة وأصلها (زميلي) « Zmili » في اليونانية[8] .

---

١ فترى النعاج به تمشي خلفة مشى العباديين في الاسواق
المعرب ، للجواليقي (ص ٣١١) .
٢ البرقوقي (ص ١٤٦) .
٣ اللسان (١١/٦٦٧) .
٤ اللسان (٢/٣٦ وما بعدها) ، الروض الانف (١/ ٧١) .
٥ اللسان (٤/٢٠٢) ، الروض الانف (١/ ٧١) .
٦ اللسان (١/٣٩٥) .
٧ تاج العروس (٧/٣٦٠) .
٨ غرائب اللغة (ص ٢٥٢) .

الحياكة والنسيج والثياب :

والحياكة والنسيج ، من الحرف التي لا ينظر الى صاحبها نظرة احترام وتقدير في المجتمع العربي القديم ، ويقوم بالغزل النساء في الغالب . والحياكة والنسج في الحضر في الغالب . وقد ذكر أهل اللغة أسماء بعض آلات الحياكة والنسج ، مثل (الحف) وهي الآلة التي تلمظ بها اللحمة أي تلقم وتصفق ليلتقمها السدى . وقيل : الحفة المنوال ، وهو الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب ، وقيل : الحف المنسج[1] . و (الوشيعة) وهي المنسج ، وهي قصبة في طرفها قرن يدخل الغزل في جوفها ، وتسمى السهم . وقيل لفيقة من غزل ، وتسمى القصبة التي يجعل النساج فيها لحمة الثوب للنسج[2] . و (المشيعة) ما يلف عليه الغزل[3] . و (الثناية) التي يثنى عليها الثوب . و (العدل) خشبة لها أسنان ، مثل أسنان المنشار ، يقسم بها السدى ليعتدل . و (الصيصية) عود من طرفاء ، كلما رمي بالسهم فألحمه ، أقبل بالصيصة فأدبر بها ، وقيل : إنها شوكة الحائك التي يسوّي بها السداة واللحمة[4] . و (النير) لحمة الثوب ، وقيل : الخشبة المعترضة التي فيها الغزل . وقد تنسج الثياب على نيرين ، ويكون بذلك أصفق وأبقى[5] . و (الصنار) رأس المغزل[6] . وأما (المداد) فالعصا في طرفها صنارتان يمدد

---

١ تاج العروس (٦/٧٢) ، المعاني الكبير (١/٥٠) .

٢ تاج العروس (٥/٥٤٣) .

٣ بلوغ الارب (٣/٤٠٤) .

٤ « والصيصة كذا في سائر النسخ ، وهو خطأ ، أو هو على التخفيف . وفي الصحاح والعباب : والصيصية ـ شوكة الحائك التي يسوى بها السدى واللحمة ، وأنشد لدريد بن الصمة :

فجئت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممد

قال ابن بري : حق صيصية الحائك أن تذكر في المعتل ، لان لامها ياء ، وليس لامها صادا » تاج العروس (٤/٤٠٥) .

٥ تاج العروس (٣/٥٩٣) .

٦ « قال أبو حنيفة : وهي فارسية معرب جنار ، وقد جرت في كلام العرب . وقال الليث : هو فارسي دخيل . والصنار : رأس المغزل ، ويقال : هي الحديدة الدقيقة المعقفة التي في رأس المغزل ، ولا تقل صنارة . وقال الليث : الصنارة مغزل المرأة ، وهو دخيل » تاج العروس (٣/٣٤١) .

بهما الثوب[1] . و (الكُفة) الخشبة المعترضة في أسفل السدي[2] . و (الحماران) يوضعان تحتها ليرفع السدي من الأرض . و (المثلث) قصبات ثلاث . و(المبرم) و (البريم) ، الحبل الذي جمع بين مفتولين ففتلا حبلاً واحداً . و (المبرم) من الثياب المفتول الغزل طاقين ، ولذلك اطلقت اللفظة على نوع خاص من الثياب. و (الدعائم) خشبات تنصب ويمدّ عليها السدي . و (الشفشقة) قصبة تشق وتوضع في السدي عرضاً ، ليتمكن به من السقي . و (الكحّمة) ما يلحم به، وأداة الحائك المنصوبة تسمى (المنوال) ، وهو (النول) أيضاً[3] .

وأما المادة التي يغزل منها ويحاك وينسج ، فهي الصوف بأنواعه ، وشعر الماعز والوبر والقطن والشاش والبز والكتان والحرير . وأما التي يغزل بها ، فهي (المغزل)[4] ومنه نوع بسيط يحمل باليد . وهو قديم جداً معروف في العصور المتقدمة قبل الاسلام ، ولا يزال معروفاً ومستعملاً في الزمن الحاضر ، ومنه ما هو سريع بعض السرعة . وهو على هيأة دولاب يدار بالأرض ، فيكون سريعاً بالغزل بعض السرعة بالنسبة الى اليد ، ويكون مجال الغزل فيه أوسع من مجال الغزل بالمغزل اليدوي البسيط .

ويلف الغزل على آلة تسمى (الهراوة) ، وذلك تمهيداً لتقديمها الى (النساج) لنسجها[5] .

ويقال للمغزل : « المُردن) أيضاً . وقيل : (المردن) المغزل الذي يغزل به الردن . والردن الغزل . وقيل : الغزل يفتل الى قدّام ، وقيل هو الغزل المنكوس ، وثوب مردون : منسوج بالغزل المردون[6] .

والغزل هو من أعمال النساء في الغالب ، فهي تمسك المغزل وتغزل به . وقد يقوم الرجال بالغزل أيضاً . وهناك أنواع من المغازل وهي متشابهة من حيث

---

١ « والامدة كالاسنة جمع مداد كسنان ، وضبطه الصاغاني بكسر الصخرة .. سدى الغزل . وهي أيضا المساك في جانبي الثوب اذا ابتدىء بعمله » تاج العروس (٢/٤٩٨) .

٢ بلوغ الارب (٣/٤٠٤ وما بعدها) .

٣ بلوغ الارب (٣/٤٠٤ وما بعدها) .

٤ تاج العروس (٨/٤٢) .

٥ المعاني الكبير (١/٥٠) .

٦ اللسان (١٣/١٧٨) .

الأساس والتصميم . وقد عثر على أنواع منها في مواضع من جزيرة العرب .

وفي التوراة وصف لكيفية إعداد الصوف وشعر الماعز للغزل . فقد كان على الغزّال تنظيف الصوف والمادة المراد غزلها قبل غزلها ، وذلك بنثر المادة وتنظيفها من المواد الغريبة المختلطة بها . وقد تضرب بعصا أو بآلة خاصة ، على نحو ما يفعله (النداف) في الوقت الحاضر ، لتلطيف المادة المراد غزلها وجعلها سهلة للغزل. وقد تغسل بالماء ثم تنشف ثم تنظف . فإذا وجد ان المادة المراد غزلها صارت نقية صالحة للغزل ، غزلت . وقد عثر على صور لعمال كانوا يقومون بغسل المواد قبل غزلها على نهر النيل ، وقد صورت على جدران مقابر قدماء المصريين[1] .

وأهل الجاهلية مثل من تقدم أيضاً في تنظيف الصوف وشعر الماعز والوبر والكتان وسائر المواد الأخرى المراد غزلها ، كانوا ينظفونها ويمشطونها بأمشاط خاصة ، لاخراج ما قد يعلق بها فيها من مواد غريبة ، ويعالجونها معالجة خاصة . فإذا نظفت وخلصت من الشوائب ، غزلت . وقد كانوا يدقون الكتّان لتهترىء أليافه وتتشقق فتنفصل ، ثم يمشط بالممشقة ، حتى يخلص وتبقى فتاته وقشوره ، ويؤخذ الكتان لغزله ونسجه . أما الفتات والقشور ، فهي المشاقة ، وتستعمل في حشو الخفتان وللقبس[2] .

ويقال لمشاقة الكتان وللخشن من ليف الكتان والقنب (أسطبة)[3] . ويظهر أنها من أصل يوناني هو « Stippi »[4] .

ويهيأ الفتال (السلك) ، وهو الخيط . وقد يكون من حرير أو قطن أو كتّان . وإذا وضع في الخيط الخرز واللؤلؤ ، فيقال لذلك عندئذ (السمط)[5] .

ومن اللوازم المستعملة في البيوت وفي الحياة اليومية والتجارية ، الحبال ، يستعملونها من لحاء الشجر في بعض الأحيان ، يؤخذ فيدق ويفتل منه حبل ، ويقال لذلك

---

١ Hastings, p. 873.

٢ المغرب (٢/١٨٦) ، « والمشاقة (كتمامة) : ما سقط من الشعر أو الابريسم والكتان والقطن عند المشط ، أي تخليصه وتسريحه ، وهي المشاطة أيضا » . تاج العروس (٧/٧٠) .

٣ تاج العروس (١/٢٩٨) .

٤ غرائب اللغة (ص ٢٥٢) .

٥ المغرب (ص ٢٦٤) ، « والسلكة (بالكسر) : الخيط الذي يخاط به الثوب ، ج سلك بحذف الهاء ، جمع الجمع : أسلاك وسلوك . » تاج العروس (٧/١٤٤) .

(القَرَن)[1] ، أو من شعر الماعـــز أو من الأصواف ، أو من مختلف الألياف المستخرجة من النبات ، أو من الخوص .

أما الخيوط ، فإنها أدق من الحبل ، وتصنع من الكتان أو القطن أو الصوف أو الحرير ، ويخيط بها . وأما (الاطنب) و (الطنب) ، فإنها حبال الخيمة ، تستخدم لربط الخيمة . وأما (الوتر) ، فيصنع من أمعاء الحيوانات ، وتوضع في الأقواس ، لرمي السهم ، وتستخدم في الآلات الموسيقية كذلك . وتستخـــدم الحبال رُبُطاً ، يربط بها . يربط بها الأسرى والمساجين والحيوانات[2] .

والصوف مادة مهمة في صنع البسط والسجاجيد . وأكثر صوف جزيرة العرب من النوع الخشن ، الذي يصلح لصنع السجاد . وتصنع منه الخيام كذلك . والمستعمل في صنع الخيام هو من شعر الماعز في الغالب . أما أصواف الأغنام ، فتستعمل في الغزول والأنسجة اللطيفة التي تحتاج إلى صوف ناعم ودقيق . ولا يزال أهل البادية يصنعون خيامهم الشهيرة ذات اللون الأسود من شعر الماعز[3] . وقد كان عمـــاد العبرانيين في نسجهم على الصوف وشعر الماعز والكتان[4] . وقد عرف البساط الضخم المنسوج من الوبر أو الصوف بـ (الاراخ)[5] ، ويقال للفسطاط (البلق)[6] .

وقد اشتهرت اليمن بالغزل والنسيج ، وعرفت بإنتاج بعض البرد التي اختصت بها حتى عرفت بـ (البرد اليمانية) . وهي من الأنواع الغالية الثمينة التي لا يشتريها في العادة إلا المترفون والمرفهون . وقد جعل النبي في جملة ما يدفعه أهل الجزية الثياب عوضاً عن النقد إن لم يكن في قدرة من فرضت عليه الجزية دفعها نقداً[7] ، كما عرفت بصنع (الحلل) الغالية ، اشتهرت بجميـــع أنواع الغزل والنسيج ، غزل القطن والصوف والحرير ، وبأنسجة الصوف والقطن والحرير . وقـــد كان من عادة رؤساء اليمن لبس الملابس الثمينة والحلل الغالية المصنوعـة في بلادهم ؛

---

١ المخصص (١١/١٥) ، تاج العروس (٩/٣٠٥) .

٢ Hastings, Dicti. of the Bible, I, p. 479, Smith, Vol., I, p. 352.

٣ تويتشل (ص ٣٣) .

٤ Hastings, p. 873.

٥ شمس العلوم (١/٧١) .

٦ شمس العلوم (١/١٨٥) .

٧ « وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثيابا » ، « اسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد » ، ابن هشام (٤/٢٤٢) « القاهـرة ١٩٢٦ » ، الطبري (٣/١٥٨) .

كما كانوا يصدرونها الى الخارج لبيعها في مختلف أسواق بلاد العرب وفي العراق وبلاد الشأم .

وعرفت دور النسيج في اللهجات العربية الجنوبية بـ (تعمت) . وقد ورد في كتب اللغة: « عمت الصوف والوبر ... لف بعضه على بعض مستطيلاً ومستديراً حلقة فغزله » . وورد : « يعمتُ الغزل »[1] .

وقد ازدهرت صناعة غزل القطن ونسجه في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية في القرن السادس للميلاد[2] ، فصارت صناعة الغزل والنسيج من أهم الموارد التي يتعيش عليها عدد كبير من الشعب والتي تكون مورداً كبيراً من موارد الدولة . وقد كان للملوك مغازل ودور نسيج تعمل لحسابهم ولهم . وقد عرفت دور النسيج الملكية بـ (تعمت ملكن)[3] ، أي (المنسج الملكي) و (دار النسيج الملكية).

وهناك لفظة أخرى في المسند للموضع الذي ينسج فيه وتغزل فيه الغزول ، هي لفظة : (ح ل ل ت) (حللت) . ويرى (رودوكناكس) انها (حلالة) . وأما النساج ، فيقال له (انم) في المسند[4] ، وهو للمفرد والجمع[5] . وعندي ان المراد بـ (ح ل ل ت) (حللت) ، الحلة . والحلة عند علماء اللغة إزار ورداء ، بُردٌ أو غيره . وقيل : الحلل الوشي والحبر والخز ، وقيل : كل ثوب جيد جديد تلبسه غليظ أو رقيق ، وقيل : كل ثوب له بطانة ، وعند الأعراب من ثلاثة أثواب القميص والإزار والرداء[6] . فيراد بها الموضع الذي تعمل فيه الحلل .

---

١ « عمت يعمت عمتا من حد ضرب كما هو مقتضى قاعدته . لف الصوف بعضه على بعض مستطيلا ومستديرا حلقة ، ليجعل في اليد فيغزل بالمدرة .. والعميتة من الوبر كالغليلة من الشعر . ويقال عميتة من وبر أو صوف كما يقال سبيخة من فطن وسليلة من شعر .. عمت الوبر والصوف لفه حلقة فغزله كما يفعله الغزال الذي يغزل الصوفَ ، فيلقيه في يده .. والاسم العميت ... يعمت يغزل من العميتة ، وهي القطعة من الصوف ... عمت فلان الصوف يعمته عمتا اذا جمعه بعدما يطرقه ، وينفشه ، ثم يعمته ليلويه على يده ويغزله بالمدرة ... » تاج العروس (١/٥٦٤ وما بعدها) .

٢ Von Kremer, Kulturgeschichte, II, S. 326.

٣ الفقرة الرابعة من النص الموسوم بـ : Glaser 1150, Halevy 192, 199.

٤ Rhodokanakis, Altsab. Texte, I, S. 74.

٥ Rhodokanakis, Altsab. Texte, I, S. 27.

٦ تاج العروس (٧/٢٨٣ وما بعدها) ، شمس العلوم (١/٧٦) .

وقد كانت بعض الحكومات تحتكر صناعة بعض أنواع النسيج ، وذلك بصنع أنواع فاخرة منه لاستعمال الملوك ، أو للانعام بـــه على الأمراء والكبراء ورجال الدين كالذي كان في مصر . ويوسم بسمة المعمـل وبشعار الحكومة أو الحاكم ، ليكون في علم الناس انه من صنع الحكومة . وقـــد تبيعه الحكومة للناس . وتعد هذه الأنواع من النسيج من أفخر ما تنتجه المناسج ، ويعرض في السوق .

وقد كان الملوك والكهنة والأغنياء المتأنقون بملابسهم ، يرتدون أنسجة دقيقـــة مصنوعة صنعاً خاصاً بأيد ماهرة متقنة لعملها،لا تصنع الا الأنسجة الثمينة الغالية . ومن هذه الأقمشة ما كان يصنع من الكتان الخالص أو الصوف النـــاعم الرقيق ، ومنه ما كان يصنع من الحرير الخالص أو المخلوط بمـــادة أخرى . وقد يقصب القماش بالذهب ، يوشى بـــه ، كألبسة الملوك ورجال الدين الكبار الذين كانوا يرتدون ملابس موشاة ومطرقة في أثناء أدائهم الصلوات واقامة الشعائر الدينيـة . وقد كان الملوك والكهـــان يستوردون الأقمشة الجيدة من أماكن أخـرى اشتهرت باتقانها واجادتها صنع الأقمشة الجيدة ، مثل بابل وبلاد الشأم والهند ومصر وفارس وغيرها لمثل هذه الأغراض[1] .

وقد اشتهرت منسوجات اليمـن في كـــل مكان من جزيرة العرب ، بجودتها وأناقتها ، وظلت محافظة على سمعتها هذه الى الاسلام، فكان أغنياء الحجاز وغيرها من جزيرة العرب يفتخرون بحصولهم عليها ويلبسونها خاصة في أعيادهم ومواسمهم. وكانت البرد المعروفة بـ (الحبر) ، وهـي برد موشاة مخططة ، تعد من أثمن البرد اليمانية في القرن السادس والسابع الميلاديين ، ولما قدم وفد نجران على الرسول كانوا يتوشحون بها . ولما توفي الرسول ، ووضع مسجى في ناحية من البيت ، وضعت عليه الحبرة[2] .

ويقال للثوب الجديد الناعم (الحبير) . وذكر أيضاً ان الحبير البرد الموشى المخطط ، وأن الحبرة ضرب من برود اليمن منمر ، وبائعها حبرى لا حبار[3] . وتعد (ثياب الحبرة) من الثياب الغالية الجيدة التي يلبسها الأغنيـاء والسادات ،

---

١ Hastings, p. 874.

٢ المغرب (ص ١٠٤) ، جامع الاصول (٤٧٨/٧) ، تاج العروس (١١٨/٣) ، (حبر) شمس العلوم (١٤٤/١) ، الطبقات ، لابن سعد (٣٥٧/١) .

٣ تاج العروس (١٨٨/٣) ، (حبر) ، الطبقات لابن سعد (٣٥٧/١) .

فلما قدم وفد نجران على النبي بالمدينة « فدخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة ، وأردية مكفوفة بالحرير »[1] .

واشتهرت اليمن بـ (المراجل) ، وهي ضرب من البرود[2] . وذكر بعض علماء اللغة أن البرد المُرجل، فيه صور كصور الرجال . وورد ثوب مرجل بمعنى معلم[3] ، وبرد مرحل أي برد فيه تصاوير رحل على تفسير بعض علماء اللغة . وورد المرحلات يعني المرط المرحلة ، وهي الموشاة ، وقد أشير اليها في كتب الحديث[4] . و (القيصران) وهو ضرب من الثياب الموشاة[5] . والعصب ضرب آخر من البرود اليمانية يعصب غزله ثم يصبغ ثم يحاك وينسج ، فيأتي موشى لبقاء ما عصب فيه أبيض لم يأخذه صبغ . وقيل : هي برود مخططة[6] . ويقال ثوب مبرج إذا كان ثوباً ذا تصاوير[7] .

وقد عرفت (البُرد) ، أنها أكسية يلتحف بها ، وقيل إذا جعل الصوف شقة وله هدب . وقيل : البرد من برود العصب والوشي ، وأما البردة ، فكساء مربع أسود فيه صغر تلبسه الأعراب ، وأن البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي[8] .

واشتهر بلد المعافر بنوع من البرد والثياب ، حتى قيل له : برد معافري وثوب معافري[9] . وأما (الشرعبية) فضرب من البرود[10] . وذكر انها من الثياب الحارية . واليها أشير في شعر امرىء القيس :

فلما دخلناها أضفنا ظهورنا الى كل حاري حديد مشطب[11]

---

١ الطبقات ، لابن سعد (١/٣٥٧) .
٢ المعرب (ص ٢٧٢) ، جامع الاصول (٤/٤٠٨) .
٣ تاج العروس (٧/٣٣٥) .
٤ تاج العروس (٧/٣٤١) .
٥ تاج العروس (٧/٣٤٢) .
٦ تاج العروس (١/٣٨٣) ، المغرب (٢/٤٥) .
٧ شمس العلوم (١/١٥٤) .
٨ اللسان (٣/٨٧) ، النهاية في غريب الحديث والاثر ، (١/٨٦) .
٩ تاج العروس (٣/٤١٢) .
١٠ اللسان (١/٤٩٤) .
١١ العمدة ، لابن رشيق (٢/٢٢٠) .

وعرفت (صنعاء) بوشيها وبأنواع أخرى من النسيج[1] .

وعرفت اليمن بنوع من البرود سُمّي (عَصْباً) لأن غزلـه يعصب ، أي يدرج ، ثم يصبغ . وذكر أنها خاصة باليمن ، لأنها تصبغ بالعصب . ولا ينبت العصب والورس إلا باليمن[2] . وقيل العصب برود مخططة ، اشتهرت بها اليمن[3].

والمسندة والمسندية وأثواب سند ، نوع من البرود اليمانية[4] . والثياب القدمية منسوبة الى موضع باليمن[5] . وثوب (أكباس) (أكباش) من برود اليمن[6] .

وهناك ضرب من البُرود قيل له (القطرية) والمفرد (قطري) . وكان الرسول متوشحاً بثوب قطري . كما كان على عائشة درع قطري ثمنه خمسة دراهم،وذكر أن البرود القطرية حُمر لها أعلام فيها بعض الخشونة ، وأنها تأتي من (قطر) بسيف البحرين[7] .

وعرفت الأنسجة اليمانية المصنوعة من الكتان في كل مكان من جزيرة العرب . وقد كانت لباس الأغنياء والوجهاء . وتعطي أنسجة الكتان برودة خاصة في الصيف ، ولهذا كانت رائجة في كل مكان . وقد كانت مصر ذات شهرة خاصة في تصدير أنسجة الكتان ، فقد كان كتانها لطيفاً ناعماً . ولهذا بيع بثمن مرتفع . وذكـر علماء العربية أن الكتان لفظة عربية النجار،سمي بذلك لأنه يُخيس ويلقي بعضه على بعض حتى يكتن[8] .

و (البرجد) ، كناية عن كساء ضخم مخطط . وقد ذكر في شعر طرفة[9]. وذكر انه كساء من صوف أحمر[10] .

والعباءة ، هي مقابل (س م ل ه) (سمله) (شمله) عنـد العبرانيين

---

١ نهاية الارب (١/٣٦٩) .
٢ اللسان (١/٦٠٤) ، الروض الانف (١/٧١) .
٣ تاج العروس (١/٣٨٣) ، (عصب) .
٤ اللسان (٣/٢٢٣) .
٥ اللسان (١٢/٤٧٢) .
٦ اللسان (٦/٣٣٩) .
٧ اللسان (٥/١٠٦) .
٨ اللسان (١٣/٣٥٥) .
٩ شرح المعلقات ، للزوزني (ص ٤٨) « دار صادر » ، شمس العلوم (حـ ١ ق ١ ص ١٤٩) .
١٠ تاج العروس (٢/٣٠١) ، (البرجد) .

و « Himation » عند اليونان[1]، وتلبس فوق الألبسة . وتكون بعضها ثقيلة تصنع من الوبر أو الصوف ، وتستعمل في الشتـــاء خاصة وفي الأوقات الباردة ، وبعضها خفيف ، يصنـــع من الصوف أو من شعر الماعـــز . وتستعمل في الأوقات التي لا يكون فيها البرد شديداً وفي أيام الصيف . وقد يستلقي عليها الانسان ، فتكون بمثابة فراش له . وقد تصنع العباءة من قطعتين من القماش ، وقد تصنع من قطعة واحدة . وهي أحسنها وأغلاها . وتكون عباءة الأغنياء والرؤساء من قماش جيـد منسوج نسجاً خاصاً محلاة في الغالب من ناحية العنق والصدر والجهـــة العليا من اليدين بخيوط من الحرير أو الذهب يروفها (الروّاف) ، بأشكال متعددة فيختلف سعرها لذلك باختلاف الجهد الذي بذله الروّاف في تطريزها وفي زخرفتها .

وتصنع أحسن العباءات من الوبر[2] . وقد تفنن فيها ، وتخصصت بعض الأماكن بنسجها . ولا تزال هذه الصناعة باقية تدر على أصحابها ربحاً يتعيشون منه ، كما تصنع من أوبار الجمال أشياء أخرى عديدة . على أن القرن العشرين قد علّم سكان الجزيرة تصدير الوبر الى الخـــارج الى المعامل الحديثة لاستعماله مع الأصواف في صناعة الغزل والنسيج .

والشملة : كساء دون القطيفة يشتمل به كالمشمل . والمشملة عند العرب مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به ، فإذا لفق لفقين ، فهي مشملة يشتمل بها الرجل إذا نام بالليل . وقيل المشملة والمشمل : كساء له خمل متفرق يلتحف بـــه دون القطيفة . واشتمل الثوبَ أداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده[3] .

وقد ذكر أن الجاهليين كانوا يستوردون الجبب والأردية والأقمصة والأقمشة من بلاد العراق والشأم ، وكانت غالية الثمن وذات قيمة عندهم ، لحسن صنعتهـــا وإتقان قماشها . وقد كانت للرسول جبة من صنع بلاد الشأم[4] ، وكان له طيلسان مدبج، أي منقوش الأطراف بالديباج[5] . وفي جملة ما استورد من مصر من ألبسة

---

١ Hastings, Dict. of the Bible, Vol., I, p. 625, Hastings, a dictionary of christ and the Gospels, vol., I, p. 498, ff.

٢ تويتشل (الصفحة ٣٢) ، اللسان (/١١٨) ، المخصص (١١٨/٤) .

٣ تاج العروس (٣٩٧/٧) ، (شمل) .

٤ عمدة القاري (٣٠٣/٢١) ، « والجبة : ثوب من المقطعات يلبس » ، تاج العـــروس (١٧٣/١) .

٥ المغرب (ص ١٧٤) .

وثياب ، القبـــاطي وهي ثياب بيض دقيقة رقيقة تتخذ بمصر[1] ، والقسيّ وهي ثياب منسوجة من كتـــان وابريسم مضلعة ، تصدر من مصر ، من قرية تسمى القسي فنسبت اليها .

وقد بقيت مصر تصدر القباطي حتى في الاسلام . وذكر علماء اللغة أن القباطي والثياب القبطية منسوبة الى القبط ، أهل مصر الخلص من ولد القبط بن حام بن نوح على رأي بعض النسابين ، أو من ولد قبط بن مصر بن فوط بن حام على رأي فريق آخر . وذكر أن لفظة قبطية ، وردت في شعر لزهير هو هذا البيت:

لِياح كأن بالأتحمية مسبع إزاراً وفي قبطية متجلبب[2]

وورد ذكرها في بيت شعر آخر ينسب له أيضاً هو[3] :

ليأتينك مني منطق قـــذع باق ، كما دنس القبطية الودكُ

وقد ورد ذكرها في كتب الحديث ، فقد ذكر أن الرسول كسا (أسامة) قبطية[4] .

وأشير الى ثياب بيض قيل لها (القبطرى) . وزعم بعض علماء اللغة أن في الكلمة غلط ، وأن الراء زائدة[5] .

وعرفت بعض الثياب بـ (الأنماط) ، جمع (نمط) ، وهي الثياب المصبغة . وفي حديث (ابن عمر) أنه كان يجلل بدنه بالأنماط . وذكر أن الأنماط ضرب من البسط له خمل رقيق[6] .

---

١ المغرب (٢/١٠٧) ، جامع الاصول (٤/٣٩٥) ، اللسان (٧/٣٧٣) .
٢ تاج العروس (٥/٢٠٠) .
٣ اللسان (٧/٣٧٣) .
٤ المصدر نفسه .
٥ اللسان (٧/٣٧٣) .
٦ قال المتنخل :
علامات كتحبير النماط
اللسان (٧/٤١٧ وما بعدها) .

ويقال للنمط الزوج كذلك . وقيل الزوج : الديباج واللون[1] .

وأما السبج ، فالسبجة درع عرض بدنه عظمة الذراع ، وله كُمّ صغير نحو الشبر ، تلبسه ربات البيوت . وقيل هي بردة من صوف فيهـا سواد وبياض . وقيل ثوب له جيب ولا كمّين له ، يلبسه الطيّانون . وقيل هي مدرعة كُمها من غيرها ، وقيل كساء أسود ، أو القميص . وهي لفظة معربة أصلها بالفارسية (شبي) . وذكر ان (السباج) ثياب من جلود[2] .

وقد كانت بعض الثياب المستوردة من بلاد الشأم ومصر ومن الأرضين التي تسودها أكثرية نصرانية ترد وعليها صلبان منسوجة . فلما جاء الاسلام ، وأمـر بطمس الصلبان ، كان الرسول اذا رأى الصليب في ثوب قضبه وقطع موضعه أو نقشه[3] .

وإذا كان الحرير المعروف بـ (الخسرواني) ، معروفاً حقاً عند الجاهليين ، فإنه يدل على انه كان مستورداً من العراق ، بدلالة اسمه عليه . ويذكر علماء اللغة انه منسوب الى الأكاسرة ، وانه حرير رقيق حسن الصنعة[4] .

ولفظة (حرير) من الألفاظ المستعملة في العربية ، غير أن من الصعب تعيين أصلها . وقـد ذكر (سترابون) أن اليونان أخذوا الحرير من الهنود . ولذلك أطلقوا عليه لفظة أخذوها من اسم أحد الشعوب الهندية . أما العبرانيون فقد أطلقوا عليه لفظـة (مسى)[5] . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن لفظة (سريقوم) « Sericum » الواردة في النصوص الكلاسيكية تعني الحرير الخام . ووردت في العبرانية لفظة (دمشق) « Demeshek » ، يرى بعض العلماء أنها تعني حريراً دمشقياً ،

---

١ قال الاعشى :

وكل زوج من الديبـاج يلبسه أبو قدامة ، محبو بـذاك معـا

وقال لبيـد :

من كل محفوف ، يظـل عصية زوج ، عليـه كلـه وقرامهـا

اللسان (٢/٢٩٣) .

٢ اللسان (٢/٢٩٤) .

٣ المعرب (ص ٣٠٥)

٤ المعرب (ص ١٣٥) ، « والخسرواني (بضم الاول والثالث) : شراب ونوع من الثياب كالخسروي . قال الزمخشري : منسوب الى خسروشاه من الاكاسرة » ، تاج العروس (٣/١٧٦) .

٥ اللسان (٤/١٨٤) ، Hastings, Vol. I, p. 624. (1910).

أي معمولاً بدمشق . وذهب آخرون الى أن اللفظة ، محرفة من لفظة (دمقس) الواردة في العربية ويراد بها نوع من الحرير أو الحرير الخام[1] . والديباج من الثياب المعمولة من الحرير . واللفظة من الألفاظ الفارسية المعربة[2] .

ومن الثياب والأقمشة التي تحمل اسماً معرباً (الدخدار) . وهو كما يقول (الجواليقي) (تخت دار) بالفارسية . وذكر أنه ورد في هذا البيت منسوب الى عـدي بن زيد العبادي :

تلوح المشرفيـة في ذراه ويجلو صفح دخدار قشيب[3]

وأشير إلى (الديباجة) في شعر (حسان بن ثابت) ، ويراد بها الثياب المتخذة من الابريسم[4] .

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (سندس) ، وذهب العلماء إلى ان المراد بها رقيق الديباج ، وذكر بعضهم أنه ضرب من (البزيون) يتخذ من المرعزاء ، واللفظة من الألفاظ المعربة[5] .

وأما الاستبرق ، فإنه ما خشن من الديباج على رأي بعض العلماء . وأصله من الفارسية ، فهو من المعربات[6] .

وكان الأغنياء وسادات القبائل يلبسون الألبسة المنسوجـة من الحرير ، وهي ثمينة غالية ، يستوردونها من الخارج ، وينسج بعض منها في اليمن . وقد نهى

---

١ Smith, Dictl. of the Bible, Vol. II, p. 1310 f.

٢ المعرب (ص ١٤٠) ، تاج العروس (٣٧/٢) ، المخصص (٧٦/٤) .

٣ المعرب (ص ١٤١) ، « الدخدار ، بالفتح : ثوب أبيض مصون ، أو أسود . وقد جاء في الشعر القديم . وهو معرب تخت دار ، فارسية ، أي يمسكه التخت ، أي ذو تخت . وقال بعضهم : أصله تختار ، أي صين في التخت ، والاول أحسن . » ، تاج العروس (٢٠٣/٣) .

٤ البرقوقي (ص ١٤٦) ، تاج العروس (٣٧/٢) ، (دبج) .

٥ المعرب (ص ١٧٧) ، « السندس (بالضم) : البزيون ... وقال الليث : انه ضرب من البزيون ، يتخذ من المرعزي ، أو ضرب من البرود . وفي الحديث : ان النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث الى عمرو (رضي الله عنه) بجبة سندس . قال المفسرون في السندس : انه رقيق الديباج ورفيعه ، وفي تفسير الاستبرق : غليظ الديباج ، ولم يختلفوا فيه . معرب بلا خلاف عند أئمة اللغة » ، تاج العروس (١٦٨/٤) .

٦ اللسان (٥/١٠) ، المخصص (٧٦/٤) .

الاسلام عن لبس الحرير ، لما في ذلك من ترف يميت الرجولة ومن تشبّه بمترفي العجم ، ومن تأثير يتركه استعماله في نفوس الفقراء .

ومن أنواع الثياب الجيدة المصنوعة من القز الأبيض (الدمقس) ، وهو ناعم وذكر علماء اللغـة أن اللفظة من الألفاظ المعربة القديمة الواردة في شعر لامرىء القيس[1] . ويرى بعض الباحثين أن الدمقس تحريف (مدقس) وهو الحرير الأبيض، وأن أصلها يوناني هو : « Metaxa »[2] .

ويعرف الحرير الجيد بالسَّرق ، وقيل : السرق شقـق الحرير أو الأبيض أو الحرير عامة . وذهب بعض العلماء الى أنها من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وأن أصلها سَرَه أي جيد . وقد ورد في الحديث : انك في سرقة من حرير ، أي قطعة من جيد الحرير[3] . ويقال للسرق (سريكون) « Sirikon » « Sericum » في اليونانية[4] . ويراد بها الحرير عامة . ومن هذا الأصل جاءت لفظة (السرق) على ما أرى .

ويعرف الحرير بـ (مشى) و (دمشق) في العبرانية . وقد ذهب بعض علماء التوراة أن للفظة (دمشق) صلة بدمشق الموضع المعروف . ودمشق من المواضع المشهورة منذ القديم بنسج الحرير . وذهب آخرون أنها من أصل (دمقس) ، تحرف فصار (دمشق) ولا علاقة لها بدمشق . وأما لفظة (حرير) ، فتعرف بـ « Sericum » عند اليونان واللاتين كما ذكرت . أما لفظة (حرير) المستعملة في العربية ، فإن من الصعب تعيين أصلها والوقت الذي ظهرت فيه[5] .

والخز : ثيـاب تنسج من صوف وإبريسم ، وقيـل انه الثياب المعمولة من

---

١ فظل العذارى يرتمـين بلحمهـا وشحم كهـداب الدمقس المفتـل
المعرب (ص ١٥١) ، « الدمقس (كهزبر) ، الابريسم أو القـز ... أو الديباج أو الكتان ... والدمقس والمدقس مقـلوب ... وثوب مدمقس منسوج به » ، تاج العروس (٤/١٥٤ وما بعدها) .

٢ غرائب اللغة (ص ٢٥٨) .

٣ تاج العروس (٦/٣٧٩) ، المعرب (ص ١٨٢) ، المخصص (٤/٦٨) .

٤ غرائب اللغة (ص ٢٥٩) .

٥ Smith, A dict. of the Bible, Vol. III, p. 1310 f.
Hastings, Dict. of the Bibl., Vol. I, p. 624.

الإبريسم[1] . وقيل انه الحرير[2] . وذكر علماء اللغة أن (اللاذ) ثياب من حرير تنسج بالصين ، وأن (الاضريج) الخز الأصفر ، وأن المطرف : ثوب مربع من خز له أعلام[3] .

وربما كان (الديبوذ) و (الديابوذ) من الثياب التي وصلت إلى الحجاز من الاتصال التجاري بالعراق . واللفظة من المعربات . ذكر الجواليقي انها من الألفاظ الفارسية الأصل ، وان المراد بها ثوب ذو نيرين ، وأورد شعراً للأعشى جاءت فيه هذه اللفظة[4] .

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (سرابيل) جمع (سربل) . وذكر علماء اللغة أن (السربال) القميص من أي جنس كان[5] ووردت السربال في شعر منسوب إلى الأعشى :

مقلص أسفل السربال معتمر[6]

وفي هذا المعنى لفظة (سروال) ، والجمع (سراويل) والسربال هو (سربالين) (س ر ب ل ي ن) في العبرانية[7] . وهو أيضاً (السروال) في العربية و (الشروال) من أصل فارسي . وقريب من السربال والسروال (اللباس) الطويل المستعمل عند أهل القرى والفلاحين وبين كثير من أهل المدن في الوقت الحاضر . يشد عنـد

---

١ اللسان (٥/٣٤٥) ، تاج العروس (٤/٣٣) .

٢ المخصص (٤/٦٨) .

٣ المخصص (٤/٦٨) .

٤ المعرب (ص ١٣٨ وما بعدها) ، « الديبوذ : ثوب ذو نيرين ... معرب ، فارسيته دوپوذ (بالضم) ، ونقله الجوهري عن أبي عبيدة ، وأنشد بيت الاعشى يصف الثور :

عليـــه ديابوذ تسـربل تحتـه أرندج أسكاف يخـــالط عظما » ،

تاج العروس (٢/٥٦٢) .

٥ المفردات (ص ٢٢٨) .

٦ برصوم : الالفاظ السريانية (ص ٢٥٨) ، « السربال ، بالكسر : القميص أو الدرع أو كل ما لبس فهو سربال والجمع سرابيل . قال الله تعالى : وسرابيل تقيكم بأسكم . ومنه قول كعب بن زهير :

شم العرانـين أبطـــال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل

... وقد تسربل به وسربلته اياه ، ألبسته السربال . ومنه حديث عثمان رضي الله تعالى عنه : لا أخلع سربالا سربلنيه اللـه تعالى . الســربال القميص وكنى به عن الخلافة » ، تاج العروس (٧/٣٧٤) .

٧ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 625 f.

الخصر ثم يعرض وينتهي بفتحتين ضيقتين لدخول الرجلين منهما . ولا زال (الشروال) مستعملاً بين الايرانيين والأكراد وفي بلاد الشأم . وقد ذكر علماء اللغة أن السروال لفظة معربة من أصل فارسي . وورد «في حديث أبي هريرة : أنه كره السراويل المخرفجة » أي (الواسعة الطويلة)[1] . وقد اشتهر الفرس بلبس السراويل ، والظاهر أن الرسول كره السراويل الواسعة الطويلة ، لأنها كانت من سنة الأعاجم . فأراد عدم التشبه بهم . وأما القميص ، فقد يقال له (الدرع) والسربال[2] .

وأما (القز) (القهز) ، فهما ثياب صوف كالمرعزي وربما خالطها الحرير[3] . وأما (الزازفية) ، فثياب بيض من كتان[4] . وأما (الخنف) فما غلظ من الثياب[5] .

ومن الأكسية (الجودياء) ، وقد ذكر بعض علماء اللغة أنها لفظة معربة عن أصل فارسي أو نبطي ، وذكروا أن الأعشى تصرف بها في شعره فجعلها (اجياد)[6] .

وهناك نوع من أنواع القميص أو البرد المنسوجة من الصوف فيها سواد وبياض يقال لها (سبيج) (السبيج) و (السبجة) و (السبيجة) . وقد ذكر الجواليقي أنها من الألفاظ المعربة[7] .

والطيلسان : من الألفاظ المعربة ، ويراد بها ثوب يلبس على الكتف ، أو ثوب يحيط بالبدن ينسج للبس ، خال عن التفصيل والخياطة . وذكر أيضاً أنه كساء مدور أخضر ، لا أسفل له ، لحمته أو سداه من صوف[8] . وقد اشتهرت

---

١ اللسان (١١/٣٣٤) .
٢ اللسان (٧/٨٢) ، (١١/٣٢٥) .
٣ المخصص (٤/٦٨) .
٤ النهاية في غريب الحديث (١/٨٣) .
٥ النهاية (١/٤) .
٦ « والجودياء (بالضم) : الكساء ، نبطية او فارسية . وعربها الاعشى فقال :
وبيداء تحسب آرامها رجال اياد بأجيادها
وأنشد شمس لابي زبيد الطائي في صفة الاسد :
حتى اذا ما رأى الانصار قد غفلت واجتاب من ظله جودي سمور
قال : جودي بالنبطية هي جودياء ، أراد جبة سمور » ، تاج العروس (٢/٣٢٨) ، المعرب (ص ١١١ وما بعدها) .
٧ المعرب (ص ١٨٢) ، تاج العروس (٢/٥٦) .
٨ المعرب (ص ٢٢٧) ، المغرب (٢/١٦) .

الفرس بلبسه ، ويسمى عندهم بـ (تالسان) ، حتى استعمل العرب جملة : « يا ابن الطيلسان » أي يا ابن الأعجمي في الشتم ، وذلك من تطلسهم به[1] .

والساج : الطيلسان الضخم الغليظ ، وقيل : هو الطيلسان المقوّر ينسج كذلك، وقيل : هو طيلسان أخضر . وفي حديث ابن عبّاس ، أن النبي ، كان يلبس في الحرب من القلانس ما يكون من السيجان الخضر،جمع ساج ، وهو الطيلسان الأخضر ، وذكر (ابن الأعرابي) : السيجان الطيالسة السود[2] .

و (الشوذر) من الألفاظ المعربة القديمة على رأي بعض العلماء ، ويراد بها الملحفة والإزار[3] .

وقد اشتهرت اليمن بصنع الأزر ، واشتهرت بهذه الصناعة مواضع أخرى . وقد كان العراق يصدر الأزر إلى جزيرة العرب . واشتهرت ازره عند العبرانيين. فأطلقوا عليها (ازرت شنعار) (ازرت شنعر) ، أي (ازر شنعار) . ويريدون بشنعار ما يقال له أرض بابل . وهو من نسيج جيد مبروم . وقد عرفت بـ (لُبلّي برمه) « Lubulti birme » ،وعرف النساج الذي اختص بهذا النوع من الأزر بـ (اشبر برمي) « Ushbar Birmi »[4].

و (القهز) و (القهزى) ، ثياب بيض يخلطها حرير . وهي من الألفاظ المعربة. وذكر بعض علماء اللغة أن الأصل الفارسي هو (كهزانة)[5] .

والخميصة : ثوب أسود معلم من خز أو صوف . وأما الأنبجانية فكساء له خمل ، وقيل : الغليظ من الصوف . والفروج : القباء له فرج من وراء أو من أمام . وأما المِرْطُ فالكساء يتغطى به[6] .

ومن أنواع الثياب (القباء) . وقد ذكر بعض العلماء ان اللفظة فارسية الأصل معربة[7] .

---

١ تاج العروس (١٧٩/٤) .
٢ اللسان (٣٠٢/٢ وما بعدها) .
٣ المعرب (ص ٢٠٥) ، « والشوذر : الملحفة معرب ، فارسيته جادر » ، تاج العروس (٢٩٤/٣) .
٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 230.
٥ المعرب (ص ٢٦٣) ، « ثياب تتخذ من صوف أحمر كالمرعزي وربما يخالطه الحرير . وقيل هو القز بعينه . وأصله بالفارسية كهزانه » ، تاج العروس (٧٢/٤) .
٦ جامع الاصول (٤٩٦/٧) .
٧ المعرب (٢٦٢) ، تاج العروس (٢٨٦/١٠ وما بعدها) .

و (النرمق) ثياب لينة بيض ، وهي من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وأصلها (نرمه)[1] . وأما (النمرق) و (النمرقة) ، فالوسادة أو الميثرة والطنفسة [2] .

ولاحتياج الانسان الى الملابس في كل زمن ، كانت حرفة الغزل والحياكة يحترفها كثير من الناس وتعيش عليها أسر عديدة . ويمكن عدّها من أهم الحرف في ذلك العهد ، وعد العمال المشتغلين بها من أكثر عمال الحرف الأخرى عدداً . ولم يكن المتعاطون لهذه الحرف هم أصحاب معامل النسيج ، ولكن أصحابها الأغنياء والمتمولون . أما المشتغلون بها ، فعمال يشتغلون فيها بأجر يتقاضونه ، ومنهم من كان رقيقاً مملوكاً يعمل لحساب سيده ومالكه ، في مقابل قيامه بأوده . والقليل من العمال من كان يملك مصانع نسيج ، تعمل له وتدر الربح عليه .

بل كان الملوك يشاركون الشعب في امتلاك دور النسيج وينافسونهم في الإنتاج . وفي نصوص المسند إشارات عديدة الى دور الحياكة والنسيج الملكية ، والى انتاجها واشتغالها . ولا يستبعد احتكارهم لها أو احتكار صناعة بعض الأنواع من النسيج وبيع الأقمشة . وقد علمنا في الجزء السابق من هذا الكتاب أن البطالمة كانوا قد احتكروا بيع أنواع معينة من النسيج وصناعتها . وقد ظل احتكار حكومات مصر لأنواع معينة من النسيج معروفاً الى الاسلام ، تنسجها في معاملها ، ولا تسمح للأهلين بإنتاجها ، كما فعل ذلك غير المصريين أيضاً . فصناعة النسيج صناعة مهمة ذات أرباح وفوائد،وهي من أهم الصناعات في المجتمع . ولأرباحها هذه ولكونها مورداً مهماً ، فكرت بعض الدول في احتكارها ، للحصول على أرباحها ، كما تفعل الدول في الزمن الحاضر في احتكار بعض الصناعات والمناجم وبعض المصالح العامة مثل سكك الحديد أو التلفون والبرق وغير ذلك لتكون مورداً يمون الدولة بالمال.

ومن أسماء القطن (الطوط) ، وقيل : الطوط قطن البردي . وورد في شعر لأمية ابن أبي الصلت :

والطوط نزرعه أغن جراؤه فيه اللباس لكل حول يعضد[3]

---

١ المعرب (ص ٣٣٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٧/٧٥) .
٢ تاج العروس (٧/٨١) .
٢ تاج العروس (٥/١٧٩) ، (طوط) .

ولم يقتصر عمل الحائك على حياكة الأقمشة ونسجها وحدها ، بـــل شمل عمله كل شيء يحاك ، مثل البسط والطنافس والسجاجيد و (الدرانك) التي هي نحو من الطنافس والبسط . ويذكر علماء اللغة أن اللفظة من المعربات . وذكـر بعض العلماء أن (الدرنوك) و (الدرموك) ضرب من الستور والفرش ، يكون فيها الصفرة والخضرة ، وقال بعض آخر : انه ضرب من الثياب له خمل قصير كخمل المناديل ، وبه شبـــه فروة البعير . وورد انه الطنفسة والبسط ذات الخمل . وقد تكون كبيرة تفرش البيت[1] . والأنماط ، وهي ضرب من البسط[2] ، وضرب من الثياب المصبغة ، وثياب من صوف تطرح على الهودج[3] . والنساجة وهي ضرب من الملاحف المنسوجة[4] . والقطيفة وهي دثار مخمل . وقيل هي كساء مربع غليظ له خمل ووبر[5] . والوسادة وهي المخدة[6] . والنمرقة وهي الوسادة ، وقيل الصغيرة منها ، أو هي الميثرة ، وتوضع على الرحل كالمرفقـة ، غير ان مؤخرها أعظم من مقدمها ولها أربعة سيور تشد بآخرة الرحل[7] .

وهناك حرفة أخرى لها علاقة بالنساجة والحياكة ، هي الخياطة[8] . وحرفـة الخياط تحويل الأقمشة الى كسوة ، وصنع الثياب والعمائم بتفصيل القماش وقصه ثم خياطته على وفق القياس المطلوب . وهي حرفة تروج في المدن . أما في البادية ، فتقوم المرأة بعمل الضروريات ، ويلتجيء الرجال الى القرى والمدن في شراء مـا يحتاجون اليه من ثياب . ونجد بين أسماء الثياب ، ما هو معرب ، مما يدل على أنه منقول مستورد ، وأن الخياطين الجاهليين قد رأوه فقلدوا صنعه .

كذلك نجد بين أسماء أجزاء الثوب أسماء معربة. فذكر علماء اللغة أن (الدخريص) و (التخريص) من المصطلحات المعربة ، وأن أصلها فارسي ، وهي تعني (البنيقة) و (اللبنة) . وقد وردت (الدخارص) في شعر منسوب الى الأعشى[9] .

---

١ المعرب (ص ١٥٢) ، تاج العروس (١٢٩/٧) .
٢ جامع الاصول (٣٩٥/٤) ، تاج العروس (٢٣٤/٥) .
٣ المعرب (٢٣١/٢) ، تاج العروس (٢٣٤/٣) .
٤ جامع الاصول (٣٩٩/٤) .
٥ المغرب (١٢٨/٢) ، تاج العروس (٢٢٤/٦) .
٦ جامع الاصول (٤٠٢/٤) ، تاج العروس (٥٣٤/٢) .
٧ تاج العروس (٨١/٧) .
٨ تاج العروس (١٣١/٥) .
٩ المعرب (ص ١٤٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٩٣/٤) ، (٣٠٠/٦) .

ويعبر عن (الخيّاط) بلفظة (درز) ، و (بنو درز) الخيّاطون والحاكة[1] . و (الخياط) الإبرة[2] . والإبرة ، هي التي يخاط بها ، وذلك بإدخال الخيط في سمّها أي في ثقب الإبرة ، وتخييط ما يراد تخييطه بها . والخياطة صناعة الخائط[3] . ويقال للذي يُسوّي الابر الأبّار[4] . و (السم) الثقب ، ومنه (سم الخياط) ، أي سم الإبرة[5] .

ومن أسماء الخياط : (القراريّ) . قال الأعشى :

يشق الأمور ويجتابهـــا كشق القراري ثوب الردن[6]

ويعبر عن خياطة الخياط الثوب خياطة متباعدة بـ (شمج) و (شمرج) ، وذلك بأن يباعد بين الغرز . و (الشمرج) الرقيق من الثياب وغيرها[7] .

ويعبر عن الخيط بلفظة (السلك) و (السلكة)[8] .

والثوب اللباس[9] ، وهو ما يلبس[10] . ولذلك فهما من الكلمات العامة التي تطلق على أشياء عديدة . وقد اشتهرت بعض الثياب بكونها ثياب رقاق ، منها(السبوب) والسب : الشقة البيضاء ، وكذلك الخمار . و (الشف) ، وهو الثوب الرقيق ، و (اللهله) و (النهنه) ، الثوب الرقيق النسج . وثوب هلهل وهلهال ، رقيق النسج ، وهو المتدارك النسج[11] .

والمواد التي يستعين بها الخياط في صنع الثياب والاكسية هي الأنسجة المصنوعة من القطن أو الحرير أو الكتان أو الأصـــواف أو الشاش أو البز أو الكرباس .

---

١ اللسان (٥/٣٤٨) .
٢ بكسر الخاء .
٣ اللسان (٥/٢٩٨ وما بعدها) .
٤ اللسان (٤/٤) .
٥ اللسان (١٢/٣٠٣) .
٦ اللسان (١٣/١٧٧) .
٧ اللسان (٢/٣٠٨ وما بعدها) .
٨ اللسان (٥/٢٩٨) ، (١٠/٤٤٣) .
٩ اللسان (١/٢٤٥) .
١٠ القاموس (٢/٢٤٨) .
١١ المخصص (٤/٦٣) .

ولفظة (قطن) ، من الألفاظ التي يصعب تعيين أصلها . وقد ذهب كثير من الباحثين الى أنها من أصل هندي . وفي التوراة لفظة (كربس) « Karpas » ، أي الكرباس ، فسرها علماء التوراة بمعنى (قطن) . ولفظة (كرباس) معروفة في العربية . وهي من الألفاظ المعربة المعروفة عند الجاهليين. وترد في لغة بني إرم وفي العبرانية واليونانية واللاتينية . وقد ذهب بعض العلماء،أنها من أصل سنسكريتي وانها تعني شجرة القطن . وقد ذكرت اللفظة في تأريخ (هيرودتس) ، وعرفها اليونان الذين كانوا في حملة الاسكندر الكبير . ودعوها « Carbasus » و « Carbasina » . وقد أشار الى القطن (هيرودوتس) و (سترابو) وصاحب مؤلف « Periplus maris Erythr » و(لوقان) « Lucan » و« Quintus Curtius » وأشاروا الى صلتها بالهند [1] . واللفظة من الألفاظ الواردة في الفارسية أيضاً . وذهب علماء العربية الى ان الكرباس ثوب من القطن الأبيض معرب عن الفارسية[2]. وفي حديث عمر : « وعليه قميص من كرابيس » ، جمع كرباس وهو القطن[3] .

ومن أسماء القطن الخرفع والخرنع . وذكر أن (الطوط) ، هو قطن البردي[4] .

والبز عند علماء العربية : الثياب ، وقيل ضرب من الثياب ، وقيل البُز من الثياب أمتعة البزاز ، والبزاز بائع البَز وحرفته البزازة . والبِزّة الهيئة والشارة واللبسة[5] . وذكر ان (البز) ضرب من برود اليمن[6] .

واللباس والألبسة والملبس كل ما يلبس[7] . والكسوة ، اللباس أيضاً . والكساء واحد الأكسية[8] . وقد عرفت لفظة الكسوة في العربيات الجنوبية كذلك ، إذ وردت في بعض النصوص : (كسوت) (كشوا) (كشوي)[9] . وذكر علماء العربية ان الكساء الذي لا بطانة له ، يقال له : (كساء سمط)[10] .

---

١ Ency. Bibli., Vol. I, p. 915, Hastings, Diction. of the Bible, Vol. I, p. 623, Smith, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 360.

٢ القاموس المحيط (٢/٩٣) ، تاج العروس (٤/٢٣١) .

٣ اللسان (٦/١٩٥) .

٤ المخصص (٤/٦٩) .

٥ اللسان (٥/٣١٢) .

٦ المعاني الكبير (٣/١١٧٥) .

٧ اللسان (٦/٢٠٢ وما بعدها) .

٨ اللسان (١٥/٢٢٣ وما بعدها) .

٩ Mahram, p. 439.

١٠ اللسان (٧/٣٢٤) .

وفي العبرانية لفظة (بجد) وتقابل (بجاد) و (بجد) في العربية ، وتعني اللباس عامة ، من دون تمييز . أما لفظة (لبوش) ، فهي من أصل (لبس) ، وهي في معنى (لبوس) و (لبس) في العربية [١] . والبجاد عند العبرانيين من الألبسة التي تستعملها الطبقات الراقية [٢] .

وذكر علماء العربية أن البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب . وقيل : اذا غزل الصوف بسرة ونسج بالصيصة ، فهو بجاد . ويقال للشقة من البجد : قليح وجمعه (قلح) . وقيل البجاد الكساء [٣] . وقيل انـــه من وبر الإبل وصوف الغنم مخيطة [٤] .

ومن أنواع الأكسية : (المشملة) : كساء يشتمل به دون القطيفة . وذكر : المشمل : كساء له خمل متفرق يلتحف به دون القطيفـــة . وورد في الحديث : « ولا تشتمل اشتمال اليهود » ، وهو افتعال من الشملة ، وهو كساء يتغطى به ويتلفف فيه ، والمنهي عنه هو التجلل بالثوب وإسباله من غير أن يعرف طرفه [٥] . وهو (سملة) « Simlah » و « Salmah » عند العبرانيين .

و (البرنس) : كـــل ثوب رأسه منه ملتزق به دُرّاعة كان أو ممطراً أو جُبّة . وذكر أن (البرنس) قلنسوة طويلة ، وكان النسّاك يلبسونهـا في صدر الإسلام . وهو من (البرس) ،القطن [٦] . وعرف بهذه التسمية أيضاً عند العبرانيين [٧] .

والمُلاءة : الريطة ، وهي الملحفة والإزار [٨] . وذكر أن الريطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، وقيل : الريطة كلا ملاءة غير ذات لفقين كلهـا نسج واحد ، وقيل : هو كل ثوب لين دقيق . والرائطة : المنديل [٩] .

---

١ Ency. Bibli., Vol. I, p. 1135. f.
٢ The Bible Dictionary, I, p. 30.
٣ اللسان (٣/٧٧) .
٤ شرح المعلقات العشر ، للتبريزي (ص ٧٧) .
٥ اللسان (١١/٣٦٩) .
٦ اللسان (٦/٢٦) .
٧ The Bible Dictionary, I, p. 96.
٨ اللسان (١/١٦٠) .
٩ اللسان (٧/٣٠٧) .

والإزار : الملحفـــة ، والمئزرة : الإزار [1] . والرداء الذي يلبس ، والجمع أردية [2] . وذكر أن المئزر من الصوف أو الشعر يؤتزر به، فإذا انفق فهو (شملة) يشتمل بها الرجل اذا نام بالليل [3] .

والردن : الكُمّ . يقـال : قميص واسع الردن . وذكر أن الردن مقدم كمّ القميص ، وقيل هو أسفله ، وقيل : هو الكمّ كله [4] .

ويصنع الخياط الهمايين جمع (الهميان) ، ويراد به الحزام وبه كيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط . وقد يصنع من الجلود أيضاً ، وهو من الألفاظ المعربة من الفارسية [5] .

أما (الكيس) ، فهو لحفظ ولخزن ولحمل الأشيـاء . ويعرف بـ (كيس) في العبرانية كذلك ، وقد يصنع من الجلد . وأما (الخريطة) ، فإنها (خريط) في العبرانية . وتحفظ فيها الأشياء الثمينة ، وقد تحلى وتزخرف . وأما (الصرة)، وهي (صرور) في العبرانية ، فلصر الأشياء [6] . ولا تزال هـذه الأسماء مستعملة معروفة .

والجاهليون مثل عرب الاسلام في اختلاف ملابسهم ، فقـــد كانت ملابسهم تختلف باختلاف منازلهم ودرجاتهم . فللشرفاء والوجهاء أهل المـدن والقرى لبس خاص يميزهم عن الطبقات الدنيا من الناس . وللتجـــار لبس خاص بهم ، أما الأعراب ، فكانوا يتميزون أيضاً بطريقة لبسهم عن أهل المدن والقرى . ثم انهم عموماً كانوا يختلفون في ألبستهم باختلاف أمكنتهم وبحسب درجة اتصالهم واختلاطهم بالأعاجم . فقد كان عرب العراق قـد تأثروا بألبسة الفرس وبألبسة بني إرم ، فأخذوا منهم . وتأثر عرب بلاد الشأم بالروم ، فأخذوا منهم بعض ملابسهم ،

---

١ اللسان (١٦/٤ وما بعدها) .
٢ اللسان (٣١٦/١٤ وما بعدها) .
٣ الاغاني (٣٧٢/١) .
٤ اللسان (١٧٨/١٣) .
٥ المعرب (ص ٣٤٦) ، « والهميان دخيل معـرب . والعرب قد تكلمـوا به قديمـا ، فأعربوه . ويقال له هميان أعجر ، وهمايين عجر . وقد جاء ذكر لفظ الجمع في حديث النعمان يوم نهاوند : تعاهدوا همايتكم في أحقيكم وأشساعكم في نعالكم » ، تاج العروس (٣٦٧/٩ وما بعدها) .
٦ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 231.

حتى أسمائها ، احتفظوا بها ، وقد حفظتها لنا كتب الاسلاميين . وبعضها لا تزال حية نستعملها هذا اليوم . ولا تختلف ألبسة الرأس المعروفة عند الجاهليين عن ألبسة الرأس المستعملة بين الأعراب وفي قرى جزيرة العرب . فقد اقتضت طبيعة الصحراء ، أن يحمي الجاهلي رأسه بألبسة واقية تقيه من أذى أشعة الشمس المحرقة ومن الرمال التي تذرها العواصف في العيون وفي الأنوف ، فأوجد لنفسه ألبسة رأس مناسبة له ولبساطة حياته . فستر رأسه بقطعة قماش مربعة الشكل في الغالب، تمتد على أطرافه ليتلثم بها وقت ظهور العواصف وارتفاع الرمال ، أو وقت ظهور السموم ، فيحمي نفسه منها ومن العطش ، كما يحمي مؤخر رأسه من أشعة الشمس ، ولتحميه من البرد في الشتاء كذلك . ويضع فوق هذه القطعة عقالاً ، يصنع من الصوف أو من شعر الماعز أو الوبر ، ليمسك قطعة القماش فلا تسقط . وتعرف قطعة القماش هذه بالكوفية وبـ (الكفية) في الوقت الحاضر ، ويقال لها وللعقال (الكفية والعقال) و (الكوفية والعقال) في اصطلاح المحدثين .

أما عرب بلاد الشأم ، فقد كانوا يضعون لباداً فوق رأسهم مصنوعاً من مادة مضغوطة من الصوف أو الوبر ، يشبه ما يسمى بـ (العرقجين) في العراق (العرقية) ، يلف حوله بقماش مختلف الألوان ، قد يمتد أحد طرفيه ، ليستعمل لثاماً للوجه وستراً للرقبة ، وهو زي الفلاحين والرعاة .

والعمامة من لباس الرأس عند الجاهليين . « والعرب تقول للرجل إذا سُوّد : قد عمم . وكانوا إذا سوّدوا رجلاً عمموه عمامة حمراء. وكانت الفرس تتوج ملوكها فيقال له متوج »[1] . ويقال لها (السبائب) كذلك . والعمامة : (السُب)[2] .

وعادة صبغ الثياب ، من العادات المعروفة عند العرب قبل الإسلام . وكانوا يستعملون في ذلك أصباغاً مختلفة، كالقرف وهو قشور الشجر ، والجذور يستخرجون ما فيها من مادة ملونة لصبغ ما يضعونه فيها من ملابس ، والأصباغ المستخرجة من بعض النباتات[3] . ولألوان العمائم أو الملابس دخل في المناسبات الاجتماعية ، فكانوا يستعملون للحرب مثلاً نوعاً خاصاً من العمائم ذوات ألوان خاصة ، تعبر

---

١ اللسان (١٢/٤٢٤) .
٢ اللسان (١/٤٥٦) ، الروض الانف (١/٥٩) .
٣ المخصص (١١/١٤) .

عن المواقع ، ويستعملون في الأحزان نوعاً خاصاً من العمائم والثياب ، وفي الفرح ملابس خاصة ، وهكذا ، كما كانوا يقومون بتجميرها في بعض الأحوال .

ويقوم بصبغ الثياب وقصرها الصباغون، يصبغون الملابس كما يصبغون الأقمشة قبل تفصيلها وخياطتها . وذكر أن الكهان كانوا لا يلبسون المصبغ[1] ، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك بسبب اعتقادهم أن تابع الكاهن ينفر من الصبغ .

وفي جملة الأصباغ المعروفة والشائعة عند الجاهليين ، العصفر ، وهو نبت أصفر يستخرج منه صبغ أصفر ، تصبغ به الثياب والأقمشة وأمثالها . ومن هذه الصبغة جاءت لفظة (المعصفرات) ، ويراد بها الثياب المصبوغة بالعصفر[2]. والورس وهو صبغ أصفر ، يؤخذ من نبت طيب الرائحة تصبغ به الملابس ، فيقال ملحفة مورسة ، إذا كانت مصبغة بالورس[3] . وقد جاء النهي عن لبس الثياب المعصفرة في الاسلام[4] .

والثوب الأحمر ، هو الثوب المصبوغ بلون أحمر ، أما (الكرك) ، فالثوب الأحمر كذلك . و (ثوب مشرق) ، ثوب بين الحمرة والبياض ، و (ثوب قتمة) و (مقتوم) ثوب سواده ليس بشديد ، و (ثوب مفروك) ، مصبوغ بالزعفران ، وزبرقت الثوب زبرقة ، صفرته . وقد سمي (الزبرقان بن بدر) بذلك ، لصفرة عمامته[5] .

ويظهر ان الصباغين كانوا يمطلون بالمواعيد ويخلفون ، لذلك ضرب بهم وبالصياغين المثل في الخلف . وورد في الحديث : « أكذب الناس الصباغون والصوّاغون »[6] .

ويستعمل شعر الماعز في الغالب لصنع الخيام،وذلك للأعراب وللتجار والمسافرين وغيرهم . والاتجار بالخيام ، من التجارات التي كانت رائجة يومئذٍ ويستعمل شيوخ القبائل والرؤساء والملوك خياماً خاصة مصنوعة من أقمشة غليظة تتحمل المطر والعوارض الطبيعية الأخرى ، ولها أسعار غالية عالية ، تختلف باختلاف حجمها

---

١ بلوغ الارب (٣/٤٠٧) ، اللسان (٨/٤٣٧) .
٢ جامع الاصول (٤/٣٦٥) .
٣ المعرب (٢/٢٤٦) .
٤ صحيح مسلم (٦/١٤٤) .
٥ المخصص (٤/٩٥) .
٦ اللسان (٨/٤٣٧) .

ونوع القماش المصنوعة منه . ولبعضها قواطع تجزىء الخيمة الى أقسام تكون شبه غرف يسكن فيها . ويستعمل بعضها مضارب يعقد فيها ديوان الرئيس ، وبعضها معابد توضع فيها الأصنام والأشياء المقدسة التي تتنقل مع القبيلة ، يحملها الكهنة معهم.وقد أشير الى هذه الأصنام المتنقلة مع القبائل في الأخبار التي سجلها الآشوريون عن حروبهم مع الأعراب، كما كان العبرانيون يصنعون خياماً واسعة تكون مقدسة لخدمة الرب . ومن الخيم الكبار (الفسطاط) . ويطلق على الأبنية كذلك[1] .

والبساط ، ما بسط . وقد اشتهرت أنواع خاصة من البسط بين الجاهليين . منها بسط عبقر ، والبساط العبقري من الأبسطة الجيدة ، ومن عادة العرب أنهم اذا استحسنوا شيئاً أو عجبوا من شدته ومضائه نسبوه الى (عبقر) . وعبقر عندهم أرض من أرض الجن . وورد (ثياب عبقرية) نسبة الى عبقر . حتى قالوا : « ظلم عبقري » أي شديد فاحش[2] . ومن أنواع البسط : (النخ) . وهو بساط طوله أكثر من عرضه ، وهو فارسي معرب ، وجمعه نخاخ[3] .

وللعرب طرق في هيأة لبسهم وفي كيفية وضعها على أبدانهم ، ولا سيما أهل الحضر منهم . كما كانوا يكيفون لبسهم حسب المناسبات في مثل الغارات والحروب والسفر . ومن ضروب لبسهم ، ما يقال له : (الاضطباع) ، ويقال له : (التأبط) ، وهو أن يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الأيسر[4] .

ومن ضروب اللبس : (التفضل) ، وهو التوشح ، أن يخالف اللابس بين أطراف ثوبه على عاتقه . وأما (الفضلة) فالثياب التي تبتذل للنوم لأنها فضلت عن ثياب الصرف[5] . وعرف التوشح : أن يتوشح بالثوب، ثم يخرج طرفه الذي ألقاه على عاتقه الأيسر من تحت يده اليمنى ، ثم يعقد طرفيهما على صدره . وقيل : التوشح بالرداء مثل التأبط والاضطباع ، وهو أن يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الأيسر ، كما يفعل المحرم[6] .

وأما (الاشتمال) ، فهو ادارة الانسان الثوب على جسده كله حتى لا تخرج

---

١ المعرب (٢/٩٦) ، تاج العروس (٥/١٩٨ وما بعدها) .
٢ المخصص (٤/٧٣) .
٣ اللسان (٣/٦١) .
٤ اللسان (٧/٢٥٤) ، المخصص (٤/٩٧) .
٥ اللسان (١١/٥٢٦) ، المخصص (٤/٩٩) .
٦ اللسان (٢/٦٣٣) .

منه يده . وروي أن النبي نهى عن اشتمال الصّماء . والشملة الصّمّاء التي لبس تحتها قميص ولا سراويل ، وذكر أن اشتمال الصّماء هو أن يشتمل بالثوب حتى يجلل به جسده ولا يرفع منه جانباً ، فيكون فيه فرجة تخرج منها يده ، وهو التلفع ، وربما اضطجع فيه على هذه الحالة . وذكر الفقهاء : أن الاشتمال هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبه فتبدو منه فرجة[1] .

(والسند) ، ضرب من ضروب اللبس عند العرب ، وهو أن يلبس قميصاً طويلاً تحت قميص أقصر منه . كما أن السند ضروب من البرود ، وضرب من الثياب . وذكر أن السناد هي الحمراء من جباب البرود[2] .

وإذا نام الشخص وأدخل رأسه في ثوبه قيل لذلك الكبس والكباس[3] . و (الكمكمة) التغطي بالثياب[4] .

وقد عرف الجاهليون (الكلل) . و (الكلة) : الستر الرقيق يخاط كالبيت يُتوقى فيه من البق[5] .

ويعبر عن الستر بـ (السجف) ، وهو قماش يستر به . والسجافة السدافة ، أي الحجاب . وكل باب ستر بسترين مقرونين فكل شق منه سجف . وقيل لا يسمى سجفاً إلا أن يكون مشقوق الوسط كالمصراعين[6] .

---

١ اللسان (١١/٣٦٨) ، المخصص (٤/٩٧) .
٢ اللسان (٣/٢٢١ وما بعدها) ، المخصص (٤/٩٩) .
٣ اللسان (٦/١٩٠) .
٤ اللسان (١٢/٥٢٨) .
٥ اللسان (١١/٥٩٥) .
٦ اللسان (٩/١٤٤) .

الفصل الخامس عشر بعد المئة

قياس الابعاد والمساحات والكيل

وقد استعمل الجاهليون قياس الأبعاد والوزن والكيل في معاملاتهم . وهي متقاربة بين الشعوب السامية لاختلاط هذه الشعوب بعضها ببعض ، ولمستوى تلك الشعوب في الأيام الماضية ، ودرجتها في الثقافة بالنسبة إلى تلك العهود، هذا ونجد الأوزان والمكاييل قد تطورت شيئاً فشيئاً ، تطورت بالتدريج من أحوال بدائية حسية يدركها الانسان البدائي ، إلى أن اتخذت أشكالاً تستند إلى أسس علمية. ويستعمل الوزن لقياس الكميات . أما المسافات والأبعاد ، فتقاس بالطبع بمقاييس تستند إلى أساس تقدير الأبعاد .

ويختلف أهل الجاهلية في الكيل والوزن ، اختلاف الناس في هذا اليوم . منهم من يوزن الشيء ، ومنهم من يكيله كيلاً . كان أهل المدينة يكيلون التمر ، وهو يوزن في كثير من أهل الأمصار . وان السمن عندهم وزن ، وهو كيل في كثير من الأمصار[1] . وقد يباع الشيء عدداً ، بينما يباع وزناً عند قوم آخرين. والذي يعرف به أصل الكيل والوزن ، أن كلّ ما لزمه اسم المختوم والقفيز والمكوك والمدّ والصاع ، فهو كيل . وكل ما لزمه اسم الأرطال والأواقي والأمناء، فهو وزن . ودرهم أهل مكة ستة دوانيق ، ودراهم الإسلام المعدّلة كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل[2] .

---

١ تاج العروس (١٠٧/٨) ، (كيل) .

٢ تاج العروس (١٠٧/٨) ، (كيل) ، اللسان (١٢٥/١٤ وما بعدها) .

وقد كان الجاهليون يستعملون المكاييل في الغالب لقياس الجوامد والمائعات على حدّ سواء . وذلك كما يتبين من دراسة أسماء المعايير بالقياس الى المعايير المستعملة عند الرومان واليونان . وكما يتبين من مراجعة معجمات اللغة ، حيث تذكر المقياس في قياس الجوامد أحياناً وفي قياس المائعات أحياناً أخرى . وكما يتبين من عـــدم تفريق بعض اللغويين بين الوزن والكيل .

وقد جاءت في كتب الحديث والفقه وكتب اللغة أسماء بعض العيارات والموازين التي كان يستعملها العرب قبل الاسلام . ويظهر من هذه الكتب أن هذه العيارات والموازين كانت تختلف باختلاف المواضع ، وإن اتفقت في الأسماء . فبين مكة والمدينة مثلاً اختلاف في تقدير العيارات . كذلك اختلف العرب في وزن الأشياء في بعض الأحيان ، فقد ذكر أن أهل المدينة كانوا يكيلون التمر ، وهو يوزن في كثير من الأمصار. ثم إن بعض المواد تكال وتوزن ، فالسمن يكال في بعض الأماكن ، ويوزن في أماكن أخرى ، ويكـال ويوزن في آن واحـــد في أماكن غيرها[1] . وقد ورد في الحديث : « الوزن وزن أهل مكة ، والمكيال مكيال أهل المدينة »[2] .

والكيل والوزن سواء في معرفة المقادير . وتعني لفظة (كال) معنى وزن . وقد ورد عن النبي أنه قال : المكيال مكيال أهل المدينة والميزان ميزان أهل مكة[3]. وورد : الكيل كيل الطعام ، يقال : كلتُ الطعام إذا توليت ذلك له . وورد في القرآن الكريم : « ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون »[4] . وذلك إن كان مخصوصاً بالكيل ، فحث على تحري العدل . وقد وردت لفظة : (الكيل) و (كيل) و (المكيال) و (كلتم) و (اكتالوا) و (نكتل) في مواضع من القرآن الكريم[5] .

ويعبر عن الوزن وعن قياس الأبعاد بلفظة : (كل) (كال) أي (كالَ)

---

١ تاج العروس (٨/١٠٧) ، (كيل) .
٢ جامع الاصول (١/٣٧١) .
٣ جامع الاصول (١/٣٧١) ، اللسان (١١/٦٠٥) .
٤ سورة المطففون ، الآية ١ وما بعدها ، المفردات (٤٦٠) .
٥ الانعام ، الآية ١٥٢ ، الاعراف الآية ٨٥ ، يوسف الآية ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٨٨ ، الاسراء ، الآية ٣٥ ، الشعراء الآية ١٨١ ، هود ، الآية ٨٤ وما بعدها .

في المسند . والوحدة (كلت) أي (كيلة)[1] . أما في عربيتنا ، فقد استعملت في الوزن والكيل[2] . وجاء الكيل : كيل الطعام[3] . وورد كال البئر ، أي قدر ما فيها من ماء[4] . والإسم (الكيلة) ، والكيل ، والمكيل ، والمكيال ، والمكيلة ، ما كيل به حديداً كان أو خشباً . وكال الدراهم والدنانير وزنها .

وفي معنى (كلت) ترد لفظة (سفرت) (سفرة) . وتستعمل خاصة في قياسات الأبعاد ، مثل البعد بين مكانين ، أي المسافات والأطوال فهي بمعنى مرحلة أي وحدة قياسية للبعد[5] . ومعدل ما يسافره الانسان أو تقطعه القافلة في اليوم ، أي السفرة التي تتمكن منها القافلة في اليوم ، فسفرت ، هي سفرة في لغتنا ، أي مرحلة .

وتعد قياسات الأبعاد والموازين والمكاييل البابلية من أهم وأدق المكاييل والأوزان عند الشعوب الشرقية . فقد استند البابليون في قياساتهم هذه الى أسس علمية . وهم في ذلك أدق من قدماء المصريين ، ومن اليهود[6] .

والعادة قياس الأبعاد الصغيرة والمسافات القصيرة ، بمقاييس تتناسب مع هذه الأبعاد . وذلك باستعمال مقاييس صغيرة مثل الاصبع والشبر والذراع ، صارت أساساً للمقاييس التي تقاس بها المسافات البعيدة ، مثل المسافات بين مراحل السفر أو الأبعاد بين المدن والقرى وما شاكل ذلك . إذ لا بد من اتخاذ وحدة قياسية كبيرة في قياس الأبعاد الطويلة ، لسهولة الضبط والحفظ ، ولهذا اصطلحت الأمم على اتخاذ وحدات كبيرة في قياسات المراحل والأبعاد ، سمتها .

وقاس الجاهليون مساحات الأرضين الزراعية بمقدار البذور المنثورة وبمقدار ما يحرثه ثور واحد أو حيوان في نهار . ويراد بذلك متوسط عمل محراث واحد في الأرض . فتقدر مساحة أرض بمقدار كميات البذور التي تنثر في الأرض ، وتذكر عندئذ مقدار كيلات البذور المنثورة ، ويدل عددها على مساحة الأرض .

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 79.

٢ اللسان (١١/٦٠٤ وما بعدها) « دار صادر » .

٣ المفردات (ص ٤٦٠) .

٤ اللسان (١١/٦٠٤) « دار صادر » .

٥ Rhodokanakis, Studi., II, S. 79.

٦ Hastings, p. 967.

ولو تعمقنا في دراسة قياس المسافات ، فإننا نجد أن الانسان قد استعان بأجزاء جسمه في بادىء الأمر في القياسات ، فاستعان بالإصبع ، واعتبره وحدة قياسية صغيرة لقياس البعد،استعمل عرضه كما استعمل طوله . واستعمل (الكف) قياساً للأبعاد كذلك . وهو أربع أصابع عند العبرانيين[1] . واستعمل (الشبر) للأبعاد التي تزيد على الكف . والشبر هو مسافة ما بين طرف الإبهام وطرف الخنصر ، ويساوي ثلاث كفوف . ويعدل من ثمانية قراريط الى أحد عشر قيراطاً . واستعملت (الذراع) وجعلوها تعادل شبرين . وتقدر بنحو قدم الى قدمين . ثم (الخطوة) وتعادل ذراعين أو ثلاث أقدام أو اثني عشر كفاً . ثم (القامة) ،وتعادل خطوتين أو أربع أذرع أو ستة أقدام . ثم (القصبة) . وتعادل قامة ونصف قامة ، أو ستة أذرع . وتعادل تسع أقدام أو ستاً وثلاثين كفاً[2] .

والكف — عند العرب — اليد ، أو منها إلى الكوع[3] . والشبر ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر ، ويكال به . ومنه (الشَبر) ، كيل الثوب بالشبر ، يشبره شبراً[4] . والذراع من طرف المرفق إلى طرف الاصبع الوسطى ، وقيل الذراع والساعد واحد . يقال ذرع الثوب وغيره ، قاسه بالذراع . وهو ما يذرع به من حديد أو قضيب[5] . و (الباع) ، قدر مد اليدين وما بينهما من البدن ، ويستعمل في قياس الأعماق ، مثل الآبار ، وأعماق الماء[6] .

والخطوة ما بين القومين[7] . والقامة عند العرب ، مقدار هيأة رجل ، والبكرة بأداتها ، وقيل : البكرة التي يستقى بها الماء من البئر[8] . والقامة مقياس أيضاً تقاس به الأعماق[9] .

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣١) .
٢ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣١) ، Hastings, p. 967.
٣ تاج العروس (٦/٢٣٤) ، (كف) .
٤ تاج العروس (٣/٢٢٨) ، (شبر) .
٥ تاج العروس (٥/٣٣٣ وما بعدها) ، (ذرع) .
٦ تاج العروس (٥/٢٨٣) ، (بوع) .
٧ تاج العروس (١٠/١١٥) ، (خطا) .
٨ تاج العروس (٩/٣٦) ، (قوم) .
٩ قول أبو ذؤيب :
فلو كان حبلا من ثمانين قامة وخمسين بوعا نالها بالانامل
« وفي الديوان : وتسعين باعا ، وأما بوعا فانه رواية الاخفش » ، تاج العروس (٥/٢٨٣) ، (بوع) .

وذكر الذراع في القرآن الكريم في آية : « في سلسلة ذرعُها سبعون ذراعـاً فاسلكوه »[1] . ويعبر به عن المذروع ، أي الممسوح بالذراع[2] . وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الذراع من طرف المرفق الى طرف الإصبع الوسطى[3] . وذكر بعض العلماء أن الذراع والساعد واحد . وأما المذارعة فالبيع بالذراع[4] . ويقـال ذراع من الثوب والأرض[5] . فتستعمل المذارعة إذن في الأموال المنقولة التي لها اتساع مثل الثياب والأقمشة والخشب وما شابـه ذلك ، كما يستعمل في ذرع الأرض . وقد اختلف الذراع الجاهلي عن الذراع في الاسلام[6] .

والقصبة من أصل « Kas - Pu » في البابلية ، ومعناها (ساعتان) ، أي مسيرة تقطع في ساعتين . وورد « Kas - Pu Kakkari » في النصوص البابلية ، ويراد بالجملة : ما يقابل (قصبة أرض) أو (ميل أرض)[7] . وقد كان أهل مصر في الاسلام يمسحون أرضهم بقصبة طولها خمسة أذرع بالتجاري ، فمتى بلغت المساحة أربعمائة قصبة ، فاسمها : الفدان[8] .

و (الغلوة) ، وكانت مقياساً يونانياً ، وتعـادل نحو (١٤٥) خطوة ، أو ثُمن ميل . وتسمى (فرسخاً) أيضاً[9] . وذكر علماء اللغة أن (الغلـوة) قدر رمية بسهم ، وتستعمـل في سباق الخيل[10] . وقيل هي قدر ثلاثمائـة ذراع الى أربعمائة ذراع . وذكر بعض علماء اللغة،أن الفرسخ التام خمس وعشرون غلوة[11] .

وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الفرسخ ساعة من النهار . وقال بعض آخر انه المسافة المعلومة ، وهو ثلاثة أميال هاشميـة أو ستـة أو اثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف ذراع . واللفظة من الكلمات المعربة ، وهي « Frasong » (فرسنك)

---

١ الحاقة ، الآية ٢٣ ، تفسير الطبري (٢٩/٤٠ وما بعدها) ، « بولاق » .
٢ المفردات (١٧٦) .
٣ تاج العروس (٥/٣٣٣ وما بعدها) .
٤ Ency., I, p. 959.
٥ المفردات (١٧٦) .
٦ تاج العروس (٨/١٢٣) ، (ميل) .
٧ Schrader, S. 339.
٨ تاج العروس (٥/٢٠٣) ، (قرط) .
٩ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣٢) .
١٠ اللسان (١٥/١٣٢) « صادر » .
١١ تاج العروس (١٠/٢٦٩) ، (غلا) .

في الفهلوية . وقد أشير الى هذا المقياس الفارسي في بعض مؤلفات الكتبة اليونان مثل (هيرودوتس) و (كسينوفون) « Xenophon » . وهو « Farsong » في الفارسية الحديثة . Prasakhä في لغة بني إرم[1] .

وأما (الميل) ، فمقياس روماني . وقد اختلف في طوله ، فقيل إنه ثلث الفرسخ ، وقيل إنه ثلاثة آلاف ذراع أو أربعة آلاف ، وقيل أربعة آلاف خطوة ، كل خطوة ثلاثة أقدام . وقيل إنه سدس الفرسخ . وهو من الألفاظ المعربة ، من أصل « Miloin »[2] . وذكر علماء اللغة أن الميل هو المنار يبنى للمسافر في أنشاز الأرض ، وأنه أيضاً الأعلام المبنية على الطرق لهداية الناس[3] .

وقد استخدم الجاهليون مصطلحات خاصة في تقدير المسافات والأبعاد ، ولا سيما في الأسفار . فاستعملوا مصطلح (مسيرة ساعة) ومسيرة ليلة ومسيرة نهار ومسيرة قافلة وأمثال ذلك . وقصدوا بذلك معدل ما يقطعه الانسان والقافلة في المدد المذكورة . واستعملوا (البريد) في تقدير الأبعاد والمسافات ، و (البريد) ، فرسخان ، كل فرسخ ثلاثة أميال ، والميل أربعة آلاف ذراع ، أو أربعة فراسخ ، وهو اثنا عشر ميلاً . وفي الحديث : لا تقصر الصلاة في أقل من أربعة برد ، وهي ستة عشر فرسخاً ، وفي كتب الفقه : السفر الذي يجوز فيه القصر أربعة برد ، وهي ثمانية وأربعون ميلاً بالأميال الهاشمية في طريق مكة[4] .

وقاس الجاهليون المساحات ، مثل مساحات البيت أو الملك كالأرضين بالذراع ، إن كانت غير كبيرة . أما اذا كانت كبيرة ، فقد قيست بمقدار متوسط ما يحرثه (الفدان) في اليوم . وذكر علماء اللغة أن (الفدان) الثوران اللذان يقرنان فيحرث عليهما . وأن الفدان المزرعة[5] ، والآلة ، ومقدار محدود من الأرض اصطلح الناس على تحديد مقداره[6] .

---

١ تاج العروس (٢/٢٧٢ وما بعدها) ، البلدان (١/٣٥) ، « الباب الثالث » ، Ency., II, p. 70, Horn, Grundriss der Iranische Philologie, I, 127.

٢ تاج العروس (٨/١٢٣) ، البلدان (١/٣٦) ، Hastings, p. 968.

٣ تاج العروس (٨/١٢٣) ، (ميل) .

٤ تاج العروس (٢/٢٩٨) ، (برد) .

٥ اللسان (١٣/٣٢١) ، « صادر » ، (فدن) .

٦ تاج العروس (٩/٢٩٩) ، (فدن) .

وتقاس الأرض بالجريب أيضاً . قال علماء اللغة : الجريب من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة ، وهو عشرة أقفزة ، كل قفيز منهـا عشرة أعشراء ، فالعشير جزء من مائة جزء من الجريب . وقيل : الجريب المزرعة،وقدر ما يزرع فيه من الأرض . وقد استعمـل للطعام ولتقدير غلة الأرض ، أي وحدة قياس للأرضين ، ومكيلة في آن واحد[1] . وقال بعض العلماء انه يختلف باختلاف البلدان[2] .

ومن وحدات القياس في اليمن : (ا م ت) (امت) . وقد ذكرت هـذه الوحدة في نصوص المسنـد . وتقاس بها الأبعاد طولاً وعرضاً[3] . وذكر علماء اللغة أن (الأمت) الحزر والتقدير ، يقال كم أمت ما بينك وبين الكوفة ، أي قدر ، وأمت القوم أمتاً ، إذا حزرتهم[4] . فالمعنى اذن صلة بالمعنى المفهـوم من اللفظة في لغة المسند .

والشوحط من وحدات قياس الأبعاد كذلك . فورد : (سدثي شوحطم)، أي ستون شوحطاً . وقد ذكر هذا المقياس في كتابات المعينيين[5] . ولعله قصبـة أو خشبة ، حدد طولهـا ، واعتبرت كالمتر و (الياردة) وحدة أساسية لقياس الأبعاد . و (الشوحط) ، في كتب اللغة ضرب من شجـر الجبال تتخذ منـه القسي ، أو ضرب من النبـع تتخذ منه القياس[6] . فلا يستبعد وجود صلة بين الشوحط اليماني،وهذا الشوحط ، وهو اتخاذ قضب الشوحط ، مقياساً معيناً محدداً، لقياس الأبعاد .

وترد في بعض كتابات المسند لفظة (ممد) مع العدد، كأنهـا استعملت للتعبير عن قياس . وقد ذهب بعض الباحثين الى أنها لا تعبر عن وحدة قياسية قائمـة بذاتها ، كما تعبر لفظة قدم أو ذراع ، بل هي تعبر عن معنى عام ، هو مسافة

---

١ اللسان (١/٢٦٠) ، « صادر » ، (جرب) .

٢ تاج العروس (١/١٢٩) ، المخصص (١٢/٢٦٤ وما بعدها) ، برصوم (ص ١٣٦) .

٣ راجع الفقرة الرابعة من النص : Glaser 1150, Halevy 192, 199.

٤ تاج العروس (١/٥٢٢) ، (أمت) .

٥ راجع النص الموسوم بـ : Halevy 352

٦ تاج العروس (٥/١٦٥) ، (شحط) .

أو كيل أو وزن . ويفهم ذلك المعنى من مكانة الكلمة وموضعها في الجملة [1] .

وأما وزن الأشياء ، أي تقدير مقدار ثقلهـا ، فيختلف في الغالب باختلاف طبيعة الشيء المراد معرفة وزنه وتقدير ثقله . فإذا كان الشيء جافاً قدّر بمعايير خاصة ، واذا كان سائلاً قدّر بمعايير أخرى . غير ان هـذا التفريق ليس يعدّ قاعدة عامة ، وانما يختلف باختلاف الأماكن والأعراف والعادات . فقـد يزن بعض الناس المائعات بمعايير توزن بها الأشياء الجافة عند أناس آخرين ، فالسمن مثلاً يوزن ويكال ، والتمر يوزن ويكال ، وهناك أمثلة عديدة أخرى من هذا القبيل [2] .

وأما الأوزان ، أي معرفة الخفـة أو الثقل للأشياء التي يراد وزنها لمعرفـة مقدارها ، فقد كانت توزن بوضعها في إحدى كفتي ميزان ووضع الأوزان في الكفة الثانية . وقد كانت للأوزان البابلية شهرة ، وعليها كان اعتماد العبرانيين .

والميزان الآلة التي يوزن بهـا . وقد ذكر علماء اللغة أسماء أجزاء الميـزان . والميزان الذي كان يستعمله الجاهليون لا يختلف عن الميزان المستعمل عند الشعوب الأخرى . ويقوم الوزن على أساس المعادلة بين الكفتين [3] .

ويظهر أن الجاهليين كانوا قد أخذوا الأوزان من العراق ومن بـلاد الشأم ، واستعملوها كلها وبأسمائها الأصلية ، وذلك بدليل ما نجده في أسماء هذه الأوزان التي استعملوها من مسميات بابلية أو إرمية وفهلوية ويونانية ورومانية . لقد أخذوها بتعاملهم مع أهل العراق ومع أهل بلاد الشأم ، وأدخلوا مسمّياتها الى لغتهم بعد ادخالهم بعض التحوير والتغيير عليها لتتناسب مع النطق العربي . وقد كان لا بد لهم من استخدام تلك الموازين كلها أو أكثرها على حدّ سواء ، لأنهم تعـاملوا وتاجروا مع العراق وبلاد الشأم منذ القدم . فكان لا بد لهم من التعـامل مع كل بلد بموازينه ومقاييسه ،ومن استعمال هذه الأوزان في بلادهم أيضاً بحكم ذلك التعامل والإتجار ، كما نستعمل اليوم الأوزان والمقاييس الأجنبية في التعـامل عندنا بدلاً من الموازين والمقاييس القديمة .

---

١ Rhodokanakis, Kata. Textile, II, S. 34.

٢ اللسان (١٤/١٢٥) .

٣ المخصص (١٢/٢٦٣) .

ومن الأوزان التي يعود أصلها الى الروم : (الرطل) ، وهو « Litra » عند اليونان . والأوقية ، وتقابل « Ounguiya » « Oncia » عند البيزنطيين[1] . و (الدرهم) ، وهو وحدة وزن ، وقطعة نقد ، من « Dhrakhmi » [2]. (وقيراط) وهو من « Keration » [3] .

ومن وحدات القياس التي يعود أصلها الى الفارسية : (الدانق) ، فإنه من (دانك) ، وهو سدس الدرهم[4] . وأما (المثقال) فمن أصل آرامي ، من « Matqolo »[5] .

والقسطاس : الميزان ، ويعبر به عن العدالة ، كما يعبر عنها بالميزان[6] . ويذكر العلماء ان القسطاس أقوم الموازين[7] . و (القسط) مكيال يسع نصف صاع . و (الفرق) ستة أقساط . وذكر بعضهم ان (القسط) أربعمائة وواحد وثمانون درهماً . والقسط الحصة من الشيء ، والمقدار[8] .

ويقاس الذهب بالوزن ، وكذلك الفضة ، فكان التجّار يحملون معهم الموازين ليزنوا بها هذين المعدنين . وقد كان (الشاقل) هو وحدة القياس للوزن عند الجاهليين . ويقال في العربية : « شقل الدينار وشوقل الدينار ، بمعنى وزنه وعايره وصححه » . وجاء أن الشقل : الوزن . يقال : اشقل لي هذا الدينار ، أي زنه[9] . واللفظة من الألفاظ البابلية التي دخلت الى لغة بني إرم والى العبرانية والعربية[10] .

و (الحبّة) من العيارات المستعملة عند الجاهليين والتي بقيت مستعملة في الإسلام كذلك ، ولا تزال تستعمل . أما وزنها فاختلف فيه باختلاف الأزمنة والأمكنة

---

١ غرائب اللغة (٢٥٤) .
٢ غرائب اللغة (٢٥٨) .
٣ غرائب اللغة (٢٦٧) .
٤ غرائب اللغة (٢٢٧) .
٥ غرائب اللغة (١٧٦) .
٦ المفردات (٤١٣) .
٧ المخصص (١٢/٢٦٣ وما بعدها) .
٨ تاج العروس (٥/٢٠٥) ، (قسط) .
٩ اللسان (١١/٣٥٦) ، القاموس (٣/٤٠١) .
١٠ غرائب اللغة (ص ١٩١) ، برصوم ، الالفاظ السريانية (ص ٩٧) Schrader, S. 340.

وقد قدرها بعضهم بعُشر الدانق[1] . وقدرها بعض آخر بسدس ثمن درهم ، وهو جزء من ثمانية وأربعين جزءاً من درهم[2] .

والقيراط ، هو نصف دانق . وذكر بعض العلماء أنه جزء من أجزاء الدينار ، وهو نصف عشره في بعض البلاد في الإسلام ، وجزء من أربعة وعشرين فى بلاد الشأم[3] . وهو عند الروم جزء من أربعة وعشرين من أجزاء شيء . وهو من أصل رومي هو « Keration »[4] . ويظهر أو وزنه لم يكن ثابتاً ، بل اختلف باختلاف البلدان[5] .

و (المثقال) من الأوزان القديمة عند العرب ، وقد وردت لفظة (مثقال) في القرآن الكريم بمعنى مقدار ووزن[6] . ويظن بعض المستشرقين ان (المثقال) من أقدم المعايير عند العرب ، ويستعمله العطارون والصيارفة وباعة اللؤلؤ والحجارة الثمينة . وهو عبارة عن اثنتين وسبعين شعيرة . وفي بعض الموارد : المثقال عشرون قيراطاً . وهو يقابل الـ « Solidus » عند الروم على وفق النظام الذي أقره القيصر (قسطنطين) « Costantine » . وهو نظام اتبع في بلاد الشأم،وأقره العرب واستعملوه[7]. واللفظة من الألفاظ المعربة عن الإرمية من أصل(متقولو) « Matqolo » على بعض الآراء[8] .

والأوقية من الأوزان التي كانت مستعملة في الجاهلية . وقد اختلف العلماء في ضبط وزنها وتعيين مقداره . فقال بعضهم : هي سبعة مثاقيل ، وانها أربعون درهماً . وقال بعض آخر : هي أربعون درهماً . وقد ورد في الحديث : ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة[9] . وفي حديث النبي : انه لم يصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونش . قال مجاهد: الأوقية أربعون درهماً،

---

١ تاج العروس (٥/٢٠٥) ، Ency., II, p. 185.
٢ القاموس (٣/٣٣٠) ، تاج العروس (٥/١٨٠) ، (دنق) .
٣ اللسان (٧/٣٧٥) ، (قرط) .
٤ غرائب اللغة (ص ٢٦٧) .
٥ تاج العروس (٥/٢٠٣) ، (قرط) .
٦ تاج العروس (٧/٢٤٥) ، (ثقل) .
٧ Ency., III, p. 558.
٨ غرائب اللغة (١٧٦) .
٩ تاج العروس (١٠/٣٩٦) ، (وقى) .

والنشُ عشرون[1] . وهي تقابل « Uncia » عند الروم .

و (البزمة) وزن ثلاثين درهماً[2] .

وقد أشير في الحديث الى (نواة من ذهب) ، وقد جعل بعض العلماء النواة زنة ، وقال بعض آخر : النواة من العدد عشرون أو عشرة ، أو هي الأوقية من الذهب أو أربعة دنانير أو ما زنته خمسة دراهم أو ثلاثة دراهم ونصف أو ثلاثة دراهم وثلث[3] .

وقد كان الجاهليون يبايعون الذهب والفضة بالأوزان التي ذكرتها مثل النواة والحبة والشعيرة والمثقال والأوقية . ولما جاء الرسول المدينة وجد أهلها يبايعون اليهود الوقية من الذهب بالدنانير ، فقال لهم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلاّ وزناً بوزن »[4] .

وأما الرطل ، فإنه في مقابل « Litra » في اليونانية ، و « Libra » في اللاتينية . وهو قدر نصف (من) . وهو من الأوزان المعروفة عند الجاهليين . وذكر أن الرطل الجاهلي هو ضعف الرطل الإسلامي ، وقد اختلف وزنه عند المسلمين باختلاف الأماكن والمواضع والناس[5] . وذكر بعضهم : الرطل اثنا عشر أوقية بأواقي العرب ، والأوقية أربعون درهماً ، فذلك أربعمائة وثمانون درهماً[6] .

وأما (المنّ) ، « Mnh » « Mina » « Maneh » « Mna » « Mana » (منا) و (منو) « Mnu » في البابلية ، فإنه خمسة عشر شاقلاً ، وعشرون شاقلاً وخمسة وعشرون شاقلاً ، أي انه ورد في ثلاثة أوزان . فعرف كل وزن من هذه الأوزان الثلاثة باسم (من)[7] . وهو معروف عند قدماء اليونان ، وعند السريان[8] . وهو من الأوزان المعروفة عند العرب الجاهليين .

---

١ اللسان (١٥/٤٠٤) ، «صادر» ، (وقى) ، تاج العروس (٨/٢٠٢) ، (بزم) .
٢ تاج العروس (٨/٢٠٢) ، (بزم) .
٣ تاج العروس (١٠/٢١٩) ، عمدة القارىء (١١/١٦٤) .
٤ صحيح مسلم (٥/٤٦ وما بعدها) .
٥ Ency., III, p. 1129.
٦ تاج العروس (٧/٣٤٦) ، (رطل) .
٧ قاموس الكتاب المقدس (٢/٤٢٥) ،
Hastings, p. 970, Shrader, Keil. und das alte Testment, S. 338.
٨ غرائب اللغة (٢٧٠) .

وقد ذكر علماء اللغة انه كيل أو ميزان وهو رطلان[1] .

والقنطار وزن أربعين أوقية من ذهب ، وقيل ألف ومئتا دينار ، وقيل ألف ومئتا أوقية ، وقيل سبعون ألف دينار ، وقيل ثمانون ألف درهم ، وقيل مئة رطل من ذهب أو فضة . وزعم بعض علماء اللغة انه سرياني ، وزعم آخرون انه عربي[2]. ويظهر انه لاتيني الأصل وانه من أصل « Centenarium Pondus » أي وزن يساوي مئة ضعف وزن آخر[3] . وقد اختلف العلماء في القنطار ، وقد ذكر العلماء آراءهم فيه. ويظهر انهم كانوا قد اختلفوا فيه في الجاهلية كذلك،وسبب ذلك على ما يظهر ، انهم استعملوه وزناً ، أي معياراً ، واستعملوه ثمناً ، أي بمقدار ما يعادله بالذهب والفضة ، وبالنقد ، ثم بالمقايضة ، مثل قولهم انه ملء ثور ذهباً أو فضة[4] .

وقد ذكر في الآية : « ومن أهل الكتاب مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤده لك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً »[5] . وفي الآية : « وآتيتم إحداهن قنطاراً »[6] . وورد : « والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة»[7]. وفي الإشارة الى القنطار في القرآن الكريم دلالة على استعماله في الحجاز وربما في أماكن أخرى من جزيرة العرب كذلك .

والقناطير جمع قنطار . ومعنى القناطير المقنطرة : المال الكثير من الذهب والفضة ، والمال الكثير بعضه على بعض . ويظهر من اختلاف المفسرين وسائر العلماء في مقدار القنطار أن العرب لا تحد القنطار بمقدار معلوم من الوزن، ولكنها تقول هو قدر ووزن ؛ لأن ذلك لو كان محدوداً قدره عندها لم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كل هذا الاختلاف[8] .

والمُدّ مكيال ، وهو رطلان أو رطل وثلث أو ملء كفي الإنسان المعتدل ،

---

١ تاج العروس (٩/٣٥٠) ، « منن » ، برصوم (١٢١) .
٢ المخصص (١٢/٢٦٦) .
٣ غرائب اللغة (٢٧٩) ، Ency., II, p. 1022.
٤ تاج العروس (٣/٥٠٩) ، (قنطر) .
٥ آل عمران : الآية ٢٥ .
٦ النساء : الآية ١٩ .
٧ آل عمران : الآية ١٤ .
٨ تفسير الطبري (٣/١٣٠) ، « طبعة بولاق » .

إذا ملأهما ومـــدّ يده بهما ، وبه سُمّي مُدّاً[1] . وقيل هو ربع الصاع ، لأن الصاع أربعة أمداد . وقد اختلف في مقدار المدّ في الإسلام ، وقد ورثوا ذلك من الجاهلية ، فقد اختلفوا في مقداره أيضاً باختلاف مواضعهم[2] .

والصاع من المكاييل التي كان يستعملها أهل الحجاز عند ظهور الإسلام . وقد عرف خاصة عند أهل المدينة . ويأخذ أربعة أمداد . وهو يأخذ من الحبّ قدر ثلثي الصاع في بعض الأماكن . وكان لأهل المدينة صيعان مختلفة . وورد صاع المدينة أصغر الصيعان . كما ورد في كتب الحديث والفقه، صاع النبي وصاع عمر[3] وقد كالوا به التمر والحبوب[4] . وقد اختلف العلماء في مقداره في الاسلام . ومردّ ذلك الى الجاهليـــة الذين كانوا يختلفون في تقدير الصاع وذكـــر المفسرون أن (صواع الملك) ، أو (صاع الملك) حسب قراءة (أبـي هريرة) كناية عن الصاع الذي يكـــال به الطعام . وذكر أنه الإناء الذي يكال به الطعام ، وإناء يشرب فيه ، وكان يشرب الملك ، وهو من فضة . وكان للعباس في الجاهليـــة واحد ، وهو المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه ، كانت تشرب فيه الأعاجم[5] .

والقفيز من المكاييل القديمة المستعملة لتقدير كميات الأشياء الجامدة ، ويتسع لنحو عشرة (غالونات) ، وأصله من المكاييل البابليـة . وقد ذكـــره المؤرخ (اكسينيفون)[6] ، وهو عند العرب أصغر من القاب « Cub »[7] .

والوسق من المكاييل التي كان يستعملها العرب قبل الاسلام كذلك . قيـل : هو ستون صاعاً . وقيل : هو حمل بعير . وقيـــل : الوسق مئة وستون منّـاً . وقال الزجّاج : خمسة أوسق هي خمسة عشر قفيزاً . وكل وسق بالملجم هو ثلاثة أقفزة . وقيل إن الوسق ستون صاعاً . وهو ثلاث مئة رطل وعشرون رطلاً عند

---

١ القاموس (١/٣٣٧) ، تاج العروس (٢/٤٩٨) ، (مدد) .
٢ تاج العروس (٢/٤٩٨) ، (مدد) .
٣ عمدة القارىء (١١/٢٤٧ وما بعـدها) ، جـــامع الاصول (١/٣٧٤) ، المخصص (١٢/٢٦٤) ، اللسان (١٠/٨٢) ، تاج العروس (٥/٤٢٣) ، (صاع) .
٤ صحيح مسلم (٥/٦ وما بعدها) .
٥ تفسير الطبري (١٣/١٣) ، تفسير القرطبي (٩/٢٣٠) .
٦ Anabasis, I, 5.
٧ J. Abermyer, Die Landschaft Bobylonien, S. 221. ff., 241.

أهل الحجاز . وأربع مئة رطل وثمانون رطلاً عند أهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمدّ . والأصل في الوسق الحمل . وقيـــل : الوسق العِدْلُ ، وقيل : العدلان ، وقيل هو الحمل عامة [1] .

واستعملوا الحمل كيلاً ، وقد رأينا ان بعضهم عرّف الوسق بأنه عدل ، أو عدلان ، وهو مقدار ما يحمله الحيوان . وبهذا المعنى وردت لفظـــة (الوقر) وتطلق على حمل البغل أو الحمار أو البعير [2] ، فهو شيء تقديري غير مضبوط تماماً. وقد ورد في القرآن للكريم : « كيل بعير »[3] ، وذلك تعبيراً عن حمـل بعير ، وهو مقدار ما يحمل . كما ورد فيه « حمل بعير » في المعنى نفسه[4] .

ولا يزال العرف جارياً بين أهل القرى والبادية في البيـع (حمولاً) ، جمع (حمل) ، وهو حمل (بعير) أو حمار أو غير ذلك من الدواب التي تنقل الشيء الذي يراد بيعه مثل الملح أو (العوسج) أو (العاقول) أو (حطب البادية) أو الزرع الى الأسواق ، فتباع حملاً لا وزناً ، ويشتريه المشترون على هذه الصفة.

وذكر علماء اللغة ، أن الكر ، مكيال لأهل العراق ، وقد أشير اليه في كتب الحديث . وذكر أنه ستـــة أوقار حمار ، وهو عند أهل العراق ستـين قفيزاً . والقفيز ثمانية مكاكيك . والمكوك صاع ونصف . وهو ثلاث كيلجـات . وذكر (الأزهري) أنه اثنـا عشر وستمـــاً ، كل وسق ستون صاعاً أو أربعون أردباً بحساب أهل مصر[5] . وهو (كور) في لغة بني (ارم) ، ويعادل عند أهل بابل وقر ستة حمير[6] .

وذكر علماء اللغة ، أن (المكوك) طاس يشرب به أعلاه ضيق ووسطة واسع، والصاع كهيئة المكوك . وكان للعباس مثله في الجاهلية يشرب به . وقد ورد في الحديث أن الرسول كان يتوضأ بمكوك . ويسع صاعاً ونصفاً ، أو نصف رطـل

---

١ اللسان (٢٥٨/١٢) ، المخصص (٢٦٥/١٢ وما بعدها) ، المفردات (٥٤٥) ، تاج العروس (٨٩/٧) ، (وسق) .
٢ اللسان (٢٥٨/١٢) ، المخصص (٢٦٠/١٢) .
٣ سورة يوسف ، الآية ٦٥ .
٤ يوسف ، الآية ٧٢ .
٥ شرح القاموس (٥١٩/٣) ، اللسان (١٣٧/٥) .
٦ J. Obermeyer, S. 241.

الى ثماني أواق،أو يسع نصف الويبة ، والويبة اثنان وعشرون ، أو أربع وعشرون مداً بمد النبي ، أو هو ثلاث كيلجات ، وهو صاع ونصف . والكيلجة تسع منّا وسبعة أثمان منا . والمنا رطلان ، والرطل اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية أستار وثلثاً ، والأستار أربعة مثاقيل ونصف ، والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم ، والدرهم ستة دوانق ، والدانق قيراطان ، والقيراط طسوجان ، والطسوج حبتان، والحبّة سدس ثمن درهم ، وهو جزء من ثمانية وأربعين جزءاً من درهم . وذكر أن الكر : ستون قفيزاً ، والقفيز ثمانية مكاكيك ، والمكوك صاع ونصف، وهو ثلاث كيلجات[1] .

والكيلة مقياس استعمله العبرانيون والجاهليون ؛ وهي« Seah» ، و « Saton » في اليونانية « Modius » ، وهي تختلف باختلاف اصطلاح الأمم . فالكيلة العبرانية كبيرة بالقياس الى الكيلة الرومانية ، وهي تعادل كيلة وربع كيلة رومانية . وتبلغ ثلث (الأيفة)[2] . وتعادل اثنين وعشرين « Sextari »[3]. وتستعمل في وزن المواد الجامدة مثل الحبوب .

وأما (الأيفة) « Ephah » ، فكلمة مأخوذة من اللغة المصرية ، ترد كثيراً في العهد القديم . وهي تعادل ثلاث كيلات « Seah » . وتستعمل لقياس المواد الجافة فقط ، وتقابل « Atrabe » ، و « Metretis » عند اليونان ، وهي مجزأة الى عشرة أجزاء ، يقال للجزء الواحد (العمر) (عومير) (اومير) « Omer » ، أو الكومة . ويقال له (عشر) « Issaron » أيضاً[4] . وتقسم الى ستة أقسام كذلك يطلق على كل قسم اسم (سدس)[5] .

ولعل لأومير (عومير) « Omer » ، صلة بـ (الغمر) عند الجاهليين . وهو عندهم قدح صغير يتصافن به القوم في السفر ، اذا لم يكن معهم من الماء

---

١ تاج العروس (٧/١٨٠) ، (مك) .

٢ التكوين الاصحاح ١٨ ، الآية ٦ ، والاصحاح الثالث عشر ، الآية ٢١ ، قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٨١) ، تاج العروس (٨/١٠٧) ، (كيل) .

٣ Hastings, p. 969.

٤ الخروج ، الاصحاح السادس عشر ، الآية ٣٦ ، الخروج ، الاصحاح التاسع والعشرون ، الآية ٤٠ ، الكتاب المقدس (٢/٢٨١) ، Hastings, p. 969.

٥ Hastings, p. 969.

إلا يسيراً على حصاة يلقونها في إناء ثم يصب فيه من الماء قدر ما يغمر الحصاة فيعطاها كل رجل منهم . وقيل هو (القعب) الصغير يحمله الراكب معه ، يعلقه على رحله . وقيـــل : الغمر : أصغر الأقـــداح . قال أعشى باهلة يرثي أخاه المنتشر بن وهب الباهلي :

تكفيه حزة فلذان ألمّ بها من الشواء ويروي شربه الغمر

والغمر يأخذ كيلجتين أو ثلاثاً ، والقعب أعظم منه ، وهو يروي الرجل[1] . و (الكيلجة)[2] ، مكيال[3] .

و (الكر) من المكاييل المستعملة عند العبرانيين . وذكر علماء اللغة أن الكُرّ مكيال لأهل العراق . وقد أشير اليه في كتب الحديث والفقه . ويظهر أنه مكيال للمائعات . ورد : إذا كان الماء قدر كرّ لم يحمل القذر . ومكيال للجوامد أيضاً. وهو ستة أوقار حمار ، وهو عند أهل العراق ستون قفيزاً . والقفيز ثمانية(مكاكيك). والمكوك صاع ونصف ، وهو ثلاث كيلجات . وذكر الأزهري أنـه اثنا عشر وسقاً ، كل وسق ستون صاعاً أو أربعون اردباً بحساب أهل مصر[4] .

واستعمل الجاهليون (الزق) ، وحدة عامة لوزن المائعات . فورد: (زق خمر) مثلاً . ويستعمل خاصة في الخمور[5] .

وقد عثر على عدد من قطع الأوزان المصنوعة من الحديد وبعضها من برونز، وقد استعملت في وزن الأشياء . وقد تأثر بعضها بالعوارض ولعبت الأيدي ببعض آخر . ونأسف عـــلى عدم وقوفنا وقوفاً تاماً على أسماء الأوزان ومقدار ثقلها ، لعدم وصول عدد كاف منها الينا عليه كتابة تشير الى اسمه ومقدار وزنه ، ولعل الأيام تجود علينا منها بما يحقق لنا هذه المعرفة .

أما (الصُّبرة) : فما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض .

---

١ تاج العروس (٣/٤٥٤) ، (غمر) .
٢ بكسر الكاف وفتح اللام .
٣ تاج العروس (٢/٩١) ، (كلج) .
٤ تاج العروس (٣/٥١٩) ، (كر) .
٥ تاج العروس (٦/٢٧١) .

فهي : الطعام المجتمع كالكومة[1] . ومن ذلك بيع (الصبرة) من التمر . وقد نهى الاسلام عن هذا النوع من البيع[2] .

والفالج والفلج مكيال ضخم ، وقيل هو القفيز . وقد ذكر بعض الباحثين انه سرياني الأصل ، وأن أصله (فالغا) فعرب . قال الجعدي يصف الخمر :

ألقى فيها فلجان من مسك دا رين وفلج من فلفلٍ ضرم

ومن هنا يقال للظرف المعدّ لشرب القهوة وغيرها (فلجان) ، والعامة تقول: فنجان[3] .

و (الطسق) مكيال أيضاً[4] . وهو من أصل فارسي ، وذكر أنه مكيال لكيل الزيوت وكل أنواع الدهن[5] . وهو ضريبة الأرض كذلك ، أي في معنى خراج في الإسلام . كتب عمر الى (عثمان بن حنيف) في رجلين من أهل المدينة أسلما : ارفع الجزية عن رؤوسهما وخذ الطسق من أرضيهما[6] .

والفرق مكيال بالمدينة ، اختلف فيه . فقيل : يسع ستة عشر مداً ، وذلك ثلاثة آصع ، أو يسع ستة عشر رطلاً ، وهي اثنا عشر مداً وثلاثة آصع عند أهل الحجاز . أو هو أربعة أرباع ، وقيل الفرق خمسة أقساط ، والقسط نصف صاع . وقيل غير ذلك[7] . وذكر أن (الفرق) هو مكيال لأهل اليمن ، وقد ذكر في عهد الرسول لقيس بن مالك بن سعد بن لأي الأرحبي الهمداني ، إذ جاء فيه : « وأطعمه ثلاثمائة فرق من خيوان ، مائتا زبيب وذرة شطران ومن عمران الجوف مائة فرق بُرّ »[8] .

وقد ذكر بعض علماء اللغة اسم مكيال من مكاييل أهل اليمن دعوه (الذهب) ، ويجمع على أذهاب[9] .

---

١ اللسان (٤/٤٤١) ، « صادر » .
٢ صحيح مسلم (٥/٩ وما بعدها) .
٣ تاج العروس (٢/٨٧) ، (فلج) .
٤ اللسان (١٠/٢٢٥) .
٥ غرائب اللغة (٢٣٨) .
٦ تاج العروس (٦/٤٢٣) ، (الطسق) .
٧ تاج العروس (٧/٤٣) ، (فرق) .
٨ ابن سعد ، الطبقات (١/٣٤١) ، (وفد همدان) .
٩ المخصص (١٢/٢٦٤) .

ومن المكاييل المذكورة في التوراة والمعروفة عند الجاهليين كذلك ، والتي تكال بها الأشياء الجافة : (القبضة) ، أي كومة اليد . والكومة كيلة عند الشعوب الأخرى وهي بمعنى (صبرة) . ولا يزال البدو يستعملونها ، ولكنها ليست من المكاييل الرسمية ، بل هي في الواقع كيلة عرفية . وهي تختلف في المقدار والكمية بحسب اتساع قبضة اليد[1] . وقد كان الجاهليون يكوّمون ما يريدون بيعه بالتكوم كوماً ، ولا زال هذا البيع معروفاً . وقد كان أهل الجاهلية ، يبيعون قبضة من التمر ، أو قبضة من السويق ، أو الدقيق ، وذلك بحسب ما تقبضه اليد ، أي كفاً منها[2] .

---

١ اللآويون : الاصحاح الثاني ، الآية الثانية « كومة من ذهب وكومة من فضة » ، تاج العروس (٩/٥٢) ، (كوم) .

٢ تاج العروس (٥/٧٤) ، (قبض) .